أَسْوَاقُ بِلادِ المَغْرِبِ

مِنَ القَرْنِ السَّادِسِ الهِجْرِيّ
حَتَّىٰ نِهَايَةِ القَرْنِ التَّاسِعِ الهِجْرِيّ



د. كريم عاتي الخزاعي

الدار العربية للموسوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدمة ونقد وتحليل المصادر والمراجع)

ما نزال نرى عدم فهم تاريخ الامة العربية والاسلامية، دون فهم النواحي الحضارية المتمثلة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي تضعنا امام خبرة وتجربة التنظيمات التي عرفتها تلك الامة على مر العصور الاسلامية وقد لا نغالي اذا ذهبنا الى القول، بان الدراسات المتعلقة بالتاريخ الاقتصادي المغربي في عصور الازدهار الاسلامي، قليلة، وقد صبت معظم الدراسات حول الظاهرة السياسية، والتي سعت بشكل مباشر وغير مباشر الى اظهار تاريخ المغرب الاسلامي، عبارة عن سلسلة من الصراعات وعدم التجانس.

وبالرغم من وجود عدد من الدراسات العربية الحديثة[1] التي اهتمت بالحياة الاقتصادية في بلاد المغرب في عصور الازدهار الاسلامي. ولكن لا نجد بينها دراسة مفردة عن الاسواق المغربية.

وامام هذا النقص، وقع اختياري على دراسة موضوع الاسواق في بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري.

لقد تم اختياري لهذه الفترة الطويلة لدراسة الاسواق، بسبب التبلور الحاصل في التنظيم العام للهيكل الاقتصادي في جوانب عديدة

---

(١) نشير الى بعض هذه الدراسات في نقد وتحليل المراجع الحديثة، ومن الجدير بالذكر ان عدد من المستشرقين كتبوا العديد من الكتب والمقالات عن الاقتصاد الاسلامي المغربي في العصر الوسيط، قدم بعضهم لنا معلومات مهمة من خلال اطلاعهم على وثائق من الصعوبة الحصول عليها، فضلا عن اكتشافهم لبعض الآثار المهمة والتي تخص الجوانب الحضارية لبلاد الغرب الاسلامي، وسنشير الى بعض هؤلاء في نقد وتحليل المراجع ايضا.

اشار اليها العديد من مؤرخينا وجغرافيينا، بينما اقتصرت معلوماتهم الاقتصادية خلال القرون الاربعة الاولى على وصف غير تفصيلي، وخاصة عن موضوع الاسواق[1].

لقد كان اختيارنا لموضوع الاسواق باعتبارها المركز الحيوي الاول والاهم لممارسة الانشطة الاقتصادية في المدن الغربية، واذا ما توفرت لنا المادة المصدرية عن الاسواق وانواعها واماكنها وتنظيمها وتخطيطها والسلع المتداولة فيها ووضعية اسعارها، والعملة المتداولة فيها، واشراف الدولة عليها، وغيرها من الموضوعات، نكون لا محالة قد وفرنا الامكانيات المطلوبة لكتابة التاريخ الاقتصادي لبلاد المغرب انطلاقا من اهم جوانب النشاط الحرفي والمهني، الا وهي الاسواق.

ومما يجب الاشارة اليه في مقدمة هذه الدراسة، هو التركيز الذي اولاه المؤرخون بكل اصنافهم، كان جله حول اقليم المغرب الاقصى، على اعتبار ان هذا الاقليم كان مركزا مهما للانظمة الحاكمة في البلاد ومدنه اتخذت عواصم لحكوماتهم، وخاصة مدينتا فاس ومراكش، لذلك كان التركيز في الجانب الاقتصادي على المرافق التجارية في المدن الكبرى داخل هذا الاقليم، واهملت المناطق البعيدة عن مركز الحكم، وهذا يجعلنا في حيرة من ندرة المعلومات الاقتصادية عنها، وخاصة مناطق المغربين الادنى، والاوسط، علما ان هذين الاقليمين كانت بهما أسر حاكمة كبني حفص في المغرب الادنى، وبني زيان في المغرب الاوسط، ومن مدنه المشهورة تونس وتلمسان.

---

(١) لقد اشرت الى ذلك في رسالتي للماجستير عن النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة.

ان هذا التركيز، لا يعني في شكل من الاشكال، اهمال المدن المغربية الاخرى، بل حاولنا جاهدين مراجعة اغلب المصادر المتوفرة، واستطعنا على قدر المعلومات المتوفرة من معرفة بعض اسواقها، والامور المتعلقة بها.

ولن استعرض المشاكل التي اعترضتني في انجاز هذا العمل، من قلة المادة وندرتها، وفقدان المصادر وغيرها من المشاكل التي تواجه أي باحث في التاريخ الاقتصادي حيث ان هذه المشاكل والمصاعب، ظاهرة عملية طبيعية مألوفة وصحيحة في مسار البحث العلمي الاكاديمي.

وفي ضوء المعلومات المصدرية المتوفرة، فقد قسمت موضوع دراستي الى اربعة فصول وخاتمة تسبقهما مقدمة وتحليل للمصادر والمراجع.

كرست الفصل الاول للاسواق وانواعها واماكنها وتنظيمها وطرز بنائها، حيث تطرقت في هذا الفصل عن نشأة الاسواق العربية الاسلامية المبكرة في بلاد المغرب ثم حاولت معرفة انواع الاسواق في فترة هذه الدراسة، وقد وجدت انهم تنقسم الى ثلاثة انواع، الاسواق الدائمة، والتي لا تكاد تخلوا أي مدينة مغربية منها، والاسواق المؤقتة والتي كان بعضها مقصدا لتجارة الافاق، والنوع الثالث، فهي الاسواق المتنقلة التي كانت ترافق في الكثير من الاحيان الحملات العسكرية، والبعض الاخر منها كانت ترافق حجاج بيت الله الحرام.

كما تعرفنا في هذا الفصل عن ملحقات الاسواق، وخاصة الفنادق التي كانت تعج بها بعض المدن المغربية، واصبحت مكانا مهما لترويج البضائع الاجنبية وخزنها فضلا عن اتخاذها مكانا لاقامة التجار الاجانب، وعقد الاتفاقيات التجارية بينهم وبين تجار المغاربة، كما كان للقيصريات

اثرا واضحا في ازدياد عملية البيع والشراء، حيث كانت تحتوي بعضها على مئات من الحوانيت المعدة للتجارة والصناعة والمخازن.

اما تنظيم الاسواق وتخطيطها واماكنها وطرز بنائها، فقد اشرت لها ايضا ووجدت ان الاسواق المغربية تكاد تكون متشابهة في تخطيطا واماكنها، حيث غالبا ما تكون حول المسجد الجامع وداخل رياض المدن، والبعض الاخر خارج الارباض وخاصة الاسواق الحرفية والصناعية التي تبعث الرواح الكريهة.

اما الفصل الثاني، فقد خصصته للنشاط الاقتصادي داخل الاسواق، وعرفنا من خلاله طبيعة النشاط الاقتصادي، والعوامل المؤثرة في هذا النشاط ووجدنا ان لهذه العوامل اثار سلبية وايجابية على رواج السلع والبضائع داخل الا سواق، وخاصة الظروف الطبيعية،الاستقرار السياسي الاجراءات الي اتخذها العديد من المسئولين في حفظ الا من وتشجيع العمليات الاقتصادية في انحاء البلاد. ثم تعرفنا على انواع السلع والضائع الصادرة والواردة الى الاسولق المغربية. ووجدنا ان التبادل التجاري الداخلي بين اقاليم ومدن بلاد المغرب يفوق التبادل التجاري الخارجي لها، وخاصة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي بينما تفتحت سياسة الحكومات المغربية منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي نحو التجارة الخارجية بكل يفوق ما آلت اليه تجارة القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وتوسعت العلاقات التجارية مع بلدان المشرق الاسلامي، كما زادت العلاقات التجارية المغربية مع البلدان الاوربية، وخاصة مع المدن الايطالية، وعقد بعض الحكام المغاربة العديد من الاتفاقيات التجارية، والتي سهلت عملية خروج البضائع ودخولها من والى الاسواق المغربية.

كما تناولنا في هذا الفصل العاملين في الاسواق، منهم، اهل الحرف والمهن الذين امتهنوا انواع مختلفة من الحرف داخل الاسواق، وكذلك العاملين في القطاع التجاري داخل الاسواق من التجار المغاربة الذين تعددت اصنافهم في العمل وحسب وظائفهم، كالدلالين والسماسرة والجلاسين وغيرهم من الاصناف الذين لعبوا دورا مهما في عملية انتقال ورواج السلع والبضائع داخل الاسواق المغربية.

وفي الفصل الثالث حاولنا معرفة طرق التعامل التي اتبعت داخل الاسواق، كالنظام النقدي الذي يشمل العملة المستخدمة في عملية البيع والشراء، وكذلك نوع المكاييل والموازين وبعض المقاييس، ولاحظنا ان الاختلاف في العملة المغربية بين مدينة واخرى، وكذلك الاختلاف بالمكاييل والموازين كانت من المشاكل الاساسية في عرقلة العملية التجارية، بسبب تدخل العديد من العناصر التي كانت تعمل في هذا الجانب الحيوي وقيامها بتزييف العديد من العملات، التي كانت تضر كثيرا بالاقتصاد المغربي.

ولكي تكتمل الصورة التجارية داخل الاسواق، لابد لنا ان نتعرف على عملية البيع والشراء، وكيفية عرض هذه البضائع داخل الاسواق، كما عرفنا ان هناك طرق عديدة في التعامل التجاري الداخلي والخارجي، كالبيع بالنقد او بالمقايضة او السلف او بالحوالة على الصرافين، كما تتبعنا في هذا الفصل الاسعار السائدة داخل الاسواق المغربية، على الرغم من الصعوبة البالغة في معرفة اسعار العديد من السلع والبضائع داخل هذه الاسواق، حيث اقتصرت المعلومات المصدرية المتوفرة على ذكر بعض اسعار المواد الغذائية في كثير من الاحيان في وقت الازمات الاقتصادية والسياسية، ولم تعطينا هذه المصادر الفكرة الكاملة عن الاسعار في الاوقات الاعتيادية الا ما ندر، وتعرفنا من خلال

هذه الاسعار، على العوامل المؤثرة في ارتفاعها وانخفاضها، وخاصة العوامل السياسية والطبيعية.

وخصصت الفصل الرابع لاشراف الدولة على الاسواق، حيث اشرت الى البدايات الاولى لاشراف الدولة والمسؤولين على الاسواق منذ القرن الاول الهجري / السادس الميلادي، وعرفنا كيفية ظهور وظيفة الحسبة في بلاد المغرب وواجبات المحتسب واعوانه ومساعديه، والتبلور الذي حصل في التطور التاريخي لهذه الوظيفة، والاجراءات التي اتخذها بعض الحكام في سبيل السيطرة على الاستقرار الاقتصادي داخل الاسواق. ثم ختمنا هذا الفصل في معرفة انواع الضرائب التجارية السائدة انذاك في الاسواق المغربية، ومدى اهمية وتأثير هذه الضرائب على حركة السلع والبضائع المتداولة داخل الاسواق.

وفي الخاتمة عرضنا ابرز ما توصلنا اليه من نتائج عن هذه الدراسة مع بعض التحليلات والاستنتاجات المتعلقة بالقضايا الاقتصادية.

وختاما لابد لي من القول، انه مع صعوبة دراسة الحياة الاقتصادية في بلاد المغرب، فقد حاولت على قدر امكانيتي العلمية والمصدرية من الاقتراب ودراسة هذا الموضوع الذي لم يتطرق اليه أي باحث بصورته المرسومة، ولا ابالغ اذا قلت انني ما ادخرت من جهدي شيئا لاخراج دراستي بشكلها الحالي، عسى ان تنفع الباحثين من بعدي في هذا المجال الحيوي.

"ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا " صدق الله العظيم

ومن الله التوفيق

الباحث

كريم الخزاعي

(نقد وتحليل اهم المصادر والمراجع)

يجد الدارس نفسه وامام النقص الحاصل في قلة المعلومات المتعلقة بدراسة الموضوع الاقتصادي مضطر الى مراجعة المصادر على تنوعها، سواء كانت تاريخية ام كتب جغرافية ورحلات وفقهية وغيرها، وذلك تبعا لما تمليه عليه طبيعة الموضوع المدروس، فضلا عن الفترة التاريخية التي يغطيها ذلك الموضوع وعليه فمن المستبعد ان يجد الدارس غايته في نوع معين من المصادر، على ان مصادرنا التراثية مجتمعة يمكن ان تفي بالغرض المطلوب، كما يتطلب من الباحث ايضا الاطلاع الواسع على مختلف انواع الدراسات الاكاديمية الحديثة.

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على عدد كبير من المصادر والمراجع، وسوف اتناول اهمها في ضوء اهمها لموضوع الدراسة.

(كتب الجغرافية والرحلات)

كانت هذه الكتب بكل انواعها واختلاف ازمانها ذات اهمية كبيرة في اغناء هذه الدراسة. لقد كانت كتب الجغرافية والرحلات المعاصرة لدراستي مرتكز بحثي هذا، فمعلومات تلك الكتب متنوعة في الجوانب الاقتصادية، فمنها ما يتطرق الى الطرق التجارية والى السلع الصادرة والواردة الى الاسواق، ومنها ما يتناول انواع الاسواق واهميتها في القطاع الصناعي ومنها ما يتطرق الى مراقبة الدولة وعملية اشرافها على الاسواق ومنها ما يتناول العملة والمكاييل والموازين وغيرها من الموضوعات الاقتصادية، وسنشير في هذا المجال الى هذه المصنفات في ضوء التطور التاريخي للانظمة الحاكمة في بلاد المغرب.

ففي عهدي المرابطين والموحدين ، أي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي استفدت كثيرا من كتاب الادريسي، ابي

عبد الله محمد الملقب بالشريف(ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م) " نزهة المشتاق في اختراق الافاق " حيث افادنا كثيرا في التعرف على المتغيرات الاقتصادية التي احدثها الغزو الهلالي لبلاد المغرب، وخاصة اقليم افريقية(المغرب الادنى) في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وقدم لنا الادريسي معلومات هامة اخرى عن الطرق التي كانت تنقل عبرها السلع والبضائع بين المدن واقاليم المغرب المختلفة.

وكان صاحب " كتاب الاستبصار في عجائب الامصار "، لمؤلف مغربي مجهول عاش سنة(٥٨٧هـ / ١١٩١م)، وعمل في دواوين الموحدين، قد ذكر لنا معلومات كثيرة عن الاسواق، وعن السلع الصادرة والواردة اليها.

اما كتاب الجغرافية " لابن سعيد المغربي، ابي الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، فقد كانت معلوماته مهمة في موضوع الدراسة وخاصة عن المدن المهمة كمدينة مراكش وفاس وسجلماسة وتلمسان وتونس، وخاصة عن السلع المتداولة داخل الاسواق المغربية.

اما ابن فضل الله العمري، احمد بن علي(ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، فقد ذكر لنا معلومات كثيرة في كتابة " مسالك الابصار في ممالك الامصار "، وخاصة عن الاسواق في عهدي الموحدين وبني مرين وركز العمري في معلوماته على اقليم المغرب الاقصى، فضلا عن ذكره لبعض المعلومات عن مدن الاقاليم الاخرى كتلمسان وتونس، واوضح لنا بعض الاسعار السائدة انذاك للمواد الغذائية المتداولة داخل الاسواق وخاصة عن مدينة فاس عاصمة بني مرين، كما انه اعطانا فكرة مختصرة عن النظام النقدي السائد في العواصم المغربية الثلاث، فاس وتلمسان وتونس ومقارنتها بعملة الدول المجاورة كمصر والشام.

اما كتب الرحلات، فقد امدتني بمعلومات مهمة تفيد جوانب عديدة من بحثنا منها، الرحلة، المسماة "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار " لابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابراهيم(ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٨م). تحتوي رحلة ابن بطوطة معلومات عن الاسعار، ووفرة المواد الغذائية في بلاد المغرب مع مقارنتها بما موجود في الدول التي زارها كمصر والعراق، ورسم لنا ابن بطوطة الطريق التجاري الذي سلكه اثناء رحلته مع القافلة التجارية منطلقا من فاس مارا بمدن المغرب الاوسط كمدينة تلمسان، ثم الى مدن افريقية وخاصة تونس وطرابلس ثم الى الديار المصرية.

والرحلة الاخرى المعاصرة لفترة دراستي، هي رحلة النميري، ابراهيم بن عبد الله(ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) المسماة " فيض العباب وافاضة قداح الاداب في الحركة السعيدة في قسنطينة والزاب "، والتي حاول ابو عنان المريني ضمها الى السلطة المركزية. واهم ما افادنا به النميري في رحلته، السياسة التي نبناها السلطان المريني ابو عنان على مستوى تشجيعه للحركة التجارية، وقدم لنا صورة صادقة عن النشاط الاقتصادي في العصر المريني، مع وصف مبدع لتلك الرحلة.

ومن ثم تأتي مشاهدات ابن الخطيب. لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني(ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م). في عدد من مؤلفاته، مثل " نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ومعيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار "، سجل ابن الخطيب معلومات مهمة عن مناطق هنتاته واغمات والمناطق المجاورة لها، خاصة المعلومات التجارية، فقد رأى كثرة الارزاق وكثرة السلع داخل الاسواق، كما انه امدنا بالصورة التي شاهدها في بعض الموانئ، ومنها ميناء كانفا في المغرب الاقصى، ووصف حالة الرخاء التي انعمت به بعض المدن المغربية، كما زودنا

بعض اسماء محتسبي الاسواق المغربية، وكثرت اشارات ابن الخطيب عن مدينة فاس عاصمة بني مرين وكثرة الاسواق فيها.

وقدم لنا الحسن الوزان، الملقب بليون الافريقي (ت ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢م) في كتابه " وصف افريقيا "، وصفا رائعا للمنشأت الاقتصادية في مدينة فاس، حيث عدد اسواقها ومعالمها التجارية بدقة متناهية، مع ذكر المواد المتداولة فيها، وافادنا في ذكر عدد من العادات التي كانت ترافق انعقاد الاسواق المؤقتة، وعرض لنا بعض المعلومات عن اماكن الاسواق وتخطيطها وخاصة في العصر المريني، مع بعض الاشارات عن عملية البيع بالمزايدة العلنية في الاسواق المؤقتة. وخلاصة القول عن كتب الجغرافية والرحلات، والتي كانت خير معين لنا. هو ان اغلب هذه الكتب اكدت على التراجع التي حصل بمدينة مراكش من الناحية الاقتصادية ،فان كتب الرحلات التي عاصرت المرينيين تتفق على التراجع التي آلت اليه مدينة مراكش على مختلف المستويات، وخاصة الحسن الوزان وابن الخطيب، بعد ان اخذت مدينة فاس مكانتها الاقتصادية والسياسية.

كتب التاريخ العام :

على الرغم من كثرة كتب التاريخ العام التي تخص فترة بحثنا الا ان اغلبها يطغي عليها الحدث السياسي، ومع ذلك فاننا نجد فيها معلومات اقتصادية مهمة ومن هذه الكتب، كتاب ابن ابي صاحب الصلاة، ابو مروان عبد الملك(ت بعد ٥٩٤هـ / ١١٩٨م) " ألمن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين "، والذي عاصر فترة حكم الموحدين، وقدم لنا معلومات تخص الضرائب التي كانت تؤخذ على السلع المتداولة داخل الاسواق، كما ذكر بعض الاسعار السائدة في

عصره معتمدا في ذلك على مشاهداته الشخصية في كثير من الاحيان. علما بان كتابه لم يصل الينا بكامله سوى سفر من الجزء الثاني وفيه اخبار سنوات(٥٥٤ هـ / ١١٥٩م الى سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م).

اما كتاب النظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان " لابن القطان الكتامي(ت في منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) وهو من المعاصرين لحكم الموحدين، وكان مطلعا على رسائل الموحدين الرسمية وخاصة رسالة العدل التي بعث بها عبد المؤمن بن علي لسنة(٥٤٣ هـ / ١١٤٧م) الى جميع الولايات مبينا سياسته العامة، وتاكيده على حفظ الامن في ربوع دولته فضلا عن تشجيع عبد المؤمن للتجارة الداخلية والخارجية كما انه ذكر لنا الاجراءات التي اتخذها عبد المؤمن في تغيير المنكر في جميع البلاد، وهي معلومات افادتنا في موضوع اشراف الدولة على الاسواق.

ومن الكتب المهمة المعاصرة لفترة دراستنا، " كتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب" لابن عذاري، ابي العباس احمد بن محمد (كان حيا عام ٧١٢هـ / ١٣١٢م) ويعد هذا الكتاب بكل اجزائه، اهم المصادر التاريخية بالنسبة لتاريخ بلاد المغرب وكانت استفادتنا منه كبيرة في المجال الاقتصادي، وخاصة فيما يتعلق بالعملة المغربية، فضلا عن كثرة اشاراته عن الاسعار السائدة في تلك الفترة التاريخية وخاصة في سنوات القحط والازمات.

وقدم لنا ابن ابي زرع، علي بن محمد بن عمر الفاسي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) في كتابه " الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " معلومات اقتصادية مهمة، حيث اشار الى عدد المتاجر والاسواق والمهن الحرفية في مدينة فاس خلال عصري المرابطين والموحدين، والعصر الاول من فترة حكم

المرينيين، وقدم احصائية عددية للحوانيت والفنادق والحرف في هـذه المدينة.

ثم يأتي كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر " لابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) فهو موسوعة سياسية واقتصادية، ولابد لاي باحث في تاريخ بلاد المغرب الحضاري ان يطلع على محتويات هذا الكتاب، وفي هذه الموسوعة عثرنا على شذرات مهمة تخص جوانب عديدة من بحثنا.

اما ابن قنفذ القسنطيني، ابو العباس احمد حسين(ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م) فقد احتوى كتابه " انس الفقير وعز الحقير " معلومات عن مدينة فاس والرخاء المفرط فيها، وخاصة في العصر المريني، كما اشار الى كثرة الاسواق وتخصصها داخل المدينة، وافادنا ابن قنفذ في معرفة نقطة مهمة ما زلنا نجهلها، وهي الكيفية التي كانت تجري بها عملية البيع والشراء داخل الاسواق، حيث لم تمدنا المؤلفات المتوفرة، بالمعلومات بهذا الجانب، واقتصرت معلوماتهم على كلمة(باع واشترى) في حين نرى ابن قنفذ يأتي باشارة فريدة تتعلق بظاهرة البيع والشراء(بالمزايدة في السوق). اكدت بعض المصادر والمراجع الحديثة على وجودها.

ومن المصادر التاريخية التي اسهبت في الكـلام عـن بعـض القضايا الاقتصادية في العهد المريني هي كتابا " روضة النسرين فـي اخبار بني مرين" و " وبيوتات فاس الكبرى " لابن الاحمر، ابي الوليد اسماعيل بن يوسف (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م) حيث اشار ابن الاحمـر في هذين الكتابين، الى اجراءات بعض المسؤولية من بني مـرين فـي

عملية سك العملة وتبديلها، وتعيين بعض المحتسبين علــى الاســواق، وبنائهم لبعض الاسواق الجديدة او تجديدهم لبعض الاسواق القديمة.

وعلى الرغم من كثرة المصنفات التاريخية، كما ذكرنا، والتي تخص فترة بحثنا لكن معظمها صبت اهتمامها على عواصم اقليم المغرب الاقصى، باعتباره مركزا مهما لحكم الانظمة المتعاقبة على حكم البلاد، وتركت المدن الاخرى، ولكننا وجدنا ضالتنا عند بعض المؤرخين الذين اختصوا في كثير من الاحيان بالكتابة عن بعض المدن المغربية المهمة فهذا الانصاري السبتي، محمد بن القاسم(ت ٨٢٥هــ / ١٤٤١م)، في كتابه " اختصار الاخبار عما كان بثغر سبته من الاثار"، حيث قام بجرد مهم للاسواق التجارية والصناعية داخل المدينة، وخاصة في العصر المريني، ومعلوماته في هذا المجال مهمة، لانه ابن هذه المدينة ومعاصر للاحداث. على الرغم من ان اشارته عن الاسواق والحوانيت والتربيعات والمضارب والفنادق لا تخلو من المبالغة.

اما الزركشي، عبد الله بن محمد بن ابراهيم(كان حيا سنة ٨٩٤هــ / ١٤٨٨م) في كتابه " تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية وكذلك السراج، محمد بن محمد الاندلسي(١١٤٩هــ / ١٧٣٦م) في كتابه " الحلل السندسية في الاخبار التونسية ". قدما لنا معلومات اقتصادية عن بعض المدن المغربيين الاوسط والادنى، وخاصة عن مدينتي تلمسان وتونس، واشارا الى العديد من الاسواق الحرفية والمهنية وخاصة في العاصمة تونس في العهد الحفصي، والى اجراءات الحفصيين في بناء الاسواق وتشجيعهم للحركة التجارية الداخلية وبالغائهم العديد من الضرائب التي كانت تفرض على الاسواق في العهود السابقة.

كتب الفقه والحسبة والعملة :-

ان الاعتماد على هذه الكتب ومراجعتها ضرورة ماسة لدراسة الجانب الاقتصادي، وخاصة فيما يتعلق بالامور التي تجري داخل الاسواق، الا ان المؤلفات في فترة هذه الدراسة قليلة نسبيا، ومع ذلك استفدنا، من كتاب الونشريشي، ابي العباس احمد بن يحيى(ت ٩١٤هـ / ١٥١٢م) " المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب "، وكانت فائدتنا من هذا الكتاب كبيرة في مجالات عديدة من الموضوع وخاصة عن اوضاع العاملين في التجارة، وطريقة التعامل في التجارة الداخلية، فضلا عن معلومات اخرى عن العملة السائدة آنذاك، والمعاملات التجارية في البيع والشراء.

اما كتب الحسبة، فلم نجد مصنفا واحد اختص في بلاد المغرب على وجه الدقة في فترة هذه الدراسة، سوى بعض الرسائل التي وصلتنا والتي تخص فترة المرابطين والموحدين، واغلب مؤلفي هذه الرسائل اندلسيون، او على الاقل كتبوا في الاندلس،[1] وقد استعدنا من هذه

(١) انظر مثلا، ابن عبدون، محمد بن احمد. رسالة في القضاء والحسبة، نشرها ليفي بروفنسال، ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب، المعهد العلمي الفرنسي(القاهرة، ١٩٥٥) وابن عبد الرؤوف، احمد. رسالة في اداب الحسبة والمحتسب. نشرها ليفي بروفنسال، ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب. المعهد العلمي الفرنسي(القاهرة، ١٩٥٥) والجرسيفي، عمر بن عثمان رسالة في الحسبة، نشرها ليفي بروفنسال، ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب، المعهد الفرنسي(القاهرة، ١٩٥٥). وانظر السقطي، ابا عبد الله محمد، رسالة في اداب الحسبة، تحقيق وتقديم ج-س لولان، وليفي بروفنسال،(باريس، ١٩٣١).

الرسائل في فترة حكم المرابطين والموحدين في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي، وخاصة عن الضرائب التجارية وطرق جبايتها، وعن المكاييل والموازين والاسعار.

وبعد القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي الى نهاية القرة التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، لم تصلنا مؤلفات للحسبة، وان الاشارات عن وجود محتسبين في بلاد المغرب قليلة جدا، ويعتبر كتاب " تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر"، للعقباني، ابي عبد الله محمد بن احمد (ت ٨٧١هـ / ١٤٦٧م)، هو الوحيد من نوعه في هذه الفترة التاريخية وقد خصص العقباني في كتابه هذا بابا خاصة عن الأسواق وطرق التعامل وعملية الاشراف عليها، ويؤكد على اهمية وجود محتسب في السوق وكما انه اشار الى بعض العادات السيئة التي كانت تجري في اسواق تلمسان وتونس وفاس، ولكن الذي يؤخذ على العقباني، هو ان معلوماته عن الاسواق المغربية قليلة جدا، حيث انها معلومات تكاد تكون اشبه بمعلومات كتب الفقه والاصول.

اما بالنسبة لكتب العملة فيعتبر كتاب " الدوحة المشبكة في ضوابط دار السكة " للحكيم، ابي الحسن بن وسف(ت بعد ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، خير معين لنا في معرفة بعض انواع العملات المستخدمة في التعامل التجاري داخل الاسواق.

كتب التراجم :-

لقد استفدنا من بعضها فائدة كبيرة وخاصة كتاب "التشوف الى رجال التصوف"، لمؤلفة، ابن الزيات، ابي يعقوب يوسف التادلي (ت ٦٢٧هـ /١٢٢٩م)، فهو غالبا ما يذكر مهن من يترجم لهم وكذلك

ثرواتهم، وقد اشار الى بعض اسعار السلع السائدة في عصرهم، كما انه ذكر لنا اسماء بعض المحتسبين في القرنين السادس والسابع للهجرة الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، وهذا بحد ذاته ذو فائدة كبيرة لنا.

كما استفدنا من كتاب، " جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام في مدينة فاس " لابن القاضي، احمد بن محمد(ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦م) وخاصة فيما يتعلق بمعلوماته عن بعض اسواق مدينة فاس، وذكره بعض المحتسبين فيها، وخاصة في العصر المريني.

المراجع الحديثة :

من المؤسف حقا، وهذا ما اشرت اليه في مقدمة هذه الدراسة، ان اغلب الذين كتبوا عن النشاط الاقتصادي لبلاد المغرب خلال عصور الازدهار الاسلامي لم يدونوا عن الاسواق ما يمني ويغني، وان كان ما جاء اشارات عابرة عن الاسواق، على الرغم من ان اغلبهم اسهب في الكلام عن موضوع التجارة وطرق التعامل فيها، وعن العملة والمكاييل والموازين وغيرها من الموضوعات التي استفدنا منها بشكل وبأخر.

وقد ذكرنا ان هناك بعض الدراسات العربية الاكاديمية، تناولت النشاط الاقتصادي للمغرب في العصر الوسيط، عبر مراحل وازمنة مختلفة، فهذا الحبيب الجنحاني، في كتابة " المغرب الاسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية خلال القرنيين الثالث والرابع للهجرة "، قدم لنا معلومات اقتصادية افادنا بها في رسم صورة عن الاقتصاد المغربي قبل فترة دراستنا، وخاصة في مجال العملة والاسعار، وطرق التعامل التجاري، الا انه لم يتطرق الى موضوع الاسواق، واهميتها، الا بمعلومات لم تتعدى بضعة اسطر.

والدراسة الثانية، هي دراسة الاستاذ عز الدين موسى، "النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال السادس الهجري "، وهي بذلك تقع ضمن فترة بحثنا وقد عالج فيها الباحث الارتباط العضوي بين القضايا السياسية والاقتصادية، وان الشيء الذي يجب علينا الاعتراف به عن هذه الدراسة، هي انها افادتنا كثيرا جدا في مجالات عدة، وخاصة فيما يتعلق بالعوامل لمؤثرة في حركة وانتقال السلع والبضائع الداخلية والخارجية، وبعض الاجراءات التي اتخذها المسؤولون من اجل حماية التجار وطرق القوافل التجارية، فضلا عن ذكره للعاملين في القطاع التجاري، وطرق التعامل الجاري، الا انه كان بخيلا علينا بموضوع الاسواق وانواعها وتنظيمها واهميتها والاشراف عليها.

أما الدراسة الثالثة، فهي رسالة الاستاذ، مزاحم علاوي " الاوضاع الاقتصادية على عهد بني مرين(٦٦٨هـ - ٧٥٩هـ / ١٢٦٩-١٣٥٨م) "، وقد افدنا منها في مجال النشاط التجاري وموضوعاته عن العملة والمكاييل وكذلك عن السلع الصادرة والواردة الى اسواق المدن المغربية في العصر المريني الاول، ولكنه كسابقة لم يقدم لنا معلومات وافيه عن الاسواق في فترة دراسته.

ومن الدراسات المغربية التي اطلعنا عليها، هي دراسة نشاط مصطفى، " التجارة في المغرب الاقصى على عهد بن مرين "، جاءت هذه الدراسة مخيبة للامال، فكنت اتوقع منها الشيء الكثير عن الاسواق التي هي مرتكز الحركة التجارية، ويعترف الباحث[1] بتجنبه الحديث عن

---

(١) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الاقصى خلال العصر المريني الاول ، (٦٦٨هـ -٧٥٩هـ / ١٢٦٩ -١٣٥٨م)، رسالة ماجستير من جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الاداب والعلوم الانسانية، (فاس، ١٩٨٦)، ص١٧.

الاسواق بحجة قلة المصادر عن هذا الموضوع، وعدم وجود اشارات تخص الاسواق في المصادر التي استخدمها في رسالته. فاذا كان هذا الباحث يعتذر عن التطرق الى موضوع الاسواق بحجة قلة المعلومات وقلة المصادر، وهو الذي عاش في مدينة فاس، وسافر الى الجزائر وتونس وليبيا وايطاليا، فكيف بنا ونحن نعيش في بلد محاصر منذ اكثر من ست سنوات حصارا اقتصاديا وثقافيا، ونعاني كثيرا من قلة المصادر الخاصة عن بلاد المغرب في المجال الاقتصادي، ومع ذلك فقد اتيت بمعلومات هذه الدراسة من المصادر التي اعتمدها اغلب الذين كتبوا عن الاقتصاد المغربي في عصور الازدهار الاسلامي، وبذلت جهدا كبيرا في الحصول عليها وتوظيفها لصالح هذا الموضوع.

ومن المراجع الحديثة التي افادتنا في مجال اشراف الدولة على الاسواق، هو كتاب لقبال موسى " الحسبة المذهبية في بلاد المغرب نشأتها وتطورها " وعبد الرحمن الفاسي، في كتابه " خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين ".

واخيرا يجب الاشارة الى الدراسة القيمة للاستاذ روجيه، عن مدينة فاس في عهد بني مرين، فهي دراسة شاملة، تناول فيها الجانب الاقتصادي للمدينة في كل مرافقها، واعتمد على وثائق من الصعب الحصول عليها، وافادنا في جوانب عديدة منها فيما يخص الهيئات الحرفية والصناعية، وعن السلع الصادرة والواردة، وكذلك عن العاملين القطاع التجاري، اما كلامه عن الاسواق في مدينة فاس، فهو قليلة جدا وان وجدت فهو يستند في كل الاحوال الى معلومات الحسن الوزان، بكتابه وصف افريقيا.

كما قدم لنا جوليان، في كتابه " افريقيا الشمالية "، معلومات متفرقة عن الدول التي حكمت بلاد المغرب على مر العصور، وكانت معلومته مهمة في انجوانب الاقتصادية ولكنها مختصرة كثيرا.

ومن الدراسات المهمة التي افادتني في رسم الصورة التنظيمية لدراستي هي دراسة الدكتور حمدان عبد المجيد الكبيسي، اسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي.

واعتمدت هذه الدراسة على مصادر اخرى كثيرة كذلك على دراسات ودوريات عربية واجنبية، ستجدها مثبتة في هوامشها، وفي قائمة المصادر والمراجع الملحقة بها.

(الفصل الاول)

(انواع الاسواق في بلاد المغرب وتنظيمها)

اولا – الاسواق العربية الاسلامية المبكرة في بلاد المغرب :

تشير اغلب المصادر التاريخية الى ان العرب قبل الاسلام، كانت تغلب على تجارتهم الاسواق الموسمية، وكانت تقام في ملتقى الطرق التجارية الكبرى. فيفد اليها الناس من اطراف الجزيرة العربية، مثل، سوق عكاظ، ودومة الجندل، وقد يأتيها قوم من خارج الجزيرة العربية، مثل سوق عدن وصنعاء، وغيرها من الاسواق الاخرى والتي وصلت لنا اخبار كثيرة عنها وعن ايام قيامها(١).

اما بعد الاسلام، وبعد انتشار العرب المسلمين في اقطار وبلدان كثيرة غنية بثرواتها، وبعد ان مصروا الامصار، وسكنوا المدن، صارت لهم في الاسواق الثابتة غنى عن الاسواق الموسمية، ومع ذلك فقد بقيت المناطق الريفية والبدوية تقوم فيها اسواق موقتة كثيرة وذلك تبعا لحاجة سكان تلك المناطق لها.

كما ارتبطت الاسواق بانشاء المدن العربية الاسلامية وذهب المستشرق الفرنسي ماسنيون الى ان المدينة العربية الاسلامية قامت على اساس السوق(٢).

---

(١) انظر مثلا. الافغاني، سعيد / اسواق العرب في الجاهلية والاسلام(دمشق ١٩٣٧) ص١٩٣، ص٢٤٠. ونقولا زيادة، الحسبة والمحتسب في الاسلام، المطبعة الكاثوليكية(بيروت، ١٩٦٣)، ص٢٤-ص٢٦.

(٢) ماسنيون، لويس، الهيئات الحرفية والمدينة الاسلامية، مجلة المورد، المجلد الثاني، العدد الثالث، دار الحرية للطباعة(بغداد، ١٩٧٣)، ص١٩، ترجمة : اكرم فاضل.

وفي بلاد المغرب، وعندما انشأت اول مدينة عربية اسلامية فيها وهي مدينة القيروان(سنة ٥٠ هـ / ٦٥١م)، قام القائد عقبة بن نافع الفهري اثناء تخطيطه المدينة بتوزيع قطع ارض للمحاربين وعيالهم لانشاء مساكن لهم، وترك وسط المدينة جاده واسعة تمتد من الجنوب الى الشمال وتبدأ من المسجد الجامع وتنتهي بأخر عمران المدينة فتقسم المدينة الى قسمين، وهي التي اطلق عليها فيما بعد باسم السماط الكبير أي الجادة المصطفة حولها دكاكين التجارات، وقد صارت هذه الجادة وبعد حين قلب العاصمة النابض ومحور حركتها التجارية[١]، ولكن ترتيب الاسواق وتنظيمها داخل هذه المدينة، لم تتبلور الا في عهد الوالي يزيد بن حاتم(١٥٥هـ - ١٧١هـ / ٧٧٢- ٧٨٨م) فقد سجل ابن عذاري[٢] نقلا عن الرقيق القيرواني قوله " قدم يزيد بن حاتم افريقية واصلحها ورتب اسواق القيروان وجعل لكل صناعة مكانا" ويقصد سوقا معينا.

والظاهر ان الترتيب الذي وضعه يزيد بن حاتم لاسواق مدينة القيروان، كان على قاعدة ما كان متعارفا ومألوفا في المدن التي احدثها العرب المسلمين في العراق، كمدينة البصرة، والكوفة [٣].

---

(١) انظر، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات من الحضارة العربية في افريقية التونسية، مكتبة المنار،(تونس، ١٩٦٦)، ص٥٤.

(٢) ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد، البيان لمغرب في اخبار الاندلس والمغرب تحقيق، ج-س كولان، وليفي بوفنسال،(ليدن، ١٩٤٨)، ج١ ص٧٨. وانظر البكري، ابا عبيد عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب. مطبعة الحكومة(الجزائر، ١٨٥٧)، ص٢٥.

(٣) فمثلا برزت ظاهرة التخصص في الاسواق في مدينة البصرة، حيث ان اصحاب كل مهنة يجتمعون معا في مكان مكونين سوقا فرعية صغيرة =

ان هذا التنظيم للوالي يزيد بن حاتم سرى دستوره ليشمل بقية المدن الافريقية الاخرى، كمدينة صفاقس وتونس وسوسة، وامتد هذا التقليد الى بقية المدن كسجلماسة وتلمسان ومراكش، وغيرها من المدن المغربية الاخرى، التي اشتهرت بانواع مختلفة من الاسواق، وسنحاول التعرف على اهم هذه الاسواق في المدن المغربية ي الفترة السابقة لفترة بحثنا، لكي يتسنى لنا معرفة الجذور التاريخية عن نشأة الاسواق في بلاد المغرب وخاصة في مدينة القيروان وتونس وسوسة وصفاقس وتاهرت وسجلماسه، وفاس وغيرها. فالقيروان كما ذكرنا، اول مدينة عربية اسلامية، انشأت في بلاد المغرب ونظمت اسواقها على عهد يزيد بن حاتم. ولدينا في مصادرنا التراثية اشارات الى اهم الاسواق فيها. فمن اشهر اسواقها هو السوق الكبير الذي يسمى بالسماط الكبير، وكذلك، سوق البزازين وحوانيت الصرافين، وسوق التاجر اسماعيل (تاجر الله) وسوق بني هاشم، وسوق اليهود، وحوانيت الرهادنة وغيرها

= داخل السوق الكبير وتختلف اهمية الاسواق الفرعية باختلاف عدد من يعمل فيها، او المهن التي يمتهنونها. انظر، العلي، صالح احمد. التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، مطبعة المعارف(بغداد. ١٩٥٣)، ص٢٢٨– ص٢٤٠. كما ان خالد القسري كان قد صف الاسواق في الكوفة حسب عروض التجار التي تعرض فيها حيث " جعل لكل باعة دارا وطاقا". انظر اليعقوبي. احمد بن ابي يعقوب بن وضح، كتاب البلدان. مطبعة النجف(النجف. ١٩٥٧)، ص٧١، وانظر، الكبيسي، حمدان، اسواق بغداد حتى باية العصر البويهمي، دار الحرية للطباعة(بغداد ١٩٧٩) ص١٦٦. كما برزت ظاهرة التخصص في مدينة بغداد، على الرغم من انها انشأت بعد مدينة القيروان بحوالي القرن من الزمن، ولكن كما ذكرنا ان طبيعة ترتيب الاسواق في المدن العربية والاسلامية كان متشابها نوعا ما. عن اسواق بغداد، انظر الكبيسي، اسواق بغداد، ص١٦٦– ص ١٧٨.

من الاسواق الدائمة[1]. ومن الاسواق الدائمة الاخرى في مدن افريقية، هي اسواق مدينة العباسية التي " تحتوي على انواع المتاجر "[2]، وكذلك اسواق مدينة اجدابية التي " كان يتمتع بها الرفاق من كل جهة "[3] واسواق مدينة المهدية التي اشتهرت "بانواع المتاجر "[4].وهناك اسواق تجارية اخرى كثيرة في مدة رقادة[5]، وسوسة[6]،والمنصورية[7] ، وقابس[8]، وصفاقس وطرابلس[9].

---

(١) انظر عن اسواق القيروان. المالكي، ابا عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية زهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم. تحقيق حسين مؤنس. مكتبة النهضة المصرية.(القاهرة. ١٩٥١) ج١، ص٧٠، ص١٠٩، ص١٣٩، ص١٩٥، ص٣٥١، ص٣٨١، ص٣٩٤، وانظر الدباغ، ابا زيد عبد الرحمن بن محمد، معلم الايمان في معرفة اهل القيروان، اكمله وعلق عليه، ابن ناجي. ابو الفضل بن عيسى التنوخي، تحقيق محمد الاحمدي ومحمد ماضيور، مطابع الرجوي(القاهرة، ١٩٧٢) ج٢، ص٣٥، ص٣٤٣.

(٢) ابن حوقل، ابو القاسم محمد البغدادي، صورة الارض، منشورات مكتبة الحياة،(بيروت، بلا) ص٨١.

(٣) م، ن،٣ص٨١. والرفاق يعني تجار المناطق البعيدة.

(٤) ادم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده (القاهرة، ١٩٤٧)، ج٢، ص٢٨٠

(٥) ابن وردان، مجهول الشخصية، مملكة الاغالبة، تحقيق وتقديم. محمد زينهم ومحمد غرب مكتبة مدبولي(القاهرة، ١٩٨٨)، ص٤٣.

(٦) البكري، المغرب، ص٣٤.

(٧) القرماني، احمد بن يوسف بن احمد، اخبار الدول واثار الاول في التاريخ، عالم الكتب،(بيروت، ١٩٧٨)، ص٤٦٩.

(٨) حسن حسني، ورقات، ج١، ص٦٣.

(٩) ابن حوقل، صورة الارض، ص٧٣، ص٧٦.

اما الاسواق الموقتة في اقليم المغرب الادنى(افريقية)، فهي كثيرة، فقد احتوت مدينة القيروان على سوقين اسبوعيين، هما سوق الاحد وسوق الخميس[1]، حيث كان يتم البيع في هذين السوقين يومي الاحد والخميس من كل اسبوع وذلك لازدياد حركة البيع والشراء فيهما. وفي ناحية غافق بين قابس والقيروان، كان يقوم سوق كل يوم جمع، يطلق عليه سوق الجمعة[2]، ويشير ابن حوقل[3]، الى ان في مدينة باشوا اسواقا تحضر في كل شهر لايام معلومة. الا انه لم يشير الى هذه الايام المعلومة.

وعرفت مدن المغرب الاوسط، هي الاخرى انواعا مختلفة من الاسواق، فالعاصمة تاهرت كانت تحتوي على اسواق كثيرة عامرة بمختلف البضائع[4].

كما اننا نجد بعض الاسواق في تاهرت تحولت الى مدن مهمة نتيجة ازدهارها التجاري، كمدينة سوق كرام، ومدينة سوق ابراهيم[5]. واشتهرت سوق اخرى باسم ابن وردة في تاهرت[6]. وعرفت مدينة

---

(١) المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، تحقيق ج، دي، غوية، ابريل(ليدن، ١٩٠٦)، ص٢٥٥.

(٢) م. ن، ص٢٢٤.

(٣) صورة الارض، ص٧٥.

(٤) البكري، المغرب، ص٦٨.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص١٠٤ . البكري، المغرب، ص٦٠.

(٦) ابن الصغير المالكي، اخبار الائمة الرستميين وسيرهم، تحقيق احمد بكير وفخاز ابراهيم، دار الغرب الاسلامي(تونس، ١٩٨٨)، ص٤٥.

تنس اسواقا حافلة كثيرة[١]. اما الاشارات عن وجود اسواق مؤقتة في المغرب الاوسط، فهي غير متوفرة لدينا، الا ان احد الباحثين المحدثين[٢]. يذكر، ان القبائل البدوية غالبا ما كانت تقصد اسواق مدينة تاهرت، واسواق المدن الشمالية منها في اشهر من السنة لغرض عملية البيع والشراء. وفي المغرب الاقصى،كانت مدينة فاس عاصمة الادارسة ، حافلة بعدد كبير من الاسواق[٣] واستمر نشاط اسواق هذه المدينة مزدهرا خلال حكم المرابطين والموحدين وبني مرين كما سنفصل.

وانتشرت الاسواق المؤقتة في مدن المغرب الاقصى، فهناك سوق الجمعة في مدينة درعة، حيث اشار البكري[٤] الى ذلك " وعلى وادي درعة سوق في كل يوم جمعة في مواقع مختلفة منه معلومة ربما كان منها في اليوم الواحد سوقان وذلك لبعد مسافته وكثرة الناس عليه تطول عمارته المتصلة سبعة ايام ". اما سوق قصر ابي موسى القريبة من مكناسة، فقد كانت تقوم يوم الخميس من كل اسبوع[٥].وهناك سوق

---

(١) مجهول. الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق، سعد زغلول عبد الحميد،(الاسكندرية، ١٩٥٨)، ص١٧٣

(٢) بحاز ابراهيم، الدولة الرستمية، دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، رسالة ماجستير على الالة الطابعة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٨٣، ص١٨٨.

(٣) السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد الناصري، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى(الدار البيضاء، ١٩٥٤)، ج١، ص١٤٧- ص١٦٤.

(٤) البكري، المغرب، ص١٥٢، الاستبصار، ص٢٠٦.

(٥) حسن علي، تاريخ المغرب في عصر الولاة، مطبعة المختار(القاهرة، ١٩٧٧) ص٢٥٨.

بني مغروات، حيث تعقد يوم الثلاثاء من كل اسبوع[١]، وفي مدينة اصيلا كانت تقوم سوق جامعة ثلاثة مرات في السنة[٢].

ومن هذا الاستعراض السريع لاهم الاسواق المهنية والحرفية المبكرة لبلاد المغرب، يتضح لنا ان كثيرا من المدن المغربية قد احتوت على نوعين من الاسواق هي الثابتة والمؤقتة، وتعد مدينة القيروان، اكثر المدن المغربية اسواقا، الا ان التنظيمات المهنية والحرفية لم تتبلور بالشكل المعروف عنها في هذه الاسواق، الا في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وما بعده حيث حدث تبلور واضح في مجال التنظيم ومنها التنظيمات الاقتصادية، فقد شهدت بعض المدن المغربية، انتعاشا اقتصاديا كبيرا في ظل الحكومات المتعاقبة على حكم البلاد، كمدينة مراكش، وفاس وسبته، وتلمسان، وتونس، وغيرها من المدن المهمة، وسنحاول جاهدين التعرف على اسواق هذه المدن، وتنظيماتها والانشطة التي مارسها سكان المغرب في هذه الاسواق. ولابد من القول ان نشاط الاسواق المغربية في فترة بحثنا، ما هو الا امتداد لما كان عليه في القرون الاولى، مع بروز مدن ومراكز اقتصادية جديدة بفعل التغيرات السياسية في بلاد المغرب، واثر هذه التغيرات في الحياة الاقتصادية عامة، والاسواق خاصة والتي تمثل مركز النشاط الاقتصادي في حياة المدينة.

وستكون دراستنا للاسواق في اقاليم بلاد المغرب المختلفة في فترة بحثنا ليس على اساس العهود والانظمة السياسية، بقدر ما هي عليه داخل كل اقليم من اقاليم بلاد المغرب الثلاث(المغرب الادنى،

---

(١) البكري، المغرب، ص١٥٧.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢٣٢.

المغرب الاوسط، المغرب الاقصى)، والسبب في ذلك يعود الى طبيعة المعلومات المتوفرة في مصادرنا التراثية عن الاسواق.

انواع الاسواق:

١-الاسواق الدائمة

وهي الاسواق الثابتة داخل المدينة، والتي لا تكاد تخلو أي مدينة منها. كان توزيع الاسواق الدائمة على نطاق واسع في مدن بلاد المغرب خلال فترة بحثنا. بالرغم من ان الكتاب العرب في العصر الوسيط، قد وجهوا اهتمامهم الى اسواق المدن الكبرى والمراكز السياسية فيه، فمثلا نالت اسواق مدينة فاس الاهتمام الكبير، لانها كانت مركزا لحكم لاكثر من نظام سياسي نشأ في بلاد المغرب(الادارسة – والمرابطين لفترة معينة، والمرينيين). اما مدينة مراكش عاصمة المرابطين والموحدين في المغرب الاقصى، فقد شهدت اسواقها ازدهارا اقتصاديا كبيرا، ولكن سرعان ما قل بريق هذا الازدهار في عهد بني مرين.

وفي المقابل لابد من القول، ان بعض مدن وحواضر الاقاليم المغربية المختلفة، لم تحظ باهتمام الكتاب في فترة بحثنا، لانها كانت بعيدة عن مراكز الحكم والادارة. ففي فترة حكم المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، لا نجد معلومات واضحة عن اسواق مدن اقليم المغرب الادنى(افريقية)، كالقيروان والمهدية وتونس، لانها كانت خارج نطاق حكم المرابطين من جهة، ولسيطرة القبائل الهلالية على هذه المدن واشاعة الفوضى فيها مما اضعف نشاط الحياة الاقتصادية من جهة اخرى. [illegible] نفسه كان في فترة حكم الموحدين في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، حيث ظلت اسواق مدن المغربين الادنى والاوسط في فوضى سياسية،

ويتدني اقتصادية مما جعلها بعيدة عن اهتمام الكثير من كتابنا العرب المحدثين.

وبعد نهاية الموحدين، وانقسام بلاد المغرب الى كيانات سياسية(كبني مرين في المغرب الاقصى، وبني زيان في المغرب الاوسط، وبني حفص في المغرب الادنى)، نجد ان وضع الاسواق قد تغير، فقد انتعشت مدينة تونس في المغرب الادنى واصبحت في عهد الحفصيين مقصدا للتجار، وذلك بسبب السياسة الاقتصادية التي تبناها الحكام الحفصيون، حيث عملوا بكل جهودهم على عقد العديد من الاتفاقيات التجارية مع الدول الاوربية، وخاصة مع الجمهوريات الايطالية[1]، لذلك امتلأت تونس بانواع الاسواق المختلفة، وكثرت البضائع والسلع المتداولة في اسواقها، وغدت تنافس مدينة فاس عاصمة بني مرين.

اما مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية، فقد احتلت اسواقها مكانة اقتصادية كبيرة باعتبارها نقطة التقاء القوافل التجارية الذاهبة الى بلاد السودان الغربي، بالرغم من انها كانت بين قطبي رحى، حيث غالبا ما تهدد من قبل المرينيين والحفصيين.

وعلى اية حال، ان اهتمام الكتاب العرب بالمدن الكبرى، لم يمتنعا من البحث عن المدن المغربية الاخرى، التي وجدنا بعضها قد احتل مكانة اقتصادية مهمة، خاصة، مدينة صفاقس في المغرب الادنى، ومدينة سبتة في المغرب الاقصى، حيث احتوت هذه المدن على اسواق وفنادق عديدة لشاد بها العديد من المؤرخين، كما سنوضح لاحقا.

---

(١) سنبحث هذه الاتفاقيات في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

ويبدو لنا ان تقدير عدد الاسواق داخل المدن المغربية، شيئا لم يكن دقيقا من قبل الكتاب، حيث غالبا ما يصف الكاتب المدينة بانها ذات اسواق كثيرة او تحتوي على اسواق واسعة، ولكنه لم يوضح عدد هذه الاسواق، الا في اشارات عرضية وردت لنا عن اسواق مدينة فاس وسبته وتونس، من مؤرخين عاشوا في هذه المدن.

وفي ضوء المعلومات المتوفرة في مصادرنا عن اسواق المدن المغربية، سنقدم وصفا شاملا ودقيقا لاهم الاسواق الثابتة، المتخصصة منها والجامعة.

ففي المغرب الادنى، كانت مدينة تونس في فترة دراستنا اهم مدن هذا الاقليم، بعد ان فقدت المدن الكبرى داخل هذا الاقليم اهميتها الاقتصادية على يد الاعراب الهلاليين، كمدينة القيروان والمهدية وسوسة وطرابلس ورقادة وصبرة وغيرها من المدن التي كانت مزدهرة على ايام الاغالبة والفاطميين ونستهل كلامنا عن مدينة تونس بما قاله البكري[1]. فهو يصف اسواقها بقوله " وفي مدينة تونس اسواق كثيرة ومتاجر عجيبة".

ويشير الكعاك[2] استنادا على بعض الوثائق والاثار الى بعض الاسواق الثابتة في تونس في العصر الموحدي، منها سوق القشاشين (والذي يطلق عليه بسوق العصر)، وهي سوق اكثر حركتها التجارية

---

(١) البكري، المغرب، ص٢٠، ويبدو ان وصف البكري هذا لاسواق تونس كان في ظل سيطرة العرب الهلاليين على هذه المدينة في فترة حكم المرابطين لبلاد المغرب، مما يدل على ان اثار الخراب الاقتصادي بدأ يتلاشى ع مرور الزمن لمدن هذا الاقليم.

(٢) الكعاك، عثمان، العلاقات بين تونس وايران عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (تونس، ١٩٧٢)، ص١٣٨.

عصرا تباع فيه الخردة،وهناك سوق النحاس التي تباع فيه الاباريق والطشوت والاطباق والصواني والقدور[1].

ومن اسواقها الاخرى، سوق الصوف قرب جامع الزيتونة، وسوق الملافين(وهو سوق الاقمشة الصوفية الرقيقة والناعمة)، وسوق القطانين باعة القطن، وسوق الندافين، وسوق السراجين، وسوق البرادعة، وسوق الشكازين(والشكاز، هو الذي يلبس الجلد للهيكل الخشبي الذي يصنعه) وكذلك سوق الخراطين لغرض صناعة العاج[2].

وفي العهد الحفصي،اهتم الحكام الحفصيون اهتماما واسعا بالاسواق فقد شيدوا عددا كبيرا منها في العاصمة تونس، وجدد بعض الحكام الاسواق القديمة ففي عهد ابي زكريا يحيى الحفصي(٦٣٤هـ - ٦٤٧هـ / ١٢٣٧م - ١٢٤٩م)، شيد سوق العطارين بتونس سنة (٦٣٤هـ / ١٢٣٧م)[3].

وفي عهد محمد المستنصر بالله(٦٤٧هـ - ٦٧٥هـ / ١٢٤٩م - ١٢٧٧م)، كان هناك في العاصمة تونس سوق يسمى بسوق

---

(١) الوزان، وصف افريقيا، ص٤٤٩.

(٢) الجزنائي، ابو الحسن علي، جني زهرة الاس في بناء مدينة فاس، اعتناء الفرد بل، مطبعة باستيد(الجزائر، ١٩٢٣)، ص٦٩، ص٧٠، وانظر الكعاك، عثمان، الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، مطبعة لجنة البيان العربي (القاهرة، ١٩٦٥)، ص٧٣-ص٨٣.

(٣) السراج، محمد بن عمر الاندلسي، الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر(تونس، ١٩٧٠)، ص ١٠٣٥، ابن ابي دينار، ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، تحقيق محمد شمام(تونس، ١٣٨٧هـ)، ص١٢٤.

الفلقة[1]، ولا نعرف على وجه الدقة ماهية هذا السوق[2]، وفي اشارة للسراج[3]،يذكر فيها بان هناك سوق في تونس يسمى سوق الكتبيين، وذلك على عهد ابي زكريا الثاني الملقب بالواثق(٦٧٥هـ -٦٧٨هـ / ١٢٧٧م - ١٢٧٩).

وكان في ايام ابي بكر بن ابي زكريا(٧١٨هـ - ٧٤٧هـ / ١٣١٨م -١٣٤٦م) في تونس اكثر من سبعمائة حانوت عطار، وكان يصنع في ايامه كل يوم اربعة الاف قفيز قمح[4]. واشار ابن ابي دينار[5] الى سوق الشماعين بتونس، وكانت تباع فيه السبايط(أي الواح الشموع).

ويعدد الزركشي[6]، عددا اخر من اسواق العاصمة، مثل سوق القزانين، والصفارين والقشاشين، وسوق الفحم، وسوق الرهاونة، وسوق العطارين والفخارين والعزافين.

---

(١) السراج، الحلل السندسية، ص١٠٨١؛ ابن ابي دينار، ص١٤٤.

(٢) لعل هذا السوق، هو سوق النحاس كما اشار بذلك الزركشي، محمد بن ابراهيم. تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور (تونس. ١٩٦٦). ص١٣١، ص١٣٦، ص١٤٢.

(٣) الحلل السندسية، ص١٠٣٥، وفي اشارة من العامري، ان هذا السوق كان يطلق عليه سوق الوراقين، انظر العامري، محمد الهادي، تاريخ المغرب في سبعة قرون بين الازدهار والذبول من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، الشركة التونسية للنشر،(تونس، ١٩٧٤)، ص١٦٦.

(٤) السراج، الحلل السندسية، ص١٠٥١، ابن ابي دينار : المؤنس، ص١٤٤.

(٥) المؤنس، ص١٣٤.

(٦) تاريخ الدولتين، ص١١٦، ص١١٧.

اما حسن الوزان[1]، فيشير الى بعض اسواق تونس المهمة في بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، تظم عددا كبيرا من تجار القماش، والصناع العطارين وبائعي الاشربة والعقاقير، وتجار الحرير والعطور والغرائين والخياطين والسراجين والفاكهيين والخبازين والقصابين.

وبذلك اعتبرت مدينة تونس في فترة دراستنا اكثر مدن افريقية(المغرب الادنى) اسواقا حيث بلغ عدد اسواقها الدائمة اكثر من عشرين سوقا، واكبر اسواقها هو سوق العطارين الذي بلغ اكثر من سبعمائة دكان وهذا ما اشرنا اليه سابقا.

ومن مدن المغرب الادنى المهمة مدينة صفاقس، والتي احتوت على عدد من الاسواق الدائمة كسوق الربع[2]،وهو يشبه سوق اليهود في القيروان في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي[3]، ومن اسواقها ايضا سوق الفاكهيين، لبيع وشراء الفاكهة، وهو من املاك أل

---

(١) الوزان، الحسن بن محمد الزياتي، وصف افريقيا، ترجمة محمد الحجي ومحمد الاخضر(الرباط، ١٩٨٢)، ج٢، ص٧٥.

(٢) ويطلق عليه ايضا بسوق الرهادنة. وسوق الربع في صفاقس سمي بهذا الاسم هو لجلوس الناس في هذا المكان متربعين، حيث ان هذا السوق كل دكاكينه كانت ترتفع عن الارض بنحو المتر، وتجاره يجلسون متربعين، لذلك سمي بسوق الربع، ولربما سمي بسوق الربع، لان البضاعة التي كانت تباع فيه، يدفع عنها ربع الثمن الذي يبعث فيه كلوازم ضريبية، لذلك سمي بسوق الربع. انظر في هذا الصدد، الكافي، ابو بكر، صفاقس، منشورات التعاضدية العمالية.(صفاقس، ١٩٦٦)، ج١، ص٨٠، ص٨١.

(٣) الكافي، صفاقس، ج١، ص٨١، هناك حجج عديدة لبيع وشراء بعض الاسواق في صفاقس ترجع معظمها الى نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، انظر / صفاقس، ج١، ص٨٤.

الحضائري[١]، وسوق الكمادين، وهو خاص بكمد الثياب وتقصيرها، وسوق الحدادين والنجارين، وسوق الصباغين الذي كان يعرف فيه كل شيء، حيث معامل الصناعة ولوازمها التي يحتاجها العاملون، مما جعله كثير الرواج يقصده الفلاح والنساج والجزار والصناع[٢].

وفي مدينة سوسة، اسواق كثيرة المتاجر كما اشار بذلك القلقشندي[٣]، وفي مدينة قابس اسواق واسعة، واهمها سوق الحرير المخصص لبيع الاقمشة الحريرية[٤]، ويوجد على خليج قابس سوق كبيرة يطلق عليها محمد المرزوقي[٥]، باسم(تاكاب او تاكابس)، وتعني سوق قابس، وذلك استنادا الى بعض المخطوطات التي اطلع عليها، ويرى المشرفي[٦] انها ترجع الى نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. اما مدينة توزرو، ففيها اسواق دائمية كثيرة، حتى اطلق

---

(١) الكافي، صفاقس، ج١، ص٨١، هناك حجج عديدة لبيع وشراء بعض الاسواق في صفاقس ترجع معظمها الى نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، انظر / صفاقس، ج١، ص٨٤.

(٢) م. ن. ج١، ص٨٨، ص٩٠.

(٣) القلقشندي، احمد بن علي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، دار الكتب،(بيروت، ١٩٨٧)، ج٥، ص١٠٥.

(٤) الادريسي، ابو عبد الله المعروف بالشريف، وصف افريقية الشمالية الصحراوية، تصحيح هنري بيرس،(الجزائر، ١٩٥٧)، ص٧١.

(٥) المرزوقي، محمد، قابس جنة الدنيا، مكتبة الخانجي، ومكتبة المثنى،(بغداد، ١٩٦٢)،ص٧٠.

(٦) المشرفي، محمد محي الدين، تاريخ افريقية الشمالية(المغرب، بلا)، ج٤، ص٢٤٧.

عليها التجاني[1] بانها مدينة للقصارين، حيث يوجد في داخلها سوق كبيرة للقصارين " ينشرون فيه الثياب الملونة والاقمشة الوشية مما يعمه على كبره ".وشهدت مدينة طرابلس هي الاخرى اسواق متخصصة كثرة بحب الحرف والمهن[2].

وفي مدينة الغديد يشير الانصاري الدمشقي[3]، الى وجود سوق يسمى بسوق حمزة، وهو من اشهر اسواقها. واشتهرت مدينة المنستير في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بكثرة الاسواق ،ومن اسواقها المشهورة سوقالربع[4].وفي مدن المغرب الاوسط، كان هناك اسواقا دائمة كثيرة ايضا، وخاصة في مدنه الكبرى، كمدينة تلمسان، ووهران وتنس وبجاية، وغيرها من المدن التي بقيت محافظة على نموها وازدهارها الاقتصادي.فمدينة تلمسان، ذات اسواق ومتاجر عديدة . وكانت مقصدا للتجار[5] ومن اسواقها المعروف" سوق الاسكافيين[6]،

---

(١) التجاني، ابو محمد عبد الله بن محمد، رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة التونسية(تونس، ١٩٥٨، ص١٥٧، ص١٥٨.

(٢) الوزان، وصف افريقيا، ج٢، ص٩٧.

(٣) الانصاري، شمس الدين ابو عبد الله محمد الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (لايبرزك، ١٩٢٣)، ص٢٣٧.

(٤) سليمان مصطفى، المنستير ماضيها ومعالمها الاثرية، الدار التونسية للنشر (تونس، بلا)، ص٦.

(٥) البكري، المغرب، ص ١٠٧، الادريسي، وصف افريقية، ص٦٧. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٠٥.

(٦) ابن الاحمر، اسماعيل بن يوسف، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق جهيوتسل باول، وجورج مركاس،(باريس، ١٩١٧)، ص٤٦.

وسوق الكتب[١]، وقدر احد الباحثين متاجرها في عهد بني زيان بالف وخمسمائة متجر[٢]، وذلك استنادا الى بعض الوثائق القديمة. وشهدت مدن وهران وتنس اسواقا حافلة مخصصة لبيع الخبز الرقيق[٣]. ومن اسواق مدينة بجاية في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، سوق الصوافين والذي كان للفقيه ابي محمد عبد الله الشريف حانوتا للخياطة فيه[٤]. وفي اقليم المغرب الاقصى، كثرت الاسواق الدائمة في مدنه الرئيسية، واهتم كتابنا بالاسواق المهمة في هذا الاقليم، خصوصا وانه شهد قيام دول متعاقبة في فترة بحثنا(المرابطين ، الموحدين ، بني مرين). فمدينة مراكش في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، عرفت اسواقها اتساعا كبيرا في جميع الانشطة الاقتصادية ولم تقتصر اسواقها على السلع المتداولة محليا، بل جلبت اليها العديد من البضائع والسلع من مناطق بعيدة واشتهرت بعدد من الاسواق الدائمة، كسوق الدخان ، الصابون والمغازل والصفر[٥]، ويشير

(١) التنسي، محمد بن عبد الله، نظم الدرر والعيقان في شرف بني زيان، تحقيق محمد بو عياد، المكتبة الوطنية(الجزائر، ١٩٧٥)، ص٤٦.

(٢) الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية(الجزائر، ١٩٥٣، ج٢، ص٢٦٢.

(٣) المراكشي، عبد الله بن علي بن عبد الواحد، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة،(القاهرة، ١٩٤٩)، ص١١٢.

(٤) الغبريني، ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق وتعليق عادل نويهض، منشورات لجنة التاليف والنشر والترجمة،(بيروت،١٩٦٩)، ص١٩٥.

(٥) الادريسي، وصف افريقيه، ص ٢٥، وسوق الدخان يعني خلط الاسفلت بالزيت.

الادريسي[1]، واصفا مدينة مراكش بقوله " ومدينة مراكش في هذا الوقت من اكبر مدن المغرب الاقصى... واسواقها وسلعها نافقه ".

ومن اسواق مراكش الاخرى، سوق الحنطة، وسوق البهائم، وسوق الكتب وسوق الجبب، الخاص ببيع الجبب، وسوق الدباغين والاسكافيين[2].

اما مدينة فاس، التي اسسها الادارسة في نهاية القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، فقد كانت اسواقها تعج بالنشاط الاقتصادي منذ عصر المرابطين والسلاوي[3]، ذكر ان اسواق مدينة فاس رتبت منذ عهد يوسف بن تاشفين، حيث قام بترتيب اسواقها عام(٤٦٤ هـ / ١٠٧١م) وكثرت اسواقها في عهد الموحدين، ففي اشارة للجزنائي[4] يذكر فيها ان عدد المتاجر او الحوانيت في مدينة فاس بلغت اكثر من تسعة الاف واثنين وثمانين حانوتا وقيصريتين مخصصتين لبيع الثياب.

---

(١) وصف افريقيا، ص٤٥، وفي اشارة لابن بطوطة، يقارن فيها اسواق مراكش باسواق بغداد، حيث يذكر ان اسواق بغداد افضل من اسواق مراكش، انظر، ابن بطوطة، ابا عبد الله بن ابراهيم، حفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، المعروف برحلة بن بطوطة، تحقيق، علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة،(بيروت، ١٩٧٩)، ص٤٤٠.

(٢) العمري، احمد بن علي بن فضل الله، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق مصطفى ابو ضيف، مطبعة الدار البيضاء(المغرب، ١٩٨٨)، ١٣٤ وانظر ابن رشد، محب الدين محمد بن عمر، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهه الى الحرمين مكة وطيبة. تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، شركة النشر التونسية،(تونس، ١٩٨١)، ج٣، ص١٣٤.

(٣) السلاوي، الاستقصاء، ج٢، ص١٠٧.

(٤) جني زهرة الآس، ص٣٣، ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٤٧.

الا ان اسواق فاس زادت اهميتها في عهد بني مرين عندما اتخذوها عاصمة لحكمهم، فابن الاحمر(١) يشير الى عدد من اسواقها المشهورة، ومن اهمها سوق بني فده، نسبة الى عائلة بني فده، حيث كان احد افراد عائلتها يسكن في حانوت داخل هذا السوق وهناك سوق الرصيف، ورحبة الزبيب، وسوق العدول، التي اشتهرت به عائلة بني الدخيل، وسوق البلاجين، الذي كان يصنعون فيه مغاليق الابواب وسوق الجزارين وسوق مغراوة، نسبة الى قبيلة مغراوة، وسوق القصارين.

وفي اشارة لأبن قنفذ(٢)، يذكر فيها الى ان هناك في مدينة فاس سوق يسمى سوق السلسلة، ولربما كان مختصا لصنع السلاسل الحديدية، وهناك سوق الصاغه ويقع في وسط المدينة قرب دار السكة، وسوق الزيت وسوق الفخار(٣). الا ان اهم واوسع وصف لاسواق مدينة فاس هو ما دونه الحسن الوزان في بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي في كتابه " وصف افريقيا " وهو امتداد لما كان معروف عن اسواق فاس في القرون السابقة.

بدأ الوزان(٤) بسوق العدول الذي يحتوي على ثمانين دكانا، وفي كل دكان عدلان والى الغرب من ذلك نحو ثلاثين دكانا للكتبيين،

---

(١) ابن الاحمر، اسماعيل بن يوسف، بيوتات فاس الكبرى(الرباط، ١٩٧٢) ص٩، ص١٠، ص٢١، ص٢٤، ص٤٤، ص٤٨، ص٥١.

(٢) ابن قنفذ، ابو العباس القسطيني، انس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وادولف فور، (الرباط ١٩٦٥)، ص٧٥.

(٣) المنوني، محمد، ورقات من الحضارة المغربية في عهد بني مرين.(الرباط، ١٩٧٩)، ص٢١ وانظر، روجيه، لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة الدكتور نقولا زيادة، مكتبة لبنان، (بيروت، ١٩٦٧)، ص٣٩، ص٤٠.

(٤) وصف افريقيا، ج١، ص١٨٤.

والى الجنوب بائعة الاحذية الذين يشغلون قرابة مائة وخمسين دكانا، يشترون الاحذية والخفاف من الخرازين، الذين يصنعون احذية الاطفال، ويبلغ عدد دكاكينهم مئة وخمسين دكانا، ثم باعة الفواكه الذي يبلغون نحو خمسين دكانا يبيعون فيه فواكههم، وبعدهم الشماعون الذين يصنعون الشمع باجمل الاشكال، ثم بائعو الازهار الذين يبيعون ايضا الليمون والحامض، ويبلغ عدد دكاكينهم نحو العشرين، وبعددهم بائعو اللبن، الذين يشترون اللبن من البقّارين كل صباح في اوعية من خشب مطوقة بالحديد. وبعد اللبانين بائعوا القطن الذين يبلغ عدد دكاكينهم ثلاثين، والى الشمال منهم بائعوا مصنوعات القنب كالحبال وازمة الخيل والخيوط والشرائط الرفيعة، ثم يأتي بعد ذلك صانعو النطق الجلدية والخفاف والازمة الجلدية المطرزة بالحرير، ثم بعدهم صانعو المندان الذين يصنعون اغمدة السيوف واغطية صدور الخيل، ثم بائعو الملح والجبس ثم بائعو الاواني الخزفية ذات الصنعة المتقنة والالوان الزاهية، ويبلغ عدد دكاكينهم مائة دكان، وبعدهم بائعوا اللجم والاحزمة والسروج والراكبات ولهم ثمانين دكانا، ثم يصل الى مجمع الحمالين، الذين يبلغ عددهم ثلاثمائة حمال وهم في وسط ساحة يحيط بها سياج مربع من القصب، وفي وسط هذه الساحة ايضا باعة الجزر، وتقوم حول الساحة بعض الدكاكين تباع فيها الشعرية[1]، وفي الجهة الشمالية من هذه الساحة سوق الاعشاب، ويضم هذا السوق نحو اربعين دكانا، ثم بائعوا سوق الدخان حيث تباع الفطائر المقلية في الزيت، ثم بائعوا الزيت والسمن والعسل والجبن الطري والزيتون والليمون الحامض[2]، وعلى

(١) الوزان، وصف افريقيا، ج١، ص١٨٥-١٨٦.

(٢) م، ن، ج١، ص١٨٦.

مسافة قريبة يوجد سوق الجزارين في نحو اربعين دكانا، وبعدهم ياتي سوق الاقمشة الصوفية الغليظة محتويا على مائة بكانا، ثم ياتي بعد ذلك صانعو اقفاص الدجاج يصنعونها من القصب ولهم اربعين دكانا[1]. ثم بائعو الصابون السائل، وقريب منهم بائعي الدقيق ثم بائعي التين في نحو عشرة دكاكين، ثم السوق الذي يباع فيه خيط الكتان[2].

اما الجزء الغربي الممتد من جوار جامع القرويين الى الباب المؤدي الى طريق مكناس، يوجد على خط مستقيم سوق الدخان، وصانعوا الدلاء، ويشغلون نحو اربعة عشر دكانا. ثم صانعو الظروف التي يخزن فيها الدقيق والقمح، ولهم ثلاثين دكانا، ثم الاسكافيون وبعض الخرازون الذين يصنعون نعالا للناس ويشغلون نحو مائة وخمسين دكان، وبعدهم صانعو التروس والدرق الجلدية وصانعوا قرابيس سروج الخيل، ثم الحرفيون الذين يزخرفون الركابات واللجم ويشغلون نحو اربعين دكانا، وبعدهم الحدادون الذين يصنعون القطع الحديدية المزخرفة لطقوم الخيل، ثم صانعو السروج، ولهم ثمانة دكان ثم صانعوا الرماح[3].

ومن اهم اسواق مدينة فاس، هو سوق التجار، الذي هو اشبه بمدينة صغيرة مسورة بجدران ينفتح فيها اثنا عشر بابا، وينقسم هذا السوق الى خمسة عشر حيا، اثنان مخصصان للخرازين الذين يصنعون الاحذية للاعيان، وهناك حيان اخران مخصصان لتجار الاقمشة الحريرية ويشغلون نحو خمسين دكانا، وخمسين دكانا اخرى لبيع الحرير

(1) الوزان، وصف أفريقيا ، ج١، ص١٨٧.

(2) م، ن، ج١، ص١٨٨.

(3) م ، ن ، ج ١، ص١٨٨، ص١٨٩.

الملون[1]، ثم بعد ذلك حيانٍ لخران يشغلهما تجار الاقمشة الصوفية المستوردة من اوربا، وبعد ذلك يحتل الخياطون ثلاثة لحياء، ثم حيا خاصا بالعمال الذين يصنعون ضفائر حواشي الثياب، ثم حيان لتجار الكتان وتجار القمصان والاقمشة النسائية، وهؤلاء اغنى تجار مدينة فاس[2]، وحيا اخر يصنع فيه جميع ما تزين به البرانس من بلوطات الحرير، ثم في حي لخر تباع ملابس من القماش الاوربي المستخدم، حيث يلتي بها اهل المدينة ليبيعونها عندما تصبح بالية او لاي سبب اخر، ولخيرا هناك حي خاص يعاد فيه بيع القمصان القديمة المصنوعة من الكتان والاغطية والفوط[3].

اما سوق العطارين فهو من الاسواق العظيمة في مدينة فاس، حيث تبلغ عدد دكاكينه نحو مائة وخمسين دكانا، وتباع فيه المواد المتعلقة بالعطارة والطب، والى جانب سوق العطارين من الشرق، صانعوا الابر في نحو خمسين دكانا، ثم دكاكين الخراطين، ثم الرقاقين وباعة الصابون ولا تزيد عدد دكاكينهم عن العشرين، ثم سوق الطيريين، بائعي الطيور الجميلة، ثم صانعوا الاسلحة في عشرة دكاكين، وبعدهم خمسين دكانا لصانعي المكانيس، ثم صانعي المكاييل والصباغين[4].

اما القسم الشرقي من مدينة فاس، فهو اقل تحضرا من القسم الغربي، ويقصد الوزان بالقسم الشرقي، أي فاس العتيقة التي يطلق

---

(١) الوزان، وصف أفريقيا ، ج١، ص١٨٩.

(٢) م ، ن ، ج١، ص١٨٩.

(٣) م، ن، ج١، ص١٩٠.

(٤) م ، ن ، ج١، ص١٩٢.

عليها بعدوة الاندلسيين، والتي كانت اسواقها اقل ازدحاما من اسواق عدوة القرويين[1] والسبب يعود كون عدوة القرويين هي مركزا مهما لاستقطاب التجار، وذلك للتطور الحضاري والنمو المدني الذي شهدته هذه المدينة.

ومن اسواق عدوة الاندلسيين، سوق العطارين الذي لا يزيد عدد دكاكينه عن ثلاثية دكانا، ثم سوق الفخارين، ودكاكين البزازين وهي مجتمعة في مكان واحد[2].

واخيرا يذكر الوزان[3]، الى انه يوجد في مدينة فاس خمسمائة دارا للنساجين يبلغ عدد العاملين فيها نحو المائة وخمسين الف عامل، وهناك ايضا ثمانمائة، معملا لقصاري الخيوط..

ويتبين لنا من وصف الوزان هذا لاسواق مدينة فاس، ان هذه الاسواق ما هي الا نسيج العصور القديمة التي مرت بهذه المدينة الشهيرة منذ تأسيسها من قبل الادارسة في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي حيث اصبحت عاصمة لاكثر من دولة في اقليم المغرب الاقصى، وان ما وصلت اليه الاسواق ايام الوزان، هو خزين النضج المهني والحرفي للمجتمع الفاسي.

كما يتبين لنا من نص الوزان هذا، ان الاسواق الحرفية، قد اخذت حيزا واسعا في مدينة فاس، وخاصة اسواق الجلود والمنسوجات، ان اكبر الاسواق الحرفية، هو سوق الاسكافيين والخرازين، الذين بلغ

---

(١) الوزان، وصف أفريقيا ، ج١، ص١٩٢.

(٢) م ، ن ،ج١، ص١٩٣.

(٣) م، ن ،ج١، ص١٩٣.

عدد دكاكينه مئة وخمسين دكانا، بينما كان سوق العطارين من اكبر الاسواق المهنية في فاس، حيث بلغ عدد دكاكينه مئة وخمسين دكانا.

ويبدوا ان تقدير عدد الاسواق في فاس وعدد دكاكينه الواردة عند الوزان يشر بعض التساؤلات، ما دام الوزان لا يشير في بعض الاحيان الى مصطلح السوق وانما يذكر كلمة بائعو او صانعو سلعة معينة، فهل يا ترى كانوا يملكون سوقا خاصا بهم ؟ وما هي سعته ؟. اما الاسواق التي يسميها، ولا يذكر عدد دكاكينها فهي تجعلنا نسأل، ما هو حجمها، وما المساحة التي اخذتها مقارنة بالاسواق الاخرى.

وفيما يخص الاسواق الحرفية والمهنية الواقعة على الارصفة او الساحات العامة فيبدوا انهم لا يمتلكون دكاكين، بل يفترشوا الارض بضائعهم وسلعهم، فهل هذه الساحات والارصفة تقع ضمن الاسواق او خارجة عنها ؟

اما كلامه عن سوق التجار الكبير المتكون من اثنا عشر حيا وكل حي يتكون من مجموعة من الاسواق المتخصصة كما يقول الوزان، فنحن نسأل ما هو عدد هذه الاسواق وعدد دكاكينها. وما دمنا لا نستطيع الاجابة على هذه التساؤلات. فاننا بالتالي لا نستطيع ان نقدم احصائية عددية مضبوطة لاسواق مدينة فاس في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، ومع ذلك نقول، ان اسواق فاس في عهد بني مرين كانت اوسع واشمل اسواق بلاد المغرب.

جدول يبين لنا اسواق مدينة فاس من خلال نص الوزان

اسم السوق	عدد دكاكينه	نوع الحرفة والمهنة
سوق العدول	ثمانون دكانا	المأذونين الذين يمارسون مهنة عقود الزواج والطلاق
سوق الكتبيين	ثلاثون دكانا	سوق خاص ببيع الكتب وتزويقها
سوق باعي الاحذية	مئة وخمسون دكانا	يشترون الاحذية والخفاف من الخرازين
سوق الخرازين	مئة وخمسون دكانا	الذين يصنعون احذية الاطفال
سوق باعة الفواكه	خمسون دكانا	يبيعون فيها انواع الفواكه
سوق الشماعين	لا يذكر عدد الدكاكين	وهم يصنعون الشمع باجمل الاشكال
سوق بائعي الزهور	عشرون دكانا	يبيعون الازهار والليمون والحامض
سوق بائعي اللبن	لا يذكر عدد الدكاكين	يشترون اللبن من البقالين كل صباح في اوعية من خشب مطوقة بالحديد ثم يبيعونه
سوق بائعي القطن	ثلاثون دكانا	شراء القطن وبيعه
سوق بائعي مصنوعات القنب	لا يذكر عدد الدكاكين	وتشمل الحبال واحزمة الخيل والخيوط والشرائط الرفيعة
صنعو النطق الجلدية	لا يذكر عدد الدكاكين	يصنعون النطق الجلديةوالاحزمة الجلدية المطرزة بالحرير
صنعو المشدات	لا يذكر عدد الدكاكين	يصنعون اغمدة السيوف واغطية صدور الخيل
سوق بائعي الملح والجبس	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الملح والمواد الخاصة بالبناء
سوق بائعي الاواني الحرفية	مئة دكان	لصنع الاواني المتقنة ذات الالوان الزاهية
سوق بائعي اللجم والسروج	ثمانون دكانا	لبيع اللجم للخيول والاحزمة

اسم السوق	عدد دكاكينه	نوع الحرفة والمهنة
		والسروج
سوق بائعي الجزر	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الجزر
سوق بائعي الشعرية	بعض الدكاكين	لبيع الشعرية
سوق الاعشاب	اربعون دكانا	لبيع انواع مختلفة من الاعشاب
سوق الدخان	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الفطائر المقلية بالزيت
بائعو الزيت والسمن	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الزيت والسمن والعسل والجبن الطري والزيتون والليمون الحامض
سوق الجزازين	اربعون دكانا	لبيع اللحوم
سوق الاقمشة	مئة دكان	لبيع الاقمشة الصوفية الغليظة
صانعو اقفاص الدجاج	اربعون دكانا	يصنعونها من القصب
سوق بائعي الصابون	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الصابون
سوق بائعي الدقيق	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع انواع من الدقيق
سوق بائعي التبن	عشرة دكاكين	لبيع شرائح التبن
سوق الكتان	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع خيوط الكتان
سوق صانعي الدلاء	اربعة عشر دكانا	يصنعون الدلاء الخاصة برفع الماء من البئر
سوق صانعي الظروف	ثلاثون دكانا	يصنعون الظروف التي يخزن فيها الدقيق والقمح
سوق الاسكافيين والخرازين	مئة وخمسون دكانا	لتصليح وصناعة احذية الناس
سوق صانعي التروس	لا يذكر عدد الدكاكين	لصناعة التروس والدرق الجلدية
مزخرفية الركابات	اربعون دكانا	يزخرفون الركابات للخيول واللجم
سوق الحدادين	مئة دكان	لصناعة القطع الحديدية المزخرفة لطقوم الخيل او لصناعة السروج للخيل
سوق التجار	خمسة عشر حيا	وهي مجموعة من الاسواق لتجار

اسم السوق	عدد دكاكينه	نوع الحرفة والمهنة
	ولكل حي مجموعة من الاسواق	الاقمشة المختلفة
سوق الأقمشة الصوفية	خمسون دكانا	لتجار الاقمشة الحريرية
سوق الحرير	خمسون دكانا	لبيع أقمشة الحرير الملون
سوق الاقمشة الصوفية المستوردة من اوربا	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الاقمشة الصوفية المستوردة
الخياطون	(ثلاثة احياء) لا يذكر عدد الدكاكين	لخياطة انواع الاقمشة
سوق صانعي الحواشي	(حيا واحدا) لا يذكر عدد الدكاكين	لصناعة حواشي الثياب
سوق بائعي الكتان	(حيان) لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الكتان
سوق بائعي الاقمشةالنسائية	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الاقمشة النسائية والقمصان
سوق صانعي البرانس	(حيا واحدا) لا يذكر عدد الدكاكين	لصناعة البرانس من بلوطات الحرير
سوق بائعي الاقمشةالاوربية	(حيا واحدا) لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع القماش الاوربي المستخدم
سوق العطارين	مئة وخمسون دكانا	تباع فيه المواد المتعلقة بالعطارة والطب
الخراطين	بعض الدكاكين	صانعو اواني النحاس
الرقاقين	بعض الدكاكين	الذين يصنعون الخبز الرقيق
باعة الصابون	عشرون دكانا	لبيع الصابون
سوق الطيرين	لا يذكر عدد الدكاكين	بائعي الطيور الجميلة
صانعو الاسلحة	عشرة دكاكين	لصناعة الاسلحة النارية
صانعو المكانيس	خمسون دكانا	لصناعة مكانيس التنظيف
صانعو المكاييل	لا يذكر عدد الدكاكين	لصناعة انواع مختلفة من

اسم السوق	عدد دكاكينه	نوع الحرفة والمهنة
		المكاييل
الصباغون	لا يذكر عدد الدكاكين	لصباغة الملابس والاقمشة
سوق العطارين	عشرون دكاناً	لبيع انواع من المواد المتعلقة بالعطارة
سوق الفخارين	لا يذكر عدد الدكاكين	لصناعة انواع الفخار
سوق البزازين	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع وخياط الاقمشة

ومن مدن المغرب الاقصى المهمة، مدينة سبته التي كانت محط السفار والتجار[1]، وقد دون السبتي[2]، وصفا لاسواقها، فلحصى عدد الاسواق باكثر من مئة واربعة وسبعون سوقا، ومن اشهر هذه الاسواق واكثرها واشرفها قدرا واجملها مراس، هو سوق العطارين العظيم، وسوق العدول وسوق الانية الصفرية القوية المصبغة العجيبة الصنعة، " وسوق السقاطين وهو سوق ذو مساحة واسعة وحسن وترتيب وكثرة انواع البضائع التي تحتويه"، ويضيف السبتي قائلا " ان عدد الحوانيت في هذه المدينة على عهده، بلغت اربعة وعشرون الف حانوتا"، ويشير انه، " كانت في الزمن القديم اكثر من ذلك "[3].

اما التربيعات(وهي اسواق صغيرة جديدة في طرز بنائها، حيث كانت مربعة الشكل) وقد احتوت على عدد من الحوانيت، مثل الخياطين والجزارين والقزازين والحراريين وغيرهم، وهي ليست كاطرزة

---

(١) الانصاري الدمشقي، نخبة الدهر، ص٢٣٥.

(٢) السبتي، محمد بن القاسم الانصاري، اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من الاثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية،(الرباط، ١٩٦٩)، ص٣٩.

(٣) م، ن، ص٣٩.

الصناعة ولا كاسواق التجارة وكان عددها في سبته احدى وثلاثون تربيعة أعظمها التربيعة التي باسفل زقاق خطاب سامية كلتها معلقة بالهواء، وهي مخصصة بالاطرزة للثياب الرفيعة[١].

كما عرفت مدينة سبته المضارب(وهي اسواق لبيع الاسماك)، وسبب احتوائها على هذه المضارب. لانها مدينة بحرية تقع على ساحل البحر المتوسط، حيث احتوت تسعة مضارب منها ما هو بداخلها ومنها ما هو بخارجها، وقد اعطت الدولة المرينية بعض تلك المضارب لبعض الشخصيات اكراما لها، كما حدث للفقيه ابي العباس الحسيني، فكان موردة منها في كل يوم يصل الى الفي دينار[٢].

ومن وصف السبتي لاسواق مدينة سبته يتضح لنا، ان عدد الاسواق فيها يفوق بكثير عدد الاسواق في المدن المغربية الاخرى خلال فترة هذه الدراسة، فقد بلغت اسواقها الثابتة اكثر من مئة واربعة وسبعون سوقا، وبلغ عدد دكاكينها اكثر من اربعة وعشرون الف دكانا.

وكما ذكرنا سابقا ان تقدير عدد الاسواق داخل المدن المغربية شيئا لم يكن دقيقا من قبل بعض الكتاب، فهل يعقل ان تحتل مدينة سبته المقام الاول بكثرة الاسواق الثابتة فيما لم تحتوي مدن مغربية مهمة على هذ العدد الهائل من الاسواق، وخاصة مدينة مراكش وسجلماسة وتلمسان، وتونس، وغيرها من المدن الاخرى . اما مدن المغرب الاقصى الاخرى، فالاشارات عن اسواقها علمة فالادريسي[٣]، اشار الى

---

(١) السبتي، اختصار الاخبار، ص٤٠، ولا تزال الى الان في مدينة فاس تربيعة يطلق عليها بتربيعة العطارين، م، ن، ص٤٠، هامش ٥٩.

(٢) م، ن، ص٥١.

(٣) الوزان ، وصف افريقيا، ص٤٧.

قرية مكول قرب مدينة مراكش بانها ذات اسواق نافقه وسلع كثيرة، اما سلا فهي ذات اسواق ثابته نافقه، والطعام كثير في اسواقها، واشتهرت مدينة مكناسة بالاسواق العامرة، اما طنجة فهي ذات اسواق عامرة وعجيبة[1]. ان هذه الاسواق التي ذكرها الادريسي ترجع الى عصر المرابطين والموحدين حيث دون الادريسي معلوماته في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ولم يرد لها ذكر في عهد بني مرين.

وفي مدينة رباط الفتح، اسواق مهمة، مثل سوق الفاكهة والخضروات والاسماك والطيور، وكذلك سوق الغزل وسوق السباط[2].

واشار الوزان[3]، في نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي الى اسواق مدينة تدنست في اقليم حاجا(وهو من اقاليم مراكش قريب من البحر المحيط)، وفي هذه المدينة دكاكين كثيرة للتجار الذين يبيعون القماش المستعمل في تلك المدينة، ونسيج الكتان المستورد من البرتغال، وفيها بعض الصناع الاسكافيين والحدادين والخياطين وبعض الصاغة اليهود.

وفي اشاره للقرماني[4] عن اسواق مدينة سجلماسة يذكر " ان اسواقها يسير الراكب فيها نصف يوم فلا يقطعها "، وذلك لكبر وامتداد اسواقها على طول المدينة، وخاصة ونحن نعرف ان سجلماسة كانت مقصدا لتجار الافاق، حيث موقعها المتميز بطريق القوافل التجارية

(١) الوزان، وصف أفريقيا ،ج١ ، ص٥٢، ص٥٩.

(٢) السوسي، عبد الله، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار الغرب الاسلامي،(الرباط، ١٩٧٩)، ص١١٦.

(٣) الوزان ، وصف افريقيا، ج١، ص٧٨.

(٤) اخبار الدول واثار الاول، ص٤٥٣.

الرابطة بين بلاد السودان الغربي ومدن المغرب المختلفة، فلابد وانها احتوت على اسواق جامعة بهذا الحجم الذي وصفه القرماني.

٢- الاسواق المؤقتة:

بجانب الاسواق الثابتة التي لا تخلوا أي مدينة منها، وجدت اسواق مؤقتة تقام في ايام معلومة من الاسبوع او الشهر، وكان سبب قيامها، هو حاجة سكان القرى والارياف البعيدة عن مركز المدينة للتبضع ما يفتقدونه في معيشتهم اليومية فضلا عن بيع ما ينتجونه من محاصيل زراعية، او ما يقومون بعمله من صناعات بسيطة لذلك نرى ان كثيرا من الاسواق المؤقتة، كانت تقوم خارج اسوار المدن وفي القرى والمدن النائية وفي المناطق الجبلية والبعيدة عن مركز المدن الرئيسة.

ويرى كالتون كون[١]، ان اكثر الاماكن التي تتوفر فيها ميزة الاسواق المؤقتة هي عندما تكون القرى قريبة بعضها مع البعض داخل المدينة، ففي كل قرية يعرف الناس انها لا تتوفر فيها سلعة معينة، فيضطر الى الذهاب الى القرية الاخرى في يوم معلوم من الاسبوع لجلب ما يحتاجونه من السلع التي يفتقدونها بينما ياخذون معهم ما يحتاج سكان تلك القرية التي يعقد فيها السوق، وهذه العملية لا تكلف المتسوق كثيرا، حيث غالبا ما يتبضع وينصرف في يومه، بينما يكلف ذهابه الى اسواق مراكز المدن كثيرا من الوقت والمال.

---

(١) كالتون كون، القافلة، قصة الشرق الاوسط، ترجمة برهان الدين الدجاني، مراجعة احسان عباس، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر،(بيروت، نيويورك، ١٩٥٩)، ص٢٥٧. ص٢٥٨.

ففي افريقيه(المغرب الادنى)، كانت مدينة تونس،اعظم مدينة في هذا الاقليم في فترة هذه الدراسة، تحتوي على سوق يطلق عليه سوق الاربعاء حيث ان عملية البيع والشراء كانت تتم في هذا السوق يوم الاربعاء[1]،وهناك سوق القشاشين او سوق العصر، كما يطلق عليه، حيث تنعقد هذه السوق بعد صلاة العصر حول الجامع بتونس وكانت تباع فيه الخردة[2].

وفي مدينة صفاقس، هناك سوق الجمعة. وهو اول سوق احدث في هذه المدينة على ايام الاغالبة واشتهر ايام الحفصيين، وكان يقصده سكان القرى المجاورة بانتاجهم، وسمي باليوم الذي يعقد فيه، وكان على ايام الاغالبة، يباع فيه كل شيء ثم اختصر على ايام الحفصيين على بيع الثياب القديمة والاثاث العتيقة[3].

ويوجد في جزيرة جربه سوق اسبوعية خاصة ببيع وشراء الماشية، حيث ينفرد الاعراب القادمون من خارج الجزيرة بالاتجار بالماشية، ويعيش معظم سكان الجزيرة من تجارة قماش الصوف الذي يصنع فيها، ويقدم لنا الوزان[4]، وصفا لهذا السوق بقوله : "كأنه معرض اذ يحتشد فيه جميع سكان الجزيرة، ويقصده عدد كبير من الاعراب الوافدين من اليابسة سائقين معهم ماشيتهم، وحاملين معهم كمية وافره من الصوف..". ويذكر التجاني[5]، سوقا في مدينة القصر

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات من الحضارة العربية. ج١، ص٣٧٩.

(٢) الكعاك، العلاقات التونسية الايرانية، ص١٥٦.

(٣) ابو بكر الكافي، صفاقس، ج١، ص٧٨.

(٤) الوزان، وصف افريقيا ، ج٢، ص٩٤.

(٥) الرحلة، ص٣٢٥، ومن الجدير بالذكر ان الادريسي يعدد لنا بعض الاسواق المؤقتة التي كانت تقوم في بعض الحصون، ويبدوا ان سبب قيام =

القديم، يعقد قرب السور الخارجي لها، ويكون هذا المكان مجتمع اهلها لنصب سوقهم " وهي سوق نافقه ضخمة يجتمع البربر من جميع الاقطار المتنائية في كل جمعة فيبيعون هنالك كل ما يجلبونه ".

اما اقليم المغرب الاوسط، فقد عرفت بعض مدنه هذا النوع من الاسواق قسنطينة كان يقوم فيها سوق كل اسبوع في ايام مختلفة منه(أي ليس له يوم محدد في الاسبوع)، " يقصده عدد كبير من تجار قسنطينه والقاله، وعلى هؤلاء التجار ان يتخذوا صديقا لهم في كل جبل يمرون فيه كضامن، اذ بدونه لا يمكن ان ينصفهم احدا اذا اخدعوا في بضائعهم(١).

وفي مدينة عنابة كان هناك سوق الجمعة الذي كان يعقد خارج اسوار المدينة ويستمر انعقاده الى المساء(٢).

= هذه الاسواق الصغيرة داخل هذه الحصون. هو خوف سكنن هذه الحصون من هجمات الاعراب الهلاليين لذلك اكتفوا بعقد اسواقهم داخل حصونهم على الرغم من من بساطتها، ومن اهم هذه الاسواق هو سوق الجمعة الذي كان يعقد في حصن زندري، وسوق اخرى كانت تعقد اسبوعيا في حصن مازونه قرب مدينة مستغانم، حيث يباع فيه العسل والسمن واللبن، وغيرها الكثير من الحصون في افريقية، انظر وصف افريقية، ص٦٩، ص٧٢.

(١) الوزان، وصف افريقيا ، ج٢، ص١٠٣.

(٢) م، ن، ج٢، ص٦٢. ويكثر الادريسي من شاراته عن اسواق الحصون في اقليم المغرب الاوسط، وخاصة في مدينة غزة، وحصون مدينة الخضراء ويشير ايضا الى وجود اسواق اسبوعية في مدينة بجاية في حصن الخميس والجمعة والاثنين، وهي ايام انعقادها، كما يوجد سوق مؤقت في حصن كزنابه، انظر، وصف افريقية، ص٥٦، ص٥٨، ص٦٥ ويبدوا لنا ان اسواق هذه الحصون كانت بسيطة في انعقادها والمواد التي تحتويها وذلك =

اما اقليم المغرب الاقصى، فقد حفلت اغلب مدنه المختلفة بكثرة هذا النوع من الاسواق، فمدينة مراكش عاصمة المرابطين والموحدين، كما يشير بعض الاثريين كانت منطقة محايدة ينعقد فيها سوق اسبوعي يجمع بين سكان الجبال والسهول في اطار نشاط تجاري تبادلي وتكاملي بينهما(١). ولم تسعفنا المصادر بوجود اسواق مؤقتة في هذه المدينة عندما كانت عاصمة لحكم المرابطين والموحدين.

اما مدينة فاس، ففيها بعض الاسواق الاسبوعية، منها سوق الخميس، حيث ينعقد هذا السوق خارج الاسوار، وكان الملتقى الاقتصادي والتجاري بين سكان المدينة وسكان الريف، حيث كان الفلاحون يأتون بمنتجاتهم لبيعها كالابقار والاغنام والماعز والحمير والخيل والطيور، فضلا عن بعض المصنوعات البسيطة كآنية الفخار والقماش المزرق باشكال مختلفة، وكانت انعقاد هذه السوق يكون اكثر ملائمة عندما يكون الطقس صافيا وجميلا(٢). اما سوق الغبار بمدينة فاس، فكان يعقد اسبوعيا يقصده عدد من اعراب البادية(٣).

= بسبب حرص سكان هذه الحصون على عدم كشف امرهم في كثير من الاحيان للاخرين.

(١) المجدوبي، عبد العزيز، من وسائل التصير واستعمال المجال في العصرين المرابطي والموحدي، ضمن كتاب مراكش من التأسيس الى اخر العصر الموحدي، اشغال الملتقى الاول(الدار البيضا، ١٩٨٩)، ص٧٩.

(٢) الحجوي، محمد المهدي، حياة الوزان وآثاره(الرباط، ١٩٣٥)، ص ٩٠، وانظر، كون كالتون، القافلة، قصة الشرق الاوسط، ترجمة برهان الدين دجاني، مراجعة احسان عباس، مؤسسة فرانكلين (بيروت، نيويورك، ١٩٥٩)، ص٢٥٧، ص٢٥٨، وروجيه فاس في عصر بني مرين، ص٥٦.

(٣) الادريسي، وصف، ص٥٢.

وفي شمال قصر ابي موسى، سوق يقصده التجار كل يوم خميس يجتمع اليه جميع قبائل مكناس، وهي سوق نافقة لما يجلب اليها، ويقصد اليها من قريب وبعيد ويسمى بالسوق القديمة[1]. وفي مدينة درعة اسواق حافلة كانت تعقد يوم الجمعة في مواقع كثيرة منه ومتقاربة، وربما كان سوقان في يوم واحد في المواضع النائية وكذلك في سائر البلاد[2].

وشهدت مدينة رباط الفتح سوق يطلق عليه بسوق الغزل، وقد اطلق عليه هذا الاسم لكونه سوقا لبيع الصوف الخام وخيوط المغزول الصالحة لمعامل النسيج والبطانية والزرابي، وشهد هذا السوق ايضا بيع الجلود المدبوغة، وكان انعقاده مرتين في الاسبوع[3].

ومن الاسواق الاسبوعية المهمة في هذا الاقليم هو سوق تاكاويت الذي قال عنه ابن خلدون[4] " ويقصده التجار من الافاق، وهو من الشهيره لهذا العصر بمكان" وكذلك سوق شاله الذي كان يعقد ليلة السابع والعشرين من رمضان في كل سنة[5].

---

(١) الوزان، وصف أفريقيا ، ص٥٢.

(٢) مجهول الاستبصار، ص٢٠٦.

(٣) الوزان، وصف افريقيا، ج١، ص٩٥، انظر، عبد الله السوسي، رباط الفتح، ص١١٦.

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر والديون المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار الكتاب اللبناني،(بيروت، ١٩٦٨) د١، ص٢٧٤.

(٥) ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق احمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الاهواني، دار النشر المغربية،(بغداد، بلا)، ج١، ص٧٥.

وفي مكناسة الزيتون، كان يعقد سوق قرب الاسوار كل يوم اثنين، "فيحج اليه عدد كبير من الاعراب من القرى المجاورة، ياتون بابقارهم واغنامهم وسائر اصناف ماشيتهم ويحملون كذلك السمن والصوف وكل هذا كان يباع بابخس الاثمان"[١].

وفي اشارة لابن الخطيب[٢]، ذكر فيها، ان في منطقة دكالة في المغرب الاقصى، سوق مؤقت يعقد لاحد الايام " ويحتشد اليها للناس حضى ويتقاطرون من كل مرمى يمثلون في صعيد واحد وقد خيمت على تجارتهم وظلوا ولا ينفض الجمع الا مع انقضاء بياض ذلك اليوم "، فيما يشير الكانوني[٣]، انه هناك سوق يطلق عليه سوق السانس بمنطقة دكالة كان يعقد يوم السبت من كل اسبوع. وفي منطقة اكلا(اصيلا)، وهي على نهر درعه، وهي ناحية تقوم سوق في باديتها كل اسبوع يقصده لاعراب من هذه الناحية وتجار فاس[٤].

وهناك سوق يقوم يوم للسبت من كل اسبوع في مدينة تيدسي في السوس الاقصى يقصده الفلاحون والاعراب والجبليون[٥].

ويذكر الوزان[٦]، بعض الاسواق المؤقتة التي كانت تقوم في جبال المغرب الاقصى ففي جبل بني فنزكار " كان هناك سوق كبير يعقد

---

(١) الوزان، وصف أفريقيا ، ج١، ص١٧٠.

(٢) نفاضة الجراب، ص٧٤، وربما كان اسمع سوق موسى، انظر المصدر نفسه، ص٧٥.

(٣) الكانوني، ابو عبد الله محمد بن محمد، جواهر الكمال في تراجم الرجال، القسم الثاني من تاريخ اسفي وما اليه(المغرب، ١٣٠٦هـ)، ص١٣٠.

(٤) الوزان ، وصف افريقيا، ج١، ص٢٣٩.

(٥) م ، ن ، ج١، ص٩٥.

(٦) م ، ن، ج١، ص٢٤٨.

يوم السبت من كل اسبوع، حيث تجد فيه كل اصناف التجار وانواع البضائع، ويقصده الناس، حتى الجنويون(من مدينة جنوة الايطالية) لشراء الشمع وجلود البقر وارسالها الى جنوة والبرتغال". وفي جبل بني منصور من جبال بلاد الريف، يقيم اهالي هذا الجبل سوقا اسبوعيا يكثر فيه البصل والثوم والزبيب[1]، ويقيم سكان جبل بني وردان سوقا يوم السبت من كل اسبوع، وكان سوقا كبيرا يلتقي فيه فلاحو ناحية كرط، وخاصة تجار الحديد، وتتم المبادلات التجارية بينهما[2]، كما ان سكان جبل بني زرويل يقيمون سوقا اسبوعيا لا يعرض فيه غير التين المجفف والزبيب والزبد[3].

وهناك بعض الاسواق المؤقتة، يدوم انعقادها فترة طويلة، ويمكن ان نطلق عليها بالاسواق الموسمية، حيث يصل انعقادها الى خمسة عشر يوما، كما هو الحال في سوق مدينة هاوكس في اقليم حاحا[4]. كما ان سكان مدينة اديكيس في اقليم حاحا ايضا يقيمون فيها سوقا سنويا يجتمع فيه جميع السكان من الجبال المجاورة الذين هم اشبه بالوحوش منهم بالبشر وتكثر في هذا السوق البهائم والزبد والزيت، وكذلك الحديد والثياب المنسوجة، وقد يستمر انعقاد هذه السوق اكثر من خمسة عشر يوما، وقد يصل الى الشهر[5].

وفي ناحية جزولة في منطقة السوس الاقصى، هنالك سوق يستمر انعقاده لمدة شهرين، حيث يقدم فيه الطعام لجميع الغرباء الذين

---

(١) الوزان، وصف أفريقيا ، ج١، ص٢٥٦.

(٢) م ، ن ، ج١، ص٢٦٩.

(٣) م، ن، ج١، ص٢٥٨.

(٤) م، ن ، ج١، ص٧٥.

(٥) م،ن، ج١، ص٨٠.

يتواجدون هناك حيث تعقد هذه السوق في جبل يكتنفه جبلان، ويحرسه حراس اشداء، ويجتمع في هذا السوق تجار الماشية وتجار النسيج والاقمشة والخردوات، ويقصده تجار الناحية كلها، بل وحتى تجار السودان[1].

واخيرا، يمكن القول، ان انتشار الاسواق المؤقتة في بلاد المغرب يكاد يتماشى مع حاجة السكان لقيام مثل هذه الاسواق، لذلك نرى ان اغلب المدن الكبرى تفتقر لوجود اسواق مؤقتة، بسبب الاكتفاء الذاتي للسكان لشراء ما يحتاجونه من الاسواق الثابتة الزاخرة داخل هذه المدن، وخاصة مدينة مراكش وتلمسان وسجلماسة وغيرها.

وسنقدم احصائية تقريبية تؤيد ما ذهبنا اليه، بحسب المعلومات التي وردتنا فقد بلغت الاسواق المؤقتة داخل المدن الرئيسية حوالي سبعة اسواق موزعة كالاتي:

المغرب الادني : سوقان

المغرب الاوسط : سوقان

المغرب الاقصى : ثلاثة اسواق

في حين بلغت الاسواق المؤقتة داخل القرى والجبال والمدن الصغيرة حوالي سبعة وعشرون سوقا موزعة كالاتي :

المغرب الادني : خمسة اسواق

المغرب الاوسط : ستة اسواق

المغرب الاقصى : ستة عشر سوقا

---

(١) الوزان، وصف أفريقيا ، ج١، ص١١٤-١١٥.

٣-الاسواق المتنقلة :-

فضلا عن الاسواق الدائمة والمؤقتة والموسمية التي عرفتها بلاد المغرب، نجد نوعا اخر من اسواق يمكن تسميته بالاسواق المتنقلة، حيث وردتنا اشارات تخص هذا النوع من الاسواق، ويبدو لنا ان هذا النوع من الاسواق كان منتشرا بشكل او بأخر، ولكن ليس على نطاق واسع.

فمن انواع هذه الاسواق هي اسواق الجيوش، حيث نجد عددا من الباعة والتجار يصحبوا الجيوش اثناء تقدمها الى المعارك، حاملين معهم ما يحتاجه الجند من بضائع وسلع، ففي اثناء حصار مدينة المهدية من قبل عبد المؤمن بن علي سنة(٥٥٣هـ / ١١٥٨م)، وكما يقول المراكشي(١)، بلغت الاقوات اسعارا فاحشة فمثلا " اشترى اصحاب عبد المؤمن الباقلاء في العسكر سبع باقليات بدرهم مؤمني، وهو نصف درهم النصاب " وبهذا نجد ان الباعة الذين يصحبون العسكر، كانوا يستغلون قلة الاقوات وطول مكوث الجيش فيرفعوا من اسعار حاجياتهم.

كما وردتنا اشارتان عن هذا النوع من الاسواق في العصر المريني، يقول ابن ابي زرع(٢)، عن الاسواق التي كانت تعقد اثناء

---

(١) المعجب، ص١١٠، وانظر، البيذق، ابا بكر الصنهاجي، اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، اعتنى بتصحيحه، ليفي بروفنسال(باريس، ١٩٢٨)، ص٩٠، ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، نشر او بثي ميرندا، ومحمد بن تاويت الطنجي، (الرباط، ١٩٦٣)، ج٤، ص٣٥، ص٣٨، ص٣٩.

(٢) ابن ابي زرع، ابو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس اعتناء كارل يوجن تورن برغ(اويسالة، ١٨٤٣)، ص٥٢.

الحملات العسكرية المرينية في الاندلس، وقد قيل عن سعتها " انك اذا غاب عنك رفيقك او من تعرفه، لا تكاد تلقاه الا بعد اليومين او الثلاثة لكثرة الخلق " وكان ذلك على عهد يعقوب بن عبد الحق، (٦٥٦هـ - ٦٨٥هـ / ١٢٥٨م - ١٢٨٦م)، كذلك السوق الذي قام اثناء حصار مدينة تلمسان على عهد يوسف بن يعقوب(٦٨٥هـ - ٧٠٦هـ / ١٢٨٦م / ١٣٠٦م)[١].

اما النوع الثاني من الاسواق المتنقلة، فهي الاسواق التي ترافق سير قوافل الحج، حيث يقيم الباعة والتجار دكاكينهم عند كل محطة استراحة، ويعرضون فيها بعض السلع الضرورية[٢]. ويبدوا ان هذا النوع من الاسواق كان منتشرا كثيرا، حيث ان المسافة بين بلاد المغرب والاماكن المقدسة في الجزيرة العربية يتطلب توفير اقوات كثيرة للحجاج، فلابد من مرافقه سير القوافل بهذه الاسواق.

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج١، ص٩٧.

(٢) كارلتون كون، قصة الشرق الاوسط، ص٤٨٠، كما ان تنظيم الاسواق المرافقة للجيوش كان بسيطا ايضا، حيث يضع التجار بضائعهم على الارض وتتم عملية البيع والشراء، في وقت انعدام الاقوات لدى الجند، على الرغم من ان بعض الحكومات سعت دائما على توفير اقواتهم في ظل الحملات العسكرية، وخاصة الموحدين، فلابد لهم ان سعوا بكل الطرق والوسائل للتخلص من ارتفاع الاسعار بهذه الاسواق، انظر، ابن صاحب الصلاة ابي مروان، المن بالامامه على المستضعفين بان جعلهم الله أئمة وجعلهم الوراثين، السفر الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي دار الاندلس،(بيروت، ١٩٦٤)، ص٥٩.

٤-الفنادق:

اعتبرت الفنادق احد اهم المنشآت التجارية، الملحقة بالاسواق داخل المدن.استخدم مصطلح فندق على وجه الدقة في بلاد المغرب، باعتباره المكان المخصص لاقامة الانسان والحيوان على خطوط القوافل التجارية، لذلك فهو يقترب من مصطلح الخان الذي كان منتشرا كثيرا في مناطق الشرق الاسلامي، وتتكون الفنادق من ساحة محاطة ببنايات من الجهات الاربعة وتستخدم الطوابق الارضية بصورة عامة لاقامة الحيوانات التي تصحب القوافل التجارية، كما يحتوي الفندق على مخازن للبضائع تخزن فيه الى حين استلامه من قبل اصحابها.

اما الطابق العلوي فيتوزع على عدة غرف بمجموعات تحيط بالبناية يقيم فيها الناس ويتميز الباب الخارجي المؤدي الى الطريق بكبر حجمه مما يسمح للحيوانات المحملة بالبضائع للمرور[١].ويشرف على الفندق موظف يعرف باسم الفنداقي[٢].

وانتشرت الفنادق على نطاق واسع في بعض مدن المغرب المهمة وأدت دورا عظيما في الحياة الاقتصادية، فقد كانت تجري فيها تحرير عقود البيع والشراء بواسطة سمسار يكون واسطة بين البائع والمشتري، كما ان هناك مناد ينادي على البضائع بالمزاد العلني، وهناك امين لتسعير البضائع والوقوف على سلامتها من الغش[٣].

---

(1) Tourneau , ric, S.V.(Funduk) E.I. Vol.II , New Idition , 1965 , P.945.

وانظر. يوسف جرجيس، التنظيمات التجارية في بلاد الشام، ص٧٩.

(٢) نعيم فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب.(القاهرة، ١٩٧٣)، ص٢٨٨، ص٢٨٩

(٣) الكعاك، الحضارة العربية، ص٦٥.

ان المعلومات عن الفنادق، لا توضح لنا ماهية هذه الفنادق او عددها في المدن المغربية، الا باشارات عرضيه ولكنها مهمة، فمثلا في اقليم افريقية احتوت بعض مدنه على فنادق في الطرق المؤدية الى دخول المدينة، مثل فندق مدينة بنزرت وفندق القيروان وفندق سوسة[1].

وفي مدينة تونس، اهتم الحكام الحفصيون بالنشاط الاقتصادي فشيدوا الاسواق وعجت عاصمتهم بعدد كبير من الفنادق[2]،ومن اهمها فندق الملح (ربما سمي بهذا الاسم لتخصصه بخزن الملح وتصديره او بيعه)، وكذلك فندق البياض(أي الفندق الخاص بجمع الفحم)، وفندق الخضرة، وفندق الادام وفندق القمح[3].

ونلاحظ هنا ان كل فندق من هذه الفنادق قد تخصص بنوع معين من السلعة او البضاعة، وهي بذلك تشبه الاسواق في تخصصها.

كما احتوت مدينة تلمسان وبجاية في المغرب الاوسط على عدد كبير من الفنادق، وخاصة في عهد ابي سعيد عثمان الزياني(٦٨٠هـ - ٦٩٧ هـ / ١٢٨٣م - ١٣٠٤م)[4]، وعندما اسس بنو مرين مدينة

---

(١) الكعاك، الحضارة العربية، ص٦٥، ص٦٦.

(٢) هنالك بعض الفنادق في مدينة تونس الحفصية، شيدت في بعض المواقع للتجار الاجانب حيث كانوا يجتمعون بحسب قومياتهم في فنادق خاصة، ويتاجرون تحت اشرف قنصل معتمد لدى العاهل الحفصي، انظر جوليان، شارل الاري، تاريخ افريقية الشمالية، تعريب محمد المزالي والبشير بلا سلامة، الدار التونسية للنشر،(تونس، ١٩٥٨)، ج٢، ص١٩٠.

(٣) السراج، الحلل السندسية ص١٠٧٢، الزركشي، اخبار الدولتين، ص١١٧.

(٤) الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج٢، ٢٢٦٨، وانظر، بجاية، نشره تصدرها وزارة الاخبار (الجزائر، ١٩٧٠)، ص٨.

المنصورية(تلمسان الجديدة) لتكون منافسة لتلمسان القديمة، " فقد استبحرت بالعمران، وبنو فيه فنادق للتجار الاجانب الذين رحلوا اليها من الافاق "[1].

وكثرت الفنادق في المدن المهمة في اقليم المغرب الاقصى، باعتباره مركزا مهما لنظام الحكم في فترة هذه الدراسة، ومن الطبيعي ان يستقطب انظار التجار من الافاق، فلابد اذن من وجود فنادق لايوائهم مع بضائعهم.

ففي مدينة فاس انشئت العديد من الفنادق في سنة(٤٦٢هـ / ١٠٦٩م) وخصصت لكل فندق بضاعة معينة، حيث كان تجار مدينة فاس الكبار يخزنون تاجرتهم التي يستوردونها من الخارج في هذه الفنادق، قبل بيعها الى التجار الصغار[2]، ويقدر عدد الفنادق في مدينة فاس على عهد المرابطين والموحدين اربعمائة وسبعة وستون فندقا[3].

وكانت مدينة مراكش في عصر الموحدين تحتوي على فنادق ضخمة، منها فندق الارنجة، قرب مسجد ابي يوسف، وفندق السكر، قرب باب نفيس، وفندق المقبل الذي هبط فيه ابو العباس السبتي(ت٦١٠ هـ - ١٢١٣م)[4]، وهو من الفقهاء المشهورين في بلاد المغرب. وكانت هذه الفنادق بمثابة مكان يستقر به المسافرون الزائرون لمراكش، وفي نفس الوقت تعد مكانا لابرام الصفقات التجارية،

---

(١) جوليان، تاريخ افريقية، ج٢، ص١٦٠.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٩٠، القلقشندي؟ القلقلة، ص٣٤٠.

(٣) الجزنائي، زهرة الآس، ص٣٣.

(٤) المراكشي، عباس بن ابراهيم، الاعلام لمن حل بمراكش من الاعلام،(فاس، ١٩٣٦)، ص ٦٥، وانظر، التنبكتي، ابا العباس احمد بن عبد الله بن عمر، نيل الابتهاج بتطريز الديباج(مصر، ١٣٥١هـ)، ج١، ص٦٧.

ومن المحتمل ان تضم مدينة مراكش فنادق اخرى ولكن المصادر اغفلتها[1].

وبنى الموحدون الفنادق في مدن مغربية عدة ففي قصر صنهاجة في المغرب الاقصى بنى الموحدون فندقين عظيمين، يقول صاحب الاستبصار[2]، عنهما " واحدث الامد العالي في موضعه(أي في مدينة قصر صنهاجه) في هذه المدة فندقين عجيبين وتمدن هذا الموضع وقصده التجار واستوطنوه".وفي مدينة سلا يشير ابن الزيات[3]، الى ان احد المتصوفين، وهو ابو موسى الدكالي كان يقيم بفندق الزيت في هذه المدينة.

اما في عهد المرينيين، فقد شيدت في مدينتي فاس العاصمة وسبته عدد من الفنادق، وكان لبعض العائلات الثرية والشخصيات المعروفة دور كبير في بناء الفنادق داخل الاسواق، حيث كانت تدر عليهم ارباحا طائلة، فهذه عائلة بني فذه، التي كان لاعضائها بمدينة فاس سوقا قرب الشهود، يعرف بسوق ابن فذه كان لهم به فندق كبير[4]، كما ان ابا عبد الله الحدودي احد الشخصيات المعروفة، قام بتجديد الفندق الكبير بحي الشماعين بمدينة فاس، الذي اوقف ابو يعقوب يوسف بن عبد الحق دخله على مسجد القرويين[5].

---

(١) من الجدير بالذكر، انه كلما كانت المدينة عامرة بالمتاجر والاسواق، كلما ازداد عدد فنادقها.

(٢) مجهول، ص١٨٥.

(٣) ابن الزيات، ابو يعقوب يوسف التادلي، التشوف الى رجال التصوف، تحقيق، ادولف فور (الرباط، ١٩٥٨)، ص١٨٦؛ ص١٨٧.

(٤) ابن الاحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص٨، ص٩.

(٥) الجزنائي، زهرة الآس، ص٧٣.

واصبح هذا الفندق(فندق الشماعين) من اهم مراكز التجمع لاكبر الشخصيات العاملة في النشاط الاقتصادي، حتى ان الخطيب، ابا الفضل محمد بن الحسن المزوغني، خطيب جامع القرويين بفاس كان يقول كنت اطمع في ان يعطي السلطان ابو الحسن ثلاثة احمال من الذهب، اذهب بها الى فندق الشماعين واصب المال صبا وادفع لكل ذي حق حقه[1]. وهذه الاشارة تدل على المكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها فندق الشماعين في عملية البيع والشراء في المغرب الاقصى.

وفي اشارة للوزان[2]، في نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، يذكر فيها ان مدينة فاس وحدها تضم مائتا فندق، تتالف كلها من ثلاث طبقات، منها ما يشمل على مائة وعشرين غرفة ومنها ما يشمل على اكثر من ذلك.

اما مدينة سبته، فقد احتوت هي الاخرى على مجموعة من الفنادق الكبيرة وقدم لنا مؤرخها السبتي[3]، معلومات قيمة في هذا المجال، فقد ذكر لنا انها تحتوي على ثلاثمائة وستة فندقا، اهمها فندق غانم الذي يتكون من ثلاث طبقات، تحتوي على ثمانين بيتا، بالاضافة الى تسع مصريات(والمصرية مسكن يبنى فوق الحوانيت وهذا النوع من المنازل كان معروفا في مصر ونقل الى بلاد المغرب وعرف بنسبته اليها).

وبلغ عدد الفنادق المعده لنزول تجار النصارى بسبته سبعة فنادق، اربعة منها على صف واحد، وثلاثة متفرقة، ومن اهم هذه

---

(١) وصف افريقيا ، ج١ ، ص٥٠.

(٢) م.ن، ج١، ١٨٢.

(٣) اختصار الاخبار ، ص٨٦.

الفنادق، هو فندق الرحبه، وهو فندق كبير لبيع الغلال الفلاحية اليابسة من حبوب وقطاني من قمح وشعير وذره وفول وحمص[1].

وكما اشرنا سابقا ان هناك بعض الشخصيات المهمة، ساهمت في بناء بعض الفنادق ففي مدينة سبته فندق الوهراني، الذي يعد من اجمل الفنادق فنا وجمالا لما جمعه من حسن بدائع الجص والنجارة في بنائه[2]، وهناك الفندق الضخم الذي ابتناه ابو القاسم العزفي، "وهو معد لاختزان القمح، ويحتوي عل اثنين وخمسين مخزنا ما بين هرى وبيت،يسع جميعها من قفزان القمح الالاف العديدة التي لا تبلغ الحصر، وله بابان، باب الى صحنه، وباب الى الشوارع المحملة الدائرة بالطبقة الثانية، تدخل من البابين الجمال باحمالها مع الارتفاع والاتساع الكبير، فاذا ابصر الرائي ما يدخل منها على الباب الاعلى ودورانها في تلك الشوارع باقتابها وغرائر الزرع المحملة، ترى منظرا هادئ وامرا عجيبا"[3].

كما احتوت مدينة سبته على بعض الدور، وهي اشبه بالفنادق وذلك لاحتوائها الحرفيين، والتي اطلق عليها بدور الاشراف، مها دار الاشراف على البناء والنجارة، ودار الاشراف على شدة الامتعة، وهي المعروفة بالقاعة حيث تجار العطر[4].

وهكذا كان للفنادق اثر مهم في الحياة الاقتصادية في مدن بلاد المغرب حيث ان كثرتها في أي مدينة دلالة على مدى تطور الانتعاش

---

(١) السبتي، اختصار الأخبار، ص٨٦، ص٨٧.
(٢) السبتي، اختصار الأخبار، ص٨٧.
(٣) الوزان، وصف أفريقيا، ص٨٧، ص٨٨.
(٤) م، ن، ص٨٨.

الاقتصادي فيها والنمو الحضاري لسكانها، ويمكن القول ان المدن الساحلية المغربية الواقعة على البحر المتوسط او المحيط الاطلسي، كانت لابد ان تحتوي على فنادق كثيرة وكبيرة للتجار الاجانب القاصدين اليها، والدليل على ذلك، ان مدينة سبته الساحلية احتوت على اكثر من ثلثمائة وستين فندقا[١]،ولا ندري لماذا لم تشر مصادرنا الى فنادق المدن الساحلية الاخرى كمدينة صفاقس وسوسة والمهدية وتنس ووهران وطنجة وغيرها. من المدن الساحلية التي كانت تعج اسواقها بالنشاط الاقتصادي.

٥-القيصاريات:-

القيصارية في اصلها كلمة اغريقية تعني المستعمرة، وهي مختصر لمصطلح سوق المستعمرة، ويطلق هذا الاسم على مجموعة من المباني العامة التي تكون على شكل مجمعات من الحوانيت والورش، فضلا عن غرف للمعيشة احيانا، وتتميز القيصارية في الاصل عن السوق بكبر الحجم، ووجود مجموعة من القاعات او الاروقةالمسقفه[٢].

ويعيد تعبير امبراطور قيصري، الى الاذهان، ان اقدم هذه البيانات كانت قيصريا، أي انها كانت مؤسسات تابعة للدولة، بينها نجدها في العصور الاسلامية تعود في الغالب الى التجار الاغنياء او افراد الاسر الحاكمة او ذوي المناصب الحكومية العالية[٣].

---

(١) الوزان، وصف أفريقيا ،ج١ ، ص٨٦.

(2) Streck , M. S. V. “ Kaisariya” E.I. 1977, Voll, II. P.658-659.

(3) Ibid , P.659.

وانظر يوصف جرجيس، التنظيمات التجارية، ص٨٢.

وعلى اية حال فان مصطلح القيصارية قد استخدم اصلا في المناطق التي كانت تمثل جزءا من مناطق النفوذ البيزنطي في بلاد المغرب في الفترة التي سبقت وصول الجيوش العربية الاسلامية لها، واستمر وجود القيصارية خلال عصور الازدهار الاسلامية، واصبحت من اهم الاسواق التجارية والصناعية، حيث احتوت اروقتها اسواق حرفية ومعامل معده للصناعة، وخاصة صناعة النسيج[١].

وبالرغم من وجود القيصاريات في بلاد المغرب، لكن معلوماتنا عنها في المصادر قليلة وربما، ان السبب في ذلك، هو اعتبارها جزءا مكملا للاسواق، علما، ان التنظيم العام للقيصاريات، يختلف كليا عن تنظيم وتخطيط الاسواق. وكانت بعض القيصاريات تحتوي على حوانيت للتجارة وبعضها الاخر معاملا للصناعة، منها صناعة النسيج[٢].

ويشير الغبريني[٣]، الى ان في مدينة بجاية في المغرب الاوسط قيصارية عظيمة، كما احتوت مدينة مراكش في المغرب الاقصى على قيصارية كبيرة، حيث يصفها صاحب الاستبصار[٤] " بانها قيصارية عظيمة، لم يبن في مدن الارض اعظم منها، وأمر بعمارتها سنة(٥٨٥

---

(1) Ibid , P.659-660 م، ن، ص٨٢.

(٢) خاصة بعض مدن افريقية، كسوسة وصفاقس، حيث انتشر بقيصريات هذه المدن اصحاب الصنائع، لاسيما ارباب انوال النسيج، انظر حسن حسني عبد الوهاب، ورقات من الحضارة العربية، ج٢، ص٧٣.

(٣) عنوان الدراية، ص١٠١.

(٤) الاستبصار، ص٢١٠، وانظر، ابا عبد الله محمد بن عبد المنعم، الروض العطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس(بيروت، ١٩٧٥)، ص٢١١.

هـ / ١١٨٩م)، في حين يذكر الجزنائي[١]، بان هنالك قيصارتين في مدينة فاس مخصصتين لبيع الثياب القديمة وذلك على عهد الموحدين.

وفي عهد المرينيين نجد في مدينة فاس، قيصارية كبيرة تحتوي على كل السلع والبضائع النظيفة الغالية الاثمان، كالحرير والاقمشة القطنية الملونة، ومداخل هذه القيصارية مغلقة باعمدة الصقل لابد للمار ان يجتازها[٢].

ويصف روجيه[٣]، فيصارية فاس في العصر المريني، بانها اشبه بمخزن عصري كبير، حيث يجد المشترون اكثر الاشياء التي يحتاجونها من قماش وحلي وعطور وافاوية وغيرها من الحاجيات، وهي عبارة عن ازقة ضيقة مسورة بجدران تحتوي على مجموعة كبيرة من الاسواق التي كانوا يشغلونها تجار المفرد التي يبيعون الاشياء الغالية الثمن.

ويبدوا ان هذه القيصارية التي وصفها روجيه، هي التي اشار اليها الوزان[٤]، واطلق عليها تسمية سوق التجار الذي كان يحتوي على اثني عشر حيا، وفي كل حي مجموعة من الاسواق، محاطة بجدران مغلقة ينفذ اليها من بابين حديدين.

---

(١) زهرة لآس، ص٣٣.

(٢) كالتون كون، القافلة، ص٣٤٠.

(٣) فاس في عصر بني مرين، ص٤١.

(٤) وصف افريقيا ، ج١، ص١٩٠.

ثانيا : اماكن الاسواق وتنظيمها وطرز بنائها :-

١-اماكن الاسواق وتنظيمها :

جرت العادة في مشرق الدولة العربية الاسلامية، ان تختص كل صناعة بسوق، وكل سوق بصناعة، وعادة ما تكون هذه الاسواق حول المسجد الجامع على نسبة اتصالها به وظيفيا، فهناك سوق الشماعين لوجوب الاضاءه بالشموع في الصلوات الليلية، وهنا سوق العطارين والطيبيين(باعة البخور)، لوجوب التعطر والتبخر بالجوامع، وسوق القباقبية لوجوب الوضوء وهناك سوق العدول الماذونين لان عقودهم تتم بالجوامع، وهناك سوق الكتبيين المجاورة للجامع، ثم تتعاقب الاسواق طبقة طبقة الى نهاية سور المدينة الداخلي. اما الاسواق الحرفية فغالبا ما تكون بعيدة عن المناطق السكنية، كسوق الدباغين والصباغين والحدادين والسراجين والقصابين، وغيرها من الاسواق الحرفية، وذلك نتيجة الروائح الكريهة التي تنبعث منها[١].

الا ان هذا التنظيم العام في الاسواق العربية الاسلامية لم يكن موحدا في كل مدنه واقاليمه، فهناك اختلاف في مواقع الاسواق، نظرا لاهميتها من جهة، ورواج نشاطها الاقتصادي من جهة ثانية، وسنتعرف على اماكن وتنظيم الاسواق في بلاد المغرب ويبدو ان الخصائص العامة للاسواق المغربية متشابهة نوعا ما، فللعلامة حسن حسني[٢]، يشير الى اسواق مدينة تونس وصفاقس وسوسة، كان يشقهما طريقان رئيسيان متقاطعان يتجه احدهما طولا والاخر عرضا، وعلى هذه الطرق تقع اغلب الاسواق التجارية والحرفية، ففي مدينة تونس هناك طريق يصعد

---

(١) الكعاك، الحضارة العربية، ص٦٩.

(٢) ورقات من الحضارة العربية بافريقية التونسية، ج٢، ص٤١.

من باب البحر حيث السور الخارجي، ويشق المدينة طولا، مارا على السوق الطويلة في مركز المدينة ثم سوق النحاس الى ان يبلغ القصبة اخر البلد والطريق الاخر القاطع عرضا، يبدأ من باب الجزيرة سالكا سوق الصباغين الى ان ينتهي عند باب السويقه، حيث يلتقي بسور البلد القديم.

من هذا يتضح لنا ان اسواق مدينة تونس في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، كانت تقع على الطرق العامة في المدينة، ولكن بعضها كان يقع قرب او حول الجامع، وخاصة سوق القشاشين[١].

وفي العهد الحفصي بتونس، كان حكامها، لا يسمحون باقامة الاسواق الحرفية فيداخل المدينة، كسوق الدباغة والصباغة والحياكة والحدادة التي تنبعث منها روائح كريهة، بل كانوا يسمحون باقامتها خارج سور المدينة كسوق الصباغين والدباغين[٢].

اما في مدينة صفاقس، فان اسواقها، قد شيدت حول الجامع، بينما نجد الدور والمنازل قد ابعدت عن الاسواق، واحاطت بها من كل الجهات تقريبا، وكل من هذه الاسواق قد اختص بنوع خاص من النشاط الاقتصادي، سواء كان تجاريا او صناعية، بينما نرى معامل النسيج الحرفية قد احتلت الطابق الاعلى من اكثر تلك الاسواق[٣].

واسواق مدينة صفاقس كاسواق مدينة تونس، حيث تتكون من دكاكين مصطفه متلاصقة ومتقابلة، واختص كل منها بنوع من الصناعة

(١) الكعاك، العلاقات التونسية الايرانية، ص١٣٨.

(٢) العامري، تاريخ المغرب في سبعة قرون، ص١٧١.

(٣) ابو بكر الكافي، صفاقس، ج١، ص٧٦.

او التجارة، وكانت اسواق هذه المدينة، كما يشير احد الباحثين[1]، تشبه الشجرة التامة الاغصان والفروع وتفرعها حسب المصالح المتبادلة بين اصحاب السوق وما لهم من علائق تجارية او صناعية، واصل هذه الشجرة، هو سوق الصباغين الذي هو اول سوق يواجه الداخل من باب الجبلي القديم، وكذلك سوق الجمعة الذي يقع وسط المدينة حول الجامع، اما سوق الكامور، فهو يجاور الجامع الكبير بالمدينة من الجهة الشمالية، وهو يمتد من الشرق الى الغرب الى ان يصل الى سوق الخضر ويتكون من صفين متقابلين من الدكاكين تفصل بينهما جادة ضيقة[2].

ويمتد سوق الرهادنه (الربع) في صفاقس من الشمال الى الجنوب ، ويرتبط بين سوق الصباغين وسوق الكامور ، ويقطعه عرضا سوق العطارين من الوسط، ويتكون من سوقين، هما سوق المرستان. ويدعى بسوق الحناطين، وسوق الربع الضيق، ويتكون سوق الربع من دكاكين متلاصقة ومتقابلة، يربط بينه وبين سوق البغاجين(العقبه)(وهي سارية لها بابان او موصلان، امرهما وسط السوق والثاني بالسوق القديم، وكانت تدعى في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي بالفرخة)[3]. اما سوق الفاكهة صفاقس فموقعه بين سوق الربع الضيق والجزء الشمالي من سوق الصباغين، وهو من املاك آل الحصانري[4].

---

(١) الوزان، وصف أفريقيا ،ج١ ، ص٧٧، ص٨٧.

(٢) ابو بكر الكافي، صفاقس، ج١، ص٨٧.

(٣) م، ن، ج١، ص٧٩.

(٤) السراج، الحلل السندسية، ص١٠٩١، ابو بكر الكافي، صفاقس، ج١، ص٨٧.

ويمتد سوق الزراعية غربا ويتصل بسوق الكامور، ثم ينعطف شمالا باتجاه سوق الصباغين[1].

وعلى الرغم من التدهور الاقتصادي الذي اصاب مدينة القيروان في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.(أي فترة السيطرة الهلالية) وانتقال مركز الثقل التجاري الى تونس، لكننا يجب ان لا ننسى اهميتها الاقتصادية في القرون الاولى، حيث كانت تحتوي على اسواق كثيرة جدا، ومنها سوق الرهادنه(الربع)، الذي وصلتنا عنه اشارة ترجع الى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، بانه تحول الى سوق للشواشيين(أي تجار وصناع الشاشية، غطاء الرأس بتونس)[2].

وتقع اسواق مدينة قابس حول الجامع الاعظم(جامع المنزل)، وكلن سوق الحريريين كانت تقع بين المدينة والبحر كما اشار بذلك الادريسي[3] وذلك لربما كان موقع هذا السوق بهذا الشكل لغرض تصدير الحرير خارج المدينة. وفي اشارة للتيجاني[4]،يذكر فيها بان اسواق مدينة قابس كانت تقع دخل ارباض المدينة.

---

(١) ابو بكر الكافي، صفاقس، ج١، ص٨٨.

(٢) الدباغ، معالم الايمان، ج٢، ص٨٢.

(٣) الادريسي، وصف افريقيه، ص٧٦، ص٧٧، المرزوقي، قابس جنة الدنيا، ص٧٠.

(٤) الرحلة، ص٨٧. ويوجد الان بمدينة قابس سوقان قديمان، احدهما بالمنزل والاخر بجاره(وهما من احياء مدينة قابس الحالية)، وكلا السوقين عبارة عن ساحة كبيرة تحيط بها من الجهات الاربعة الدكاكين، وفي الساحة الوسطى ينصب التجار بضائعهم في اكداس على الارض وتقسم السوقان ايام الاسبوع، فيجتمع الناس في كل منهما ثلاثة ايام، ويوم الجمعة عطلة لكلا =

وفي ايام التجاني[1]، أي في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي كانت اسواق مدينة القصر القديم، تقع خارج الاسوار الخارجية للمدينة، ويبدوا ان موقع مثل هذه الاسواق، لابد وان تكون اسواق حرفية.

وتبخل علينا المصادر المتوفرة بالمعلومات عن اماكن وتنظيم الاسواق في مدن المغرب الاوسط، وخاصة قاعدتها تلمسان، ويبدوا لنا ان اماكن وتنظيم الاسواق في مدن هذا الاقليم لا يختلف عن المدن المغربية الاخرى.

فيما وصلتنا معلومات كثيرة عن اماكن الاسواق وتنظيمها عن اقليم المغرب الاقصى وخاصة مدنه الرئيسية، فمدينة مراكش عاصمة المرابطين والموحدين، كانت اسواقها الحرفية هي صلة الوصل بين الاحياء الشعبية في المدينة، حيث تتجمع دكاكين الحرفيين في ترتيب منسق منسجم التعاضيدات، وتتكون هذه الاسواق من محورين في طريقين متعامدين يلتقيان حول مسجد ابي يوسف بالقبه المرابطيه شرقا، وباب الخميس شمالا، وباب السمارين جنوبا، وينتهي الترتيب الذي يحصل قرب مسجد ابي يوسف المهن النظيفة(كسوق الكتب، وسوق تجار الاثواب)، ثم المهن القليلة التلوث، فالاكثر تلوثا، ففي اقصى الشمال حدادون وخشابون وفي اقصى الجنوب المهن الكيمياوية او النارية واقصى الشرق، دباغون وفخارون. هذا هو الشكل التنظيمي

= للسوقين والحركة التجارية بهما عظيمة جدا لكثرة الواردين عليهما، ويبدوا ان هذين السوقين كانا معروفين في العهد الاسلامي على اقل تقدير، انظر، المرزوقي، قابس جنة الدنيا، ص٩٣.

(١) الرحلة، ص١٠٣.

تقريبا لاسواق مدينة مراكش، كما اوحت بذلك الوثائق القديمة والاثار[١].

ومن خلال هذا التنظيم نلاحظ، ان اغلب الاسواق التجارية والحرفية في مدينة مراكش كانت محاطة بمسجد ابي يوسف، لانه كان من العادة ان تكون الاسواق مجاورة للمسجد الجامع، لارتباطها به وظيفيا من جهة، ولان المسجد الجامع غالبا ما يكون في المركز الرئيسي للمدينة، فمن الطبيعي ان تكون الاسواق قريبة منه لشدة ازدحام الناس في مثل هذه الاماكن، لذلك يرى المجدوبي[٢]، ان المركز الاقتصادي للمدينة انتقل المسجد الجامع من وسط المدينة(مسجد ابي يوسف) الى غربها(مسجد الكتيبة الى جنوبها)(مسجد- قصبة المنصور)، ويرجع المركز الاقتصادي من جديد الى وسط المدينة حول(مسجد ابي يوسف). وهكذا نرى انه كلما انتقل الرواج من جوار المسجد الى مسجد اخر، اصاب المركز الاقتصادي الاول الكساد، في حين يتمتع المركز الجديد بالرواج الاقتصادي لذلك نرى ان الاسواق الثابتة المتخصصة دائما تقع وسط المدينة، كسوق الحنطة وسوق القشاشين، والقراقين، والبرادعين، والسراجين، وكل هذه الاسواق تقع حول مسجد ابي يوسف في العصر المرابطي، في حين نلاحظ ان سوق البهائم يقع خارج المدينة في الجنوب الغربي منها[٣]. اما اسواق مدينة فاس، فقد قدم لنا المستشرق كالتون[٤] وصفا لاماكنها وتنظيمها خلال العصرين المرابطي

---

(١) لكريم الصوصي، مراكش بين التأسيس والتمرين في العصرين المرابطي والموحدي ضمن كتاب مراكش، ص٧٣، ص٧٥.

(٢) المجدوبي، من وسائل التعمير، ضمن كتاب مراكش، ص٨٧، ص٨٨.

(٣) الادريسي، وصف افريقية، ص٤٤، المجدوبي، م، ن، ص٨٨.

(٤) القافلة، ص٣٤٠، ص٣٤١

والموحدي اعتمادا على الاثار التي عثر عليها، فيشير الى ان اغلب اسواقها التجارية الكبيرة كانت تقع وسط المدينة، بينما تقع المدابغ والمطاحن على ضفاف الانهار لحاجتها الى الماء اللازم وتتفرق الاسواق الحرفية داخل المدينة وكثيرا ما يشترك النساجون والاسكافيون في مكان واحد، لان ليس لصناعتهم ضجيج، وغالبا ما تقع دكاكين البقالة في المراكز السكانية لبيع الخبز والبضائع الصغيرة التي يجدها المرء بسهولة.

ويشير ابن الاحمر[1]، الى اسواق مدينة فاس، بانها كانت متناثرة بحسب اهميتها المهنية والحرفية. فسوق الجزارين كانت بحومه بني حاربوه اليازغيين، وسوق العطارين كان موقعه وسط الوادي المعروف بوادي غدير الحمص، اما سوق الرصيف فكان يقع قريبا من جامع القرويين.

وفي العصر المريني، اهتم الحكام المرينيون بتنظيم اسواق عاصمتهم فاس حيث بنوا اسواقا جديدة، وجددوا الاسواق القديمة. ويقدم لنا وروجيه[2] وصفا لاماكن وتنظيم هذه الاسواق، في ضوء اهميتها في المدينة، فقد كانت حوانيت النحاسيين تقع بالقرب من جامع القرويين، وكذلك سوق العطارين، وفي الاجزاء القريبة من المدينة داخل السور الخارجي توجد الاسواق الحرفية، ومنها سوق الفخار الواقع الى الشرق من العدوة الاندلسية ومعاصر الزيت التي كانت تتجمع حول الابواب التي يرد الزيتون عن طريقها الى المدينة، الجيسه في الشمال

---

(١) بيوتات فاس الكبرى، ص٤٣، ص٤٨، ص٥١.

(٢) فاس في عصر بني مرين، ص٢٨، ص٢٩.

وباب الفتوح في الجنوب، وهذان البابان كانهما منفذ الحياة الاقتصادية في مدينة فاس.

اما الاسواق الحرفية التي تحتاج الى الماء، فغالبا ما تقع قريبة من الانهار، كالمدابغ والمصابغ التي كان يلزمها الماء دوما لغسل الجلود، والدكاكين الخاصة بالحياكة والنحاسة والحدادة فتوجد قريبة منها ايضا(١). وتقع اغلب اسواق الجملة بفاس، قرب جامع القرويين وسط المدينة، حيث يجد المشترون اكثر الاشياء التي يحتاجونها من المواد الغذائية، وقريب من الجامع ايضا يوجد سوق الجزارين بينما نجد سوق الصاغة يقع قرب دار السكة(٢). ولربما ان موقع هذا السوق قرب دار السكة هو ان الذهب والفضة تحتاج الى عمل يدوي، وفن وسك وختم، وان وجودها قرب دار السكة سهل العديد من الامور التي يحتاجها العاملون فيها.

ومن المعروف ان الوزان(٣)، قدم لنا وصفا رائعا لاسواق فاس في العصر المريني كما ذكرنا سابقا، واشار في بعض الاحيان الى مواقع وتنظيم بعض الاسواق التي ذكرها، فقد ذهب الى ان جماعة الحرفيين مفصولة بعضها عن البعض واكثرها يوجد حول جامع القرويين، ففي الشرق منه باعة النحاس واواني الصفر وامام الباب الرئيسي في الجهة الغربية يوجد باعة الفواكه، وعلى خط مستقيم تمتد اسواق الدخان والدلاء والاسكافيين والخرازين وصانعي الترس والورق وصانعي قرابيس الخيل، حيث تمتد هذه الاسواق جميعها باتجاه مدرسة ابي عنان

---

(١) الوزان، وصف أفريقيا ،ج١ ، ص٣٩، ص٤١، ص٥١، ص١٣١.

(٢) روجيه، ص١٣١، المنوني، ورقات من الحضارة في عهد بني مرين، ص٢١.

(٣) الوزان ، وصف افريقيا، ج١، ص١٨٥، ص١٨٦.

المريني. ووجد في مدينة فاس خمسمائة وعشرون دارا للنساجين، وهي ابنية كبيرة ذات طوابق عديدة، وقاعات فسيحة، تضم كل قاعة عددا كبيرا من عمال النسيج، وليس لاصحاب هذه المعامل أي مالك او صاحب ملك، بل هي ملك للعاملين النساجين الذين لا يدفعون سواء كراء الصناعات، ويشتغل فيها اكثر من عشرين الف عامل، كما ان هناك ثمانمائة معملا لقصاري الخيوط[1].

اما مدينة رباط الفتح فان اسواقها تقع داخل الاسوار الخارجية للمدينة وينفذ اليها عدد من الابواب[2]، وخاصة سوق الفاكهة والخضر، اما سوق الاسماك، فكان يقع داخل السور المعروف بباب الحلاج الجديد[3]، اما سوق الغزل فيقع قرب المسجد المعروف بمسجد السوق[4]. وقد السبتي[5]، بعض المعلومات عن تنظيم اسواق مدينة سبته فيشير ان سوق العطارين العظيم، وسماط العدول، كانا متصلات بعضهما ببعض ويقعان بحومة الجامع الاعظم، اما السوق الكبير فيقع وسط المدينة قريبا من الجامع. وكان السوق الكبير في الدار البيضاء، يمتد وسطها من باب القنطرة (الذي يقال له الان باب الوادي)، المقابل لباب السبع الى باب عيون صنهاجة والحمام الكبير داخل سور المدينة وقد بنى هذا السوق الكبير الخليفة الموحدي المنصور، وكان يعرف بالسماط[6] لكبر حجمه وطول مساحته.

---

(١) الوزان، وصف أفريقيا ، ج١، ص١٩٣.

(٢) عبد الله السوسي، تاريخ رباط الفتح، ص٦٠، ص٦١.

(٣) عبد الله السوسي، تاريخ رباط الفتح، ص٦٢.

(٤) م. ن، ص١٣٩.

(٥) اختصار الاخبار، ص٣٩.

(٦) ابن الاحمر، روضة النسرين في اخبار دولة بني مرين، ص١٥.

٢- طرز بناء الاسواق :

اختلفت خصائص الاسواق وبنائها تبعا لمواقعها وتنظيماتها داخل كل مدينة من مدن بلاد المغرب، فمثلا كانت اسواق مدينة تونس مبنية بالاجر ومسقفه بالاخشاب[١]، بينما تتكون اسواق صفاقس من غرف مختلفة الالوان ومتقنة التصميم[٢]، حيث يمتاز سوق الكامور بصفاقس بانه عاليا عن الارض بنحو ثلاثين سنتمترا تقريبا، ويظلله سقف مقام على شكل اقواس مبنية من الخشب[٣]. اما سوق الربع فيها فكان مسقف على شكل اقواس ضيقه ولكنها بالحجارة والجير وليس بالاخشاب[٤]، ولربما سقف بالحجارة والجير لضيق دروب هذا السوق.

ويشير الوزان[٥]، الى طرز بناء بعض اسواق المغرب الاوسط، فيذكر بان اسواق مدينة وجده متقنة البناء، واسواق مدينة الجزائر منسقة كما يجب واسواق مدينة بجابه منسقة احسن تنسيق.

وكانت اسواق مدينة مراكش في العصرين المرابطي والموحدي، تتجمع في ترتيب منسق ومنسجم التعاضيدات، وكان بناؤها من الاجر الفخاري الجيد، وغالبا ما تكون أحياء الصناع والمتاجر في السوق كشبه قرى مغطاة بالقصب ومسقفه بالاخشاب والعيدان[٦].

---

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٩٨.

(٢) ابو بكر الكافي، صفاقس، ج١، ص٧١

(٣) الوزان ، وصف افريقيا ، ج١، ص٨٠.

(٤) ابو بكر الكافي، صفاقس، ج١، ص ٨٢.

(٥) الوزان ، وصف افريقيا، ج٢، ص١٣، ص٤٦، ص٥٠.

(٦) ابن عذاري البيان، ج٤، ص٢٣٠. ويذكر، ابن عذاري في حوادث سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م، الحريق الذي شب في قيصارية مراكش، واشار الى =

اما اسواق مدينة فاس فتختلف في بناؤها، فمثلا سوق العطارين كان مغلق من طرفيه ببابين جميلين لا تقل متانتهما عن فخامتهما، ودكاكين هذا السوق كثيرة الزخرفة ذات سقوف جميلة، وهو في زقاق ضيق ولكنه ملائم في ضيائه[١]. واسواق الجانب الشرقي من فاس كانت اغلبها منظمة ومبلطة بالاجر والحجر[٢]. ونجد اسواق مدينة سلا مبنيه من الفسيفساء واعمدة الرخام عندما يمر المرء امام اعمدة الدكاكين يجد قوسا مبنيا على ما يقال ليفصل بين سوق واخرى او حرفة واخرى[٣].

ويشير الادريسي[٤]، الى اسواق طنجة بانها حسنه، واسواق مدينة هنين متقنة البناء واسواق جبل فازار كانت مبنية من الحجر داخل حصون خاصة خوفا من الخطر الذي قد يداهمها.

واخيرا يشير العلامة حسن حسني[٥]، الى ان بعض خصائص الاسواق المغربية، فيذكر ان الاسواق المغربية تنقسم الى قسمين الاول معامل للصناعات اليدوية ويشتغل فيها اربابها بتحويل المواد الاولية الى منتوجات صناعية واهمها الحياكة، والنوع الاخر، هي الاسواق المعدة للبيع وتعد دكاكين القسم الاول افسح من دكاكين القسم الثاني المخصصة للبيع، لان الشغل بالقسم الاول يتطلب التوسع لنصب ادوات الحرفة ونشر المواد الاولية.

= ان النار اخذت بيابس العيدان واسرعت كالشهاب في سقوف الاسواق، م، ن، ص٢٣٠.

(١) الوزان، وصف افريقيا، ج ١، ص١٩٢.

(٢) م، ن، ج١، ص١٩٣.

(٣) م، ن ، ج١، ص١٦٤.

(٤) م،ن، ص٤٤، ص١٠٩، ص١١٢.

(٥) ورقلت، ج٢، ص٧٤، الكعاك، الحضارة، ص٦٦.

(الفصل الثاني)

(النشاط الاقتصادي في اسواق بلاد المغرب)

اولا العوامل المؤثرة في حركة الاسواق المغربية :-

من المعروف ان هناك عوامل عديدة ساعدت على رواج وانتقال السلع والبضائع داخل الاسواق المغربية، واثرت بشكل مباشر او غير مباشر في نشاطها الاقتصادي ومن اهم هذه العوامل هي :-

١-العوامل السياسية :-

كان للاستقرار السياسي الذي عم البلاد في كثير من الاوقات، اثرا كبيرا في انتعاش الحياة الاقتصادية داخل اسواق بلاد المغرب، ففي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، أي في عهد المرابطين والموحدين، كانت دونة المرابطين تتمتع بثقة واسعة في الاوساط العالمية. وذلك لحرصها على تطبيق تعاليم الاسلام السمحة[١]، فلا فوضى ولا اضطراب. فالدولة، كانت ساهرة دوما على حماية التجار. وحريصة على تأمين طرق تجارتهم[٢]. فتوفير الامن الداخلي يحفظ للناس اموالهم والعدالة تحفظ لهم حقوقهم، والسلم يؤمن حرية التنقل بسلام، وبدون هذه، فانه من العسير ان نتصور امكانية تطور التجارة وازدهار اسواقها.

---

(١) عبد الله بلقين بن بادس بن زيري، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة (مذكرات الامير عبد الله)، تحقيق، ليفي بروفنسال (القاهرة، ١٩٥٥)، ص١٢٠.

(٢) الا ان سياسية المرابطين هذه لم تدم طويلا، حيث سرعان ما انتشرت الاضطرابات السياسية في عموم دولتهم.

ونشير على سبيل المثال الى تجار مدينة اغمات في العصر المرابطي، فقد كانوا يضعون " بابواب منازلهم علامات تدل على مقادير اموالهم، وذلك ان الرجل منهم اذا ملك اربعة الاف دينارا يمسكها على نفسه، والاربعة الاخرى يصرفها في تجارته، اقام على يمين بابه وعن يساره عرصتين من الارض الى اعلى السقف فاذا مر الخاطر بدار، ونظر الى تلك الدار العرص مع الابواب قائمة عدها، فيعلم من عددها كم مبلغ مال صاحب الدار"(١). ومعنى هذا ان التاجر اصبح لا يخاف من السطو والنهب وسلب امواله، فلولا انتشار الامن والاستقرار، لما تجرأ تجار مدينة اغمات بالافصاح عما يملكوه من اموال بواسطة هذه الرموز.

وان امتداد سلطة المرابطين على مناطق واسعة. شملت المغرب الاقصى وجزء من المغرب الاوسط والصحراء الغربية وافريقيا الغربية، فضلا عن بلاد الاندلس وجعلها تحت سلطه موحدة ولاول مرة في التاريخ(٢)، لابد وان يكون عاملا مهما في حركة الاسواق. كما ان الطرق التجارية، قد تحولت في بداية حكمهم نحو مدن المغرب الاقصى. خصوصا وان المغربين الادني والاوسط كانتا تحت سيطرة القبائل الهلالية التي نشرت الفوضى السياسية والاقتصادية في تلك الاقاليم المغربية، وكانت لابد وان يؤثر هذا على النشاط الاقتصادي في المغرب

---

(١) الادريسي، ابو عبد الله. نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تحقيق دوزي ودي غويه، (ليدن، ١٨٦٦)، ص٦٧.

(٢) انظر السائح، حسن، الحضارة المغربية عبر التاريخ، مطبعة النجاح الجديدة (ادار البيضاء، ١٩٨٥)، ج١، ص١٧٢.

الاقصى ايام المرابطين وبالتالي نشاط اسواقها[١] .كما ان المرابطين قاموا بالغاء المكوس على السلع والبضائع التجارية واكتفوا فقط بفرض ضريبة العشور[٢]. مما شجع على انتقال السلع والبضائع التجارية بين ربوع دولتهم بحرية تامة.

الا ان سياسة المرابطين المشجعة للنشاط الاقتصادي لم تدم طويلا، بسبب الظروف العسكرية التي عاشتها الدول، لذلك نرى ان ايامهم الاخيرة شهدت تدهورا اقتصاديا خاصة في ميدان التجارة، وكثر قطاع الطرق وعرقلت هؤلاء وصول السلع الى الاسواق[٣]. ونتيجة للازمة المالية التي مرت بها الدولة في ايامها الاخيرة، نتيجة النشاط العسكري، فقد فرضت الدولة ضرائب كثيرة على السلع الصادرة والواردة الى الاسواق، والتي الغيت في العصر الموحدي[٤]. وحظيت التجارة الخارجية في دولة المرابطية باهتمام حكامها، وخاصة مع بلاد السودان الغربي، حيث بقيت الطرق التجارية التي تربط مدن المغرب الاقصى بالسودان الغربي عبر الصحراء الغربية (ارضي قبائل صنهاجة) نشطة جدا في ايامهم وتدفقت عبرها السلع السودانية بغزارة الى بلاد المغرب[٥]. كما انهم استخدموا طريقا يربط سجلماسة بالمشرق واخذت

---

(١) احمد حسن محمود. قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ١٩٥٧)، ص٤٠٣.

(٢) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي. دار الشروق (بيروت، ١٩٨٣)، ص٢٩١.

(٣) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحبسة، ص٣١.

(٤) أبن عبدون، رسالة في الحسبة، ص٣١، وانظر عن هذه الضرائب الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٥) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٦٣.

البضائع تنطلق عبره بكثرة، وسلكه ابو عمرو عثمان بن علي في موسم الحج[١].

اما التجارة مع بلدان البحر المتوسط في عهد المرابطين فقد واجهت صعوبات كثيرة، لان العلاقات بينهما كانت متوترة بسبب الحروب الطاحنة مع نصارى اسبانيا والتي جعلت التجارة معهم لا تزدهر الا في سنوات الهدنة[٢].لذلك اتجهوا في بعض الحالات الى عقد اتفاقيات تجارية مع المدن الايطالية خاصة بيزا وجنوه في عامي (٥٣١هـ و ٥٣٢هـ / ١١٣٧م – ١١٣٨ م) وتشجيعا لهم على التجارة مع بلاد المغرب لم يفرض المرابطون عليهم غير ضريبة العشر[٣].

وفي عهد الموحدين كانت سياستهم للنشاط الاقتصادي في الاسواق مشجعة. حيث قاموا بعدة اجراءات لاجل هذا الغرض منها :-

لقد نجح الموحدون في اشاعة الامن في جميع ارجاء دولتهم. وقد اكد ذلك عبد المؤمن بن علي في رسالة العدل الذي بعث بها الى عمال دولته على حماية التجار وتأمين طرق التجارة، متوعدا بقتل من يخالف هذا الامر[٤]، بل انه انزل بعض العقوبات باصحاب حوادث الاعتداء على التجار او قطع الطرق التجارية. وقد سار خلفاؤه على

---

(١) ابن الزيات، التشوق الى رجال التصوف، ص١١٨، انظر نزهة المشتاق، ص١٦٣.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٩١، ص٩٢.

(3) Mas – Latrie- 1- Trait de paixet de commerce et documents divers concernant Les relations des chretiens dres les arabes de I. A frique seftentrionale ay moy on-ase , faris-.1 , 65- P.37.

(٤) مجهول، رسالة موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية، تحقيق ليفي بوفنسال، المطبعة الاقتصادية (الرباط، ١٩٤١)، ص٥، ص٦.

نهجه[1]، وخاصة المنصور والناصر اللذين عاقبا بعض عتاة زناتة في اعتدائهم على التجار واحراقهم لبعض الاسواق في مدينة تلمسان[2]، فشاع الامن في جميع انحاء دولتهم، حتى ان السراج[3] يشير في هذا الصدد الى عهد المنصور الموحدي فيذكر " وكانت ايامه كلها امان، حتى ان الضعينة تخرج من برقه الى اقصى المغرب، ولم يتعرض لها احد " كما قطع عبد المؤمن وخلفاؤه جميع المغارم والقبالات والمكوس التي فرضها المرابطون في ايامهم الاخيرة[4]. فيذكر ابن القاضي[5]، ان المنصور الموحدي قام بحذف الكثير من الضرائب " وما جرت به عادة اهل المشرق من توظيف الامكاس على احوال التجار عند الوصول الى كل مدينة وشبه ذلك من المسمى بالغفر عند العرب، فليس في بلاده (أي المنصور) ايده الله تعالى أي شيء من هذا القبيل اصلا، حتى أن الانسان يكون في احماله من التبر والياقوت ولا يخشى عليهما من الطريق شيئا ولا يعطي على ذلك كله الا ربع درهم على كل حمل في باب المدينة. هذا ما تشرف به المغرب على كل الاقطار... كمصر والشام..."

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٣٦٧، ص٣٦٨، وابن الزيات، التشوف، ص٣١٩، ص٤٠٢.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص٦٧.

(٣) الحلل السندسية، ص١٠٠٥.

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٣٥.

(٥) ابن القاضي، احمد بن محمد، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق محمد مرزوق، مكتبة المعارف (الرياض، ١٩٨٦)، ص١٩٢.

كما اهتم الموحدون في بناء الاسواق، فقد جددوا بناء سوق العطارين في مدينة فاس بعد تعرضه الى حريق[1]. ومع اتساع مدن مراكش ومكناسة الزيتون وقصر عبد الكريم في ايام الموحدين، فبنيت فيهما اسواق جديدة[2]، كما انشأوا الاسواق العامرة في المدن التي تم بناؤها في عهدهم مثل مدينة الرباط[3].

كما عمل الموحدون اجراءات خاصة بالتجارة الخارجية، فمثلا كانت علاقتهم مع بلاد السودان، تواجه بعض المشاكل، بسبب الصحراء الغربية التي كانت موطن ومستقر قبائل صنهاجة الملثمين الذين اسسوا الدولة المرابطية، فعملوا ضد نشاط الموحدين التجاري في تلك الصحراء[4]فكثرت حوادث قطع الطرق على التجار بين مدينة سنجماسة، وغانه[5]. مما ادى الى تعطل الطريق الصحراوي الغربي الذي يمر عبر الصحراء الغربية. فلجأ الموحدون الى تشجع الطريق الاوسط الذي يربط المغرب الاوسط بالسودان الغربي وكثر استخدامه[6].

وعقد الموحدون بعض الاتفاقيات مع المدن الايطالية كبيزة وجنوه وذلك، عام (٥٥٥هـ / ١١٦٠م) وعام (٥٧١هـ - ١١٧٦م)، وعام (٥٨٧ هـ / ١١٩١م) وقد سهلت هذه الاتفاقيات التجارية عمليات انتقال السلع والبضائع داخل الاسواق المغربية.

---

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٣٤.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢٦٦؛ الاستبصار، ص١٨٧، ص١٨٩.

(٣) م. ن، ص١٩٢، ص ٢٦٦؛ روض القرطاس، ص١٥١.

(٤) المراكشي، المعجب ، ص٢٦٧.

(٥) المقري، ابو العباس احمد، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس دار صادر، (بيروت، ١٩٦٨)، ج٣، ص١٠٧، ص١٠٨.

(٦) م، ن، ج٥، ص٢٠٥، ص٢٠٦، ص٢٠٧.

وبعد سقوط دولة الموحدين، حكمت بلاد المغرب ثلاث حكومات ففي المغرب الادنى كان بنو حفص، الذين قام بعض حكامهم باجراءات عديدة في سبيل تشجيع الحركة الاقتصادية، حيث تم الغاء الكثير من الضرائب التجارية التي كانت تفرض على السلع الصادرة والواردة على اسواق العاصمة تونس، كما امنت في عهدهم الطرق التجارية، فالوزير السراج[1]، يشير الى ان ابا زكريا الحفصي، (٦٣٤ هـ - ٦٧٦ هـ / ١٢٣٧ م - ١٢٤٩م) اتخذ عدة اجراءات من اجل زيادة تداول السلع داخل الاسواق، حيث قام بسك عملات صغيرة الحجم لسهولة تداولها بين الناس، كما امنت البلاد في عهده، كذلك فعل ابو فارس عبد العزيز (٧٩٦ هـ - ٨٣٧هـ / ١٣٩٤ م - ١٤٣٣م)، حيث اقدم على الغاء وتخفيض بعض الضرائب على الاسواق في العاصمة تونس، والتي كانت تؤخذ بنسب عالية جدا[2]. كما انشأ العديد من الحكام الحفصيين اسواقا في مدن بلادهم كما مر بنا سابقا، وبطبيعة الحال ان كثرة الاسواق في أي مدينة لدلالة اكيدة على ازدهار الحركة التجارية في تلك المدينة.

وعقد الحفصيون عدة اتفاقيات تجارية مع المدن الايطالية وخاصة مع بيزه وجنوة والبندقية، وساعدت هذه الاتفاقيات على انتعاش اسواق مدنهم بانواع مختلفة مع البضائع الاوربية[3].

وفي عهد المرينيين، فعلى الرغم من عدم تمكنهم في كثير من الاحيان من السيطرة المركزية على بعض الاقاليم المغرب، وخاصة

---

(١) الحلل السندسية، ص١٠٢٥.

(٢) الحلل السندسية، ص١٠٧٣، ص١٠٧٤، الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١١٧.

(٣) انظر الفقرة الخاصة بعلاقة الحفصيين التجارية مع المدن الايطالية من هذا الفصل.

الادنى والاوسط، الا ان ذلك لم يمنعهم من انهم قاموا بتشجيع النشاط الاقتصادي في كافة انحاء البلاد، ومن الطبيعي ان ينصب اهتمامهم على اقليم المغرب الاقصى حيث مركز حكمه فقاموا ببناء الاسواق في عاصمة ملكهم فاس، ومدينة مراكش وسبته وغيرها من المدن كما جددوا بعض الاسواق القديمة، واعادة بعض من اصابها الدمار وامنت الطرق التجارية، ورخصت الأسعار وأصلحت أحوال الناس، وخاصة في عهد ابي الحسن علي بن عثمان(٧٣١ هـ - ٧٥٢ هـ/ ١٣٣٠ م - ١٣٥١ م)، وأبي عثمان (٧٥٢هـ - ٧٥٩هـ/١٣٥١ - ١٣٥٩) حيث قام الأخير، بإلغاء بعض الضرائب، منها ضريبة الرتب التي كانت تؤخذ بطرق القوافل التجارية[١].

٢-العوامل الجغرافية :

تشكل بلاد المغرب، وحدة جغرافية مميزة عن بقية اجزاء القارة. وقد كان لطبيعة الارض تأثير على مناطق الاستقرار السكاني، وبالتالي في انشطتها الاقتصادية المختلفة.

وفي ضوء تاثير هذه الطبيعة على حركة النشاط الاقتصادي داخل الاسواق يمكننا ان نقسم ارض المغرب الى ثلاثة مناطق رئيسه :-

١-المنطقة الساحلية : -

وهي المنطقة الممتدة على طول شواطئ البحر المتوسط حتى مدينة طنجة، واغلب هذه المناطق سهلية صالحة للزراعة مما جعلها خاضعة للتجمع السكاني[٢].

---

(١) ابن بطوطه، الرحلة، ص٦٦٣. الصلاوي، الاستبصار. ج٢، ص١٠٢.

(٢) عبد الوهاب بن منصور. قبائل المغرب. ج١، ص٩، سعد زغلول، تاريخ المغرب، ص١٤، حسن علي، تاريخ المغرب في عصر الولاة، ص٩.

وبجانب منطقة السهل الساحلي، هناك مناطق سهلية داخلية، واهمها وادي مجردة بالمغرب الادنى وسهل وادي شلف بالمغرب الاوسط، وسهل شاوية بالمغرب الاقصى، وقد ساعدت هذه السهول على امتداد الطرق التجارية بين مدن بلاد المغرب المختلفة(١).

٢-المنطقة الجبلية :-

تخترق بلاد المغرب سلاسل جبلية وهضاب تتخللها مجموعة من الوديان، وتمتد هذه السلاسل من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي. موازية للساحل بوجه عام(٢)، وتضم هذه المنطقة الاراضي الصالحة للزراعة، وخاصة زراعة الحبوب والفواكه فضلا عن وفرة المراعي التي استغلها السكان في تنمية الثروة الحيوانية(٣).

٣-المنطقة الصحراوية :-

وتمتد هذه المنطقة من واحات برقه وفزان وزويله ووجلان الى سجلماسة ثم الى وادي درعة حتى المحيط الاطلسي غربا. وعلى الرغم من الصبغة الصحراوية التي حملها هذا الاقليم، فان ينابيع المياه الواحات تنتشر في اغلب المواقع وبفضلها امكن القوافل التجارية ان تخترق الصحراء من ادناها الى اقصاها، فضلا عن الحماية التي وفرتها القبائل المقيمة بهذه المناطق للقوافل التجارية(٤).

---

(١) محمد احمد حسونه، اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية، مطبعة النهضة المصرية (مصر، ١٩٦٠)، ص٥٣.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٠٢.

(٣) الادريسي، وصف افريقيا، ص٤٠، وانظر، العدوي، ابراهيم، تاريخ العالم الاسلامي، عصر التنمية والعطاء، مطبعة جامعة القاهرة (مصر، ١٩٨٤)، ج٢، ص٩.

(٤) زغلول، تاريخ المغرب، ص٦٦، العدوي، تاريخ العالم الاسلامي، ج٢، ص٨.

لقد كان لتنوع هذه الطبيعة اثرا في تنوع المحاصيل الزراعية، وبروز ظاهرة التخصص الزراعي داخل المدن، واستخدم بعض هذه المحاصيل كمادة اولية للصناعة المحلية وبالتالي خلفت حرفا عديدة كان يمارسها السكان وخلق هذا التخصص نوعا من حاجة المدن المغربية بعضها للبعض.

كما ان الطبيعة، ذللت من صعوبة المواصلات بين المناطق الساحلية والداخلية وعملت على الربط بينهما، فقد اصبحت المنطقة الصحراوية ليست بمعزل عن مناطق المغرب الاخرى، بل ان المناطق الصحراوية قد اخترقتها طرق عدة تربط بين اقاليم المغرب المختلفة وهذا ما سنشير اليه لاحقا.

ومن الجدير بالاشارة، ان للظرف الطبيعية اثرا واضحا في حركة الاسواق، حيث ان موجات البرد او الرياح القوية او انحسار سقوط الامطار او موجات الافات الزراعية القاتلة كالجراد، وحالة الجفاف، وغيرها، كانت تؤثر في حركة السلع والبضائع داخل اسواق المدن المغربية، فنتيجة هذه الظروف قد تفقد الكثير من السلع وتزداد اسعار بعضها كثيرا، وبالتالي تؤثر في عملية العرض والطلب داخل الاسواق(١).

واخيرا لابد لنا من القول، ان هناك عوامل اخرى ادت دورا مؤثرا في انتعاش وانخفاض حركة الاسواق المغربية، ومنها اختلاف

---

(١) مزيدا من التفصيلات عن الظروف الطبيعية وما خلفته من اثار سلبية داخل الاسواق، انظر، الفقرة الخامسة بالاسعار، الفصل الثالث من هذه الدراسة.

العملة المغربية وكذلك اختلاف المكاييل والاوزان داخل الاسواق، مما سبب اختلافا واختلالا في عملية البيع والشراء[١].

٣- ثراء الدولة

نستطيع ان ندرك مدى سعة النشاط الاقتصادي في اسواق بلاد المغرب من خلال التعرف على مقدار الرواتب والمنح والمساعدات التي تمنحها الدولة الى موظفيها، العسكريين والمدنيين، والذي لابد ان تنعكس اثاره على عملية البيع والشراء داخل الاسواق.

ففي عهد المرابطين والموحدين، كانت رواتب الجند واعطياتهم تسير بصورة منتظمة، ويطلق عليها المراكشي[٢]مصطلح البركه، ويقول عنها انها تخرج ثلاث مرات في السنة، مرة كل اربعة اشهر، وقدر راتب الفارسي المرابطي بخمسة دنانير ذهبية[٣]، بينما كان راتب الجند في العصر الموحدي يتراوح بين خمسة دنانير وعشرين دينارا[٤].

وفي العصر المريني كان بعض السلاطين يخصصون للمقربين من الجند ستين مثقالا من الذهب في كل شهر، وثلاثين مثقالا للطبقة التي تليها، الى ان يتناهى الراتب الى اقل الطبقات وهي ستة مثاقيل في الشهر[٥].

---

(١) مزيدا من التفصيلات، انظر موضوع النظام النقدي، الفصل الثالث.

(٢) المعجب، ص٢٩٠، ص٣٢٢، ص٣٤٠.

(٣) مجهول، الحلل الموشيه، ص٦٦.

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٤٢٧، ص٥١٥، ص٥١٤.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٤٠٢، بينما كان رواتب الاشياخ الكبار (وهم الذين يرأسون الف جندي)، عشرين الف مثقال من الذهب في السنة، اما المشايخ الصغار (وهم الذين يرأسون مائة جندي) فرواتبهم عشرة =

اما رواتب موظفي الجهاز الاداري فمعلوماتنا في هذا الجانب قليلة، حيث لم نعرف رواتب موظفي الدولة بصورة تفصيلية، ولدينا اشارة من الغبريني[1]، الى ان راتب فقيه مشاور بالديوان في عصر الموحدين كان الف دينار في السنة.

وفي عهد بني مرين، كان مرتب قاضي القضاة ايام ابي الحسن مثقال من الذهب يوميا، اما كاتب العلامة فراتبه مثقالين من الذهب في كل يوم[2]، في حين كان راتب كتابة علف الخيل ايام يعقوب بن عبد الحق ثلاثين مثقال من الفضة في كل شهر[3].

اما بالنسبة الى الاعطيات والمنح والهبات، فالمصادر تشير الى ان الموحدين كانوا كثيري العطاء للناس[4].وكان بنو مرين يقدمون على بعض الشخصيات بالمنح والهدايا والاموال، حيث كانوا يعطون احد الشخصيات المعروفة في عهدهم والملقب بابن الفجاج. الف دينار من الذهب مقسطة على اعمال بلادهم في كل شهر[5]. وكان ابو عنان لبنة

= الاف مثقال في السنة. انظر المنوني، وصف المغرب ايام ابي الحسن المريني. ص١٤٩، ورقات من الحضارة المرينية، ص٣٠٥.

(١) عنوان الدراية، ص٣٨، ص٣٩.

(٢) المنوني. وصف المغرب ايام ابي الحسن، ص١٥٣.

(٣) المنوني، ورقات، ٣٠٦.

(٤) انظر المن بالامامة، ص١٥٩، ص٥٢٥، المعجب، ص٢٧٩، ص٣٠٨ فضلا عن الاقطاعات الكثيرة التي منحتها الدولة لبعض فئات معينة من الناس. انظر عنها، المعجب، ص٢٩٠، ابن سعيد المغربي، ج٢، ص٧٧، اخبار المهدي، ص٥٤، روض القرطاس، ص٦٣.

(٥) ابن خلدون، يحيى بن محمد. بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق الفرد بل (الجزائر، ١٩٠٣)، ج١، ص٥٦.

القدر يتصدق بجميع مجابي البلاد ليصرفها على الناس[1]، وكنتيجة لشراء الدولة المرينية، فقد قدم بعض الحكام قروضا مالية خارجية كبيرة، كالقرض الذي قدمه يعقوب بن عبد الحق الى الفونسوا العاشر ملك قشتالة وكان مبلغه مائة الف دينار ذهبا[2].

ثانيا الطرق التي تنقل عبرها السلع والبضائع الى الأسواق المغربية :

تعد الطرق التجارية من العوامل التي ساعدت على انتعاش النشاط الاقتصادي داخل الاسواق المغربية، وكانت هذه الطرق واقعة تحت تأثير المتغيرات الاقتصادية، كالتي تطرأ على مراكز الانتاج الزراعي والصناعي، كما تتاثر بالمتغيرات السياسية، كاختلاف الانظمة الحاكمة او تعرض البلد الى فتن وحروب عسكرية، ويمكن تقسيم هذه الطرق الى قسمين :

١-الطرق الداخلية :

ارتبطت مدن واقاليم بلاد المغرب بطرق داخلية كثيرة، سواء كانت هذه الطرق برية ام بحرية، ساحلية ام داخلية، حيث اثرت بطبيعتها على حركة وصول البضائع والسلع الى داخل الاسواق[3].فمن المعروف ان الطرق التجارية في القرون الاربعة الهجرية الاولى، كانت اكثرها

---

(١) ابن بطوطه، الرحلة، ص٦٦٢.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٢٠٥.

(٣) انظر عن هذه الطرق، الخزاعي، كريم عاتي، النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، رسالة ماجستير على الالة الطابعة، بغداد، ١٩٩٣، ص٢٦٦-ص١٧٤ والمصادر المعتمدة في ذلك.

طرق ساحلية وداخلية بسبب تمركز الانتاج الزراعي والصناعي في المناطق السحلية.

وفي فترة هذه الدراسة وخاصة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، حد تغير كبير في هذه الطرق بفعل الهجرة الهلالية لبلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، لم تعد كثيرا من الطرق الداخلية الرابطة بين مدن واقاليم بلاد المغرب تسلك الا نادرا(١)، ويبرز هذا التأثير في مناطق المغربين الادنى والاوسط، حيث اصبحت مدينة القيروان عاصمة افريقية ممرا عابرا بعد ان فقدت كل موضوعاتها الاقتصادية، فيما اختفت قلعة بني حماد في المغرب الاوسط كمركز تجاري(٢). ومع مجيء الموحدين وفرض سيطرتهم على بعض مناطق افريقية، بدأوا بأحياء المناطق الداخلية وطرقها التجارية، ونجحوا في ضبط الطرق الساحلية وانتعاشها اقتصاديا، وخاصة الطريق الذي يربط بين تنس في المغرب الاوسط وطرابلس في المغرب الادنى، وازدهرت بذلك المدن الساحلية كبجاية وتونس وطرابلس، مرة اخرى(٣).اما بالنسبة الى اقليم المغرب الاقصى، فلم تتأثر طرقه الجارية بالهجرة الهلالية، حيث لم يصل الاعراب الى تلك المناطق.ومع مجيء المرابطين الى حكم بلاد المغرب، كانت الطرق الرئيسية، هي اكثرها طرق جبلية وتتركز في اربعة مراكز تجارية، هي

---

(١) انظر اشارات الادريسي الكثيرة عن هذه الطرق، وكيف ان القوافل التجارية كانت تخشى على نفسها من قطاعي الطرق، نزهة المشتاق ص٩٣. ص١٠٣، ص١٠٧، ص١٠٩، ص١١٢، ص١١٨، ص١٢٠، ص١٢٢.

(٢) نزهة المشتاق، ص٨، ابن سعيد: ابو الحسن المغربي، كتاب الجغرافية، تحقيق اسماعيل العربي، (بيروت، ١٩٧٠)، ص١٠٩.

(٣) مجهول الاستبصار، ص١١٠، ص١١٢، ص١٢١، ص١٦٠، ص١٦٦.

مدينة فاس واغمات وتلمسان وسجلماسة، ومن هذه المدن تنطلق اغلب الطرق التجارية الداخلية منها والخارجية[١].

وعندما كثر الانتاج الزراعي والصناعي في المناطق السهلية من هذا الاقليم، تغيرت اوضاع الطرق ايضا، فاصبحت طرقا سهلية متجهة نحو الساحل، فظهر طريق ساحلي يربط دول لمطه وتنس، مع ظهور مدينة سلا كملتقى للطرق السهلية والجبلية والساحلية، فاصبحت اهم مركز تجاري في هذا الاقليم[٢]، وزادت اهمية هذا الطريق في العصر الموحدي مع بروز مدن منها آزمور وأسغي، وقصر عبد الكريم وسبته[٣].

وهكذا اصبح طريق الساحل الموحدي يمتد من دول لمطه عبر سبته وبادس ووهران وتنس الى مدينة طرابلس[٤]. وهذا يعني ان الطرق الساحلية بين مدن واقاليم المغرب اصبحت سالكة على عهد الموحدين للقوافل التجارية. وبنفس الوقت برزت مدينتا مراكش ومكناسة. واصبحتا مركزا للطرق التجارية الداخلية في اقليم المغرب الاقصى.بعد اختفاء دور مدينة اغمات التجاري[٥].

---

(١) الادريسي، نزهة المشتاق، ص٧٣، ص١٧١، ص١٨٦، ابن سعيد، الجغرافية، ص١٢٨.

(٢) م، ن، ص٧١، البيذق، اخبار المهدي، ص١١٣.

(٣) ابن سعيد، الجغرافية، ص١١٥، ص١٣٩، الاستبصار، ص١٨٩، وانظر عز الدين موسى، تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب، (بيروت، ١٩٦٩) ص ٢٩٤، ص٢٩٥.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٣٤٩، ص٣٥٤.

(٥) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ٧٢ ، ابن سعيد، الجغرافية ، ص١١٧، الاستبصار، ص١٨٧، ص١٨٨.

وفي المقابل ظلت مدينتا، فاس وتلمسان منفذا لتجارة المواد والسلع الواردة والصادرة بين المغربين الاقصى والاوسط، وظل الطريق الذي يربط بين فاس وتلمسان عبر تازا، طريقا تجاريا طوال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي(١).

وظل استعمال الطريق الساحلي الذي يربط المغرب الاقصى بمدن الساحل بين المغربين الاوسط والادنى مستعملا الى ايام بني مرين وبني حفص، فعلى الرغم من العداء السياسي بينهما، الا ان طريق الساحل الذي انتعش منذ عهد الموحدين لم يتأثر بهذا الجانب، فقد سلك هذا الطريق ابن بطوطه(٢)في قافلة تجارية من موطنه طنجة في المغرب الاقصى، مرورا بالاوسط، حيث مدينة تلمسان ومليانه ثم بجاية، وبعدها يمر بمدن المغرب الادنى، بونه وتونس ثم الى طرابلس.

اما الطرق الساحلية البحرية، التي كانت تربط مدن واقاليم بلاد المغرب المختلفة فنتيجة للهجرة الهلالية لافريقية والمغرب الاوسط، اصبحت القوافل البرية لا تؤمن على نفسها كما ذكرنا سابقا، عندئذ استخدمت الطرق البحرية بين مدن الساحل، ومع مجيء الموحدين، ارتبطت مدن الساحل بحرا من طرابلس الى تنس وبرزت مدن عديدة في اهميتها التجارية، كمدينة سوسة وصفاقس والمهدية وتونس وبجاية(٣).

كما ارتبطت مدن المغرب الاقصى بطرق بحرية ساحلية، بين مدن طنجة واصيلا ونول لمطه، وظهرت مدينة سلا كمركز تجاري

---

(١) ابن سعيد، الجغرافية، ص١١٤. الاستبصار، ص١٨٦.

(٢) الرحلة، ص١٢، ص١٧.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٠٧، ص١١١. الاستبصار، ص١٣٠. الغبريني، عنوان الدراية، ص٢١ ويبدو ان هذا الطريق البحري الساحلي اصبح مماثلا للطريق البري الساحلي.

للتجارة البحرية، برزت مدينة اسفي والرباط ومراكش في العصرين المرابطي والموحدي[١].

ولم تستخدم الطرق النهرية الداخلية في النقل التجاري بين اقاليم بلاد المغرب وذلك بسبب طبيعة انهار المغرب، حيث ان اغلبها لم يكن صالحا للملاحة[٢]، الا ان الموحدين استفادوا من نهر سيو في النقل التجاري[٣]، ولم يرد ذكر استخدام الطرق النهرية في العصر المريني.

٢-الطرق الخارجية :

ارتبطت بلاد المغرب، بالبلاد الخارجية بطرق تجارية برية وبحرية عديدة فقد ارتبطت مع بلاد المشرق الاسلامي بطرق برية وبحرية، وبما ان الطريق البري مع المشرق في العصر المرابطي، كان يمر على مدن افريقية التي لم تعرف مدنها، الأمن الذي ادى الى استخدام الطرق البحرية في التجارة بينهما، الا ان هذا الحال قد تغير في العصر الموحدي، حيث ظهر طريق ساحلي من مدن اقليم المغرب الاقصى مخترقا المدن الساحلية في المغربين الاوسط والادنى مارا بمدينة طرابلس، ومنها الى مصر وبلاد الشام والعراق[٤].

---

(١) الادريسي، نزهة، ص٧٣، ابن سعيد، الجغرافية، ص١١٥.

(٢) مزيدا من المعلومات عن انهار المغرب، انظر، البكري، المغرب، ص٢٩، ص٥٠، ص٥١، ص١٤٠، ص١٤٤، الادريسي، نزهة، ص٣٨، ص٤٦، ص٧٢، الاستبصار، ص١٢١، ص١٧٣، ص١٨٥، ص٢٠٦.

(٣) م، ن، ص٣٨، ص١٦، ابن سعيد، الجغرافية، ص١٤٠، الاستبصار، ص٢٠٦، ص٢٠٩.

(٤) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٨١، ص١٨٣، ص١٨٦، ابن سعيد، الجغرافية، ص١٢٨، وانظر، البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين (القاهرة، ١٩٤٨)، ج١، ص٢٩٥. في اشارة للادريسي، =

وظل هذا الطريق الساحلي مستخدما في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي حيث يشير القلقشندي[١]، الى ان هذا الطريق يبدأ من مدينة تونس ثم سوسة والمهدية وصفاقس وقابس وطرابلس ومنها الى طجورة وسراته والى سرت ومنها الى طلميثه ثم يدخل الاسكندرية، وقد سلك هذا الطريق ابن بطوطة[٢]، في رحلته الى المشرق مع قافلة تجارية منطلقا من اقليم المغرب الاقصى.

اما الطرق البرية الرابطة بين بلاد المغرب وبلاد السودان، فقد كانت اغلبها تنطلق من مدينة فاس واغمات وتلمسان، ومن هذه المدن تنطلق الطرق التجارية الى مراكز الخروج الى بلاد السودان، مثل سجلماسة ودرعة وتامدلت ونول لمطة[٣].

وفي العهد المريني، كانت مدن فاس ومراكش وسجلماسة، مراكز للانطلاق نحو بلاد السودان الغربي، ويبدأ الطريق الاول من سجلماسة اخر مدن المغرب ثم تغازه وايو الاتن التي تعد اول اراضي السودان الغربي[٤].

والطريق الثاني يبدأ من فاس الى مراكش ثم الى اودنمست وفلانه، والطريق الثالث يبدأ من سجلماسة الى تغازي ثم الى تمبكتو[٥].

= يذكر فيها ان المرابطين ربطوا سجلماسة بالبهنسا في مصر سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م بطريق صحراوي قليل ماؤه لا يسلك الا بدليل نزهة المشتاق، ص١٦٢، ص١٦٣، ابن الزيات، التشوف، ص١١٨.

(١) صبح الاعشى، ج٥، ص١٠٧.

(٢) الرحلة، ص١٢، ص١٧.

(٣) الادريسي، نزهة، ص٥٩، ص٦١، ص١٨٦، ص١٨٣، ص١٨٦.

(٤) ابن بطوطة، الرحلة، ص٦٧٤، ص٦٧٧.

(٥) ابن بطوطة، الرحلة، ص٦٧٢، ص٦٧٧.

اما الطرق البحرية الخارجية، فمن المعروف، ان النقل البري بين المغربين الاوسط والادنى في بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، كانت تعيقه بعض المصاعب التي تركها الهلاليون في هذه المناطق الامر الذي جعل النقل البحري امرا ميسورا، فارتبطت اسواق المدن الساحلية في بيئات المغرب بطريق بحري ساحلي كما ذكرنا سابقا، وكثيرا ما كان يستخدم هذا الطريق البحري مع المشرق الاسلامي، حيث ان العديد من السفن التجارية المنطلقة من اسواق مدن ساحل المغرب الاقصى كسبته وطنجة كانت تمر على اسواق المدن الساحلية في اقليم المغرب الادنى، منها الى الموانئ المصرية. وبنفس الوقت استخدمت هذه الطرق لنقل السلع والبضائع من الاسواق المغربية الى مدن اوربا، وخاصة المدن الايطالية، وبرزت في هذا المجال موانئ مدن المغرب الادنى في سوسة وصفاقس وتونس[١]، وازدادت اهمية اسواق هذه المدن في العهد الحفصي، واصبح الاتصال البحري بين بلاد المغرب واوربا من جهة وبلاد المغرب والمشرق من جهة اخرى اكثر كثافة في عهد الحفصيين وكانت طرابلس نقطة الانطلاق للسفن التجارية المحملة بالبضائع والسلع من الاسواق المغربية الى الاسكندرية ومنها الى موانئ بلاد الشام[٢].

---

(١) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٠٧، ص١١١، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٠٥، البيذق، اخبار المهدي، ص٥٧، ابن الزيات، التشوق، ص١٧٩، ومن الجدير بالاشارة الى ان اغلب موانئ مدن المغرب الادنى، كان لها اتصال مع موانئ الاندلس، انظر نزهة المشتاق، ص١٠٨، ص١١٠.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٠٦، وانظر، العامري، تاريخ المغرب، ص١٧٥-١٧٦.

وفي اشارة فريدة من النويري الاسكندراني[١]، يذكر فيها ان سفن المغاربة كانت تصل الى موانئ بلاد الشام، مثل طرابلس وصيدا، وبيروت وذلك في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، ويبدوا ان هذه السفن كانت تسير بمحاذاة الساحل الى مصر ومنها تنطلق الى الموانئ الشامية.

ومن الملاحظ، ان الطرق البحرية التي سلكها التجار لنقل البضائع الى المشرق الاسلامي سواء كان الى مصر او الى بلاد الشام او العراق، ظلت نشطة طوال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي[٢]، حيث ان انتشار الموانئ الساحلية المغربية على طول ساحل البحر المتوسط والمحيط الاطلسي، جعل امر النقل البحري بين بلاد المغرب والبلدان الخارجية امرا ميسورا[٣].

---

(١) النويري الاسكندراني، محمد بن القاسم بن محمد، الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في موقعة الاسكندرية، تحقيق اوتين كومت، واتمه سوريان عطيه، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد، الركن، بلا)، ج٤، ص٢٣٥.

(٢) انظر عن استمرار استخدام هذه الطرق بالتجارة مع المشرق الاسلامي، ابن الخطيب، نفاضه الجراب، ص٢٣٢، ابن بطوطة، الرحلة، ص٦٥٦.

(٣) عن استخدام الموانئ المغربية في النقل البحري التجاري في العصر المرابطي، انظر الادريسي، نزهة، ص١٦٨، وعن استخدامها في العصر الموحدي، انظر المراكشي، المعجب، ص٣١١، وعز الدين موسى، تنظيمات الموحدين، ص٣٠٩، وعن فترة المرينيين، انظر، ابن جبير، ابا الحسين محمد بن احمد، رحلة بن جبير، دار صادر (بيروت، ١٩٥٩)، ص٧، ص٨، وعن اهمية موانئ مدن المغرب الاقصى الساحلية كميناء طنجة وسبته وسلا والرباط مع اوربا، انظر صابر ذياب دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، السنة ١٩٧٧، ص٦٩، ص٧٠.

ثالثا – صادرات وواردات الاسواق المغربية :-

١-انتقال السلع والبضائع بين اسواق المدن المغربية :

كانت السلع والبضائع، تنتقل بين المدن المغربية واسواقها، وحسب حاجة السوق من تلك السلعة او البضاعة، سواء كانت داخل الاقليم الواحد او بين بينات المغرب الثلاثة، وان سهولة هذا الانتقال للسلع والبضائع كان من عوامل ازدهار الاسواق المغربية.

ففي العصر المرابطي الموحدي، كانت مدن المغرب الادنى (افريقية)، تستورد من المغربين الاوسط والاقصى، السكر والنيلة والشب والنحاس[١]، كما استوردت القمح من مدينة وهران وسبته[٢]، وكانت افريقية بالمقابل تصدر الى اسواق المدن الاخرى المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية الغالية الاثمان[٣]، وخاصة الفستق القفصي الشهير[٤]، وجلود الفنك[٥].

كما انتقلت الخيول العربية الاصيلة في العصر الموحدي بين مدن المغرب فعبد المؤمن بن علي امر باستجلاب الخيل له من..... العدوة وافريقية ، اما ابنه فقد امدته افريقية عام (٥٦٦هـ / ١١٧٠م) باربعة

---

(١) ابن سعيد، الجغرافية، ص١١٧.

(2) Jruger , H. C. The wares of exchabge in the Genoese – African of the tweifth century Speculum. 1937 , XII , N.I.P. 70.

نقلا عن عز الدين موسى، تنظيمات الموحدين، ص٣٠٨.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق ، ص١٢٥ ، ابن سعيد ، الجغرافية، ص١٠٨، ص١٠٩.

(٤) ابن سعيد، الجغرافية، ص١٥٧.

(٥) مجهول الاستبصار، ص١٥٧.

الالف فرس، ومن تلمسان بالف فرس، يصفها بن صاحب الصلاة[1] " بانها من الخيل العتاق الاحساب المدربة عند الاعراب"، وفي عهد المنصور الموحدي مدته مدينة تلمسان سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤م) بثمانمائة فرس، معونه لاهل الاندلس[2]. وسيطرت القبائل على التبادل التجاري بين اسواق مدن المغرب الادنى، حيث احتكروا تموين مرسى الخزر بما تحتاجه من الاغذية مقابل ما تنتجه من صيد المرجان الذي كان يصدر الى جميع الجهات، كما آلت اليهم تجارة مدينة بونه في افريقية وما تحققه من ارباح، وامدوا مدينة تونس بما تحتاجه من الحبوب والعسل والسمن، وشاركوا تجار قسنطينه فيما " يتجرون حتى غنت اسواقها وتجارها"[3].

كما امدت مدينة تلمسان المدن المغربية الاخرى بانواع الثياب الصوفية المفضلة على جنسها المصنوع بالمدن المغربية[4].

وراجت في العهد الحفصي في افريقية الحركة التجارية، حيث كانت التمور تستورد من مناطق الجنوب التونسي وخاصة من بلاد الجرير، وكذلك الزيت من جزيرة جربة[5]. واشتهرت مدينة جربة بتينها واخذت تمد المغرب بانواع مختلفة منه[6] كما انها اشتهرت بانواع مختلفة من التفاح حيث كان يصل الى جميع المدن الافريقية لطيب

---

(١) المن بالامامة، ص٢١٥.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٧٧.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص٩٤، ص١١١، ص١١٦، ص١١٧، ص١٢١.

(٤) ابن سعيد، الجغرافية، ص١٤٠.

(٥) العامري، تاريخ المغرب، ص١٧٥.

(٦) العبدري، محمد بن محمد بن علي، رحلة العبدري، تحقيق، محمد الفاسي، (الرباط، ١٩٦٨)، ص٢٣٦، ص٢٣٧.

رائحته وحلو مذاقه[١]. ويؤكد التجاني[٢]، ذلك بقوله " وتفاحها لا يوجد في جميع بقاع الارض له نظير "، وصدرت جربة الى تونس قماش الصوف والزبيب[٣]، وانتشرت الثياب السوسية في سائر بلاد المغرب[٤].

وفي العصر المريني، وردتنا اشارة تفيد بان ضمن عطايا، ابي الحسن وابي عنان ثياب من صنع الاسكندرية تذهب الى مدينة تونس[٥]، وتصل هذه الثياب الى مدينة تلمسان عاصمة بني عبد الواد[٦]، وهذا يعني ان هناك تبادل تجاري بين مركز السلطة في العصر المريني المتمثل بمدينة فاس، وعواصم الاقاليم الاخرى، كمدينة تونس وتلمسان، ويعني ان اختلاف الانظمة السياسية في بيئات المغرب الثلاثة لم يؤثر على سياسة التبادل التجاري بين مدن واقاليم بلاد المغرب، حيث كان التبادل التجاري الداخلي نشطا في عهد المرينيين، وعلى هذا الاساس استقبلت فاس بعض المواد التي تدخل في مجال صناعتها مثل النيله من درعة[٧]. وتادنست في اقليم حاحا[٨]، وكذلك الزيت والنحاس والسكر

---

(١) الوزان، وصف أفريقيا ، ج١ ، ص٢٣٧.

(٢) الرحلة، ص١٢٢.

(٣) م ، ن ، ج١، ص٩٤.

(٤) م، ن. ج١، ص٩٢، ص٩٥.

(٥) المنوني، محمد، وصف المغرب ايام ابي الحسن المريني ، مجلة البحث العلمي، العدد الاول، السنة الاولي، ص١٤٩.

(٦) ابن مرزوق، محمد بن احمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في ماثر ومحاسن مولانا ابي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس، مراجعة واعداد الشركة الوطنية للنشر والاعلان (الجزائر، ١٩٨١)، ص١٢.

(٧) الوزان، وصف أفريقيا ، ج١، ص١٩٢.

(٨) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٦٧.

من مراكش[١]،في حين انتقلت منتجات مدينة فاس الى سائر انحاء بلاد المغرب[٢]، كما راجت السفاري التلمسانية المشهورة بنوعيها المعروفين المختم وغير المختم (ويقصد به وحيد اللون او المتعدد الالوان)[٣]، المصنوعين من الصوف والحرير في ارجاء المغرب لتفضيل المرينيين لها على غيره من الاقمشة، وكذلك مصنوعاتها من عدة الخيل كالسروج[٤].

ومن جانب اخر استقبلت مدينة سبته القمح والاغنام لندرتها في ارضها[٥]. في حين ارسلت فواكهها وصناعاتها النحاسية الاخرى بدلا عنها الى سائر مدن المغرب[٦]، وتبادلت سجلماسة وتاجرت بتمرهما في سائر مدن المغرب لندرة مثله فيهما[٧].

٢- صادرات اسواق بلاد المغرب الخارجية ووارداتها :-

أ- صادرات اسواق بلاد المغرب الى الاندلس ووارداتها:-

كانت بلاد الاندلس في العصر المرابطي والموحدي، تابعة سياسيا لبلاد المغرب، بعد ان سيطر المرابطين والموحدين على اغلب

---

(١) الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر، الجغرافية، تحقيق محمد الحاج صادق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (دمشق، ١٩٥٨)، ص١٩١.

(٢) روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص١٣٧.

(٣) برانشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر الى نهاية القرن الخامس عشر (بيروت، ١٩٨٨)، ج١، ص٢٤١.

(٤) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص١٢٩.

(٥) العمري مسالك الابصار، ص١٣٧.

(٦) الانصاري، اختصار الاخبار، ص٣٦، ص٥٣.

(٧) العمري، مسالك الابصار، ص١٣٩.

مدنها، ومن الطبيعي ان يكون التبادل التجاري بين الاسواق المغربية والاندلسية نشطا، حيث كان تبادلا داخليا اكثر منه خارجيا.

لقد كانت اسواق المغرب الادنى (افريقية) في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، تصدر الى بلاد الاندلس، المنسوجات الكتانية والصوف والثياب الغالية[١]، وجلود الفنك والخيل والمرجان[٢]، وكانت اسواق تلمسان تصدر الى الاندلس القمح والشعير بكميات كبيرة[٣]. وكذلك السكر والتمر والنيله، والشب والنحاس واكسية الصوف، وادوات سروج الخيل والاغنام[٤]. كما مدت اسواق مدن المغرب الاقصى،الاندلس بانواع الطعام[٥]،فمن مرسى فضالة (المحمدية) كانت ترد المراكب الاندلسية فتحمل الحنطة والشعير والفول والحمص، فضلا عن الماعز والغنم والبقر[٦].

---

(١) الادريسي، وصف افريقية، ص١٢٥. ابن سعيد، الجغرافية، ص١٠٨، ص١٠٩.

(٢) ابن سعيد، الجغرافية، ص١٠٨.

(٣) الادريسي، وصف افريقيا، ص٧٠، ص٧٢، ص٧٤، ص٨٠، ص٨٣ ن ابن سعيد، الجغرافية، ص٧٣، الاستبصار، ص١٣٢، ص١٧٤، ص١٨٩، وكانت مدينة المريه الاندلسية تجلب الفواكه من مدينة بجاية في المغرب، الاوسط، انظر، عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص١٦٨.

(٤) الاستبصار، ص١١٧، وانظر، ابن سعيد، الجغرافية، ص١١٧، ص١١٨، ص١١٩.

(٥) كان الطعام يرد بكميات كبيرة الى الاندلس، من مدن المغرب المختلفة، وذلك خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، انظر ابن حوقل، صورة الارض، ص٨٣، ص٨٧.

(٦) الادريسي، وصف افريقية، ص٤٨.

وفي عهد المرينيين استقبلت أسواق غرناطة، الحبوب والتمور والموز والسكر بكميات كبيرة من الاسواق المغربية[1].

اما واردات اسواق بلاد المغرب من الاندلس، فهي كثير ومتنوعة، فقد كانت الاندلس تمد الاسواق المغربية، بعدد من المواد الضرورية للسكان، فأسواق افريقيا (المغرب الادنى) في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي كانت تستورد بعض المواد الخام من الاندلس فضلا عن الكتان والحرير وادوات الصباغه، مثل الزعفران والقرمز والزنبق والكبريت الاحمر[2]. كما ان التين والموز كان يصدر من مدينة اشبيلة الى سائر مدن بلاد المغرب[3]، كذلك كانت مدينة اشبيلية تجهز اسواق بلاد المغرب بالزنبق والفواكه والقطن[4]، وامدت مدينة المرية الامدلسية مدن المغرب الاقصى بالحصى الملون الذي كان الرؤساء والامراء بمراكش يستوردونه ليتزينوا به[5]. واستقبلت الاسواق المغربية المنسوجات التي اشتهرت بها مدينة بلنسيه[6].

---

(١) العمري، مسالك الابصار، ص١٦٠، المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٩٨.

(٢) ابن سعيد، الجغرافية، ص٩٦، ص٢٤٩، المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٤٦.

(٣) م، ن، ص٩٣، وانظر، مسائل بن رشد، تحقيق ودراسة محمد بن الحبيب لنيل درجة الماجستير في الفقه الاسلامي، جامعة القرويين، ١٩٧٧، ص٩٥، عن الهرفي سلامة محمد سليمان دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة (بيروت، ١٩٨٥)، ص٢٨٥.

(٤) الادريسي، وصف افريقية، ص٧١، ص٧٢، ص٨٠، ص٨٣. ابن سعيد، الجغرافية، ص٧٣، وانظر، الحميري، الروض المعطار، ص٢١.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٢٠٦.

(٦) م، ن، ج٤، ص٢٠٧.

ويشير المقري[1]، الى عدد اخر من المواد التي تستوردها اسواق المغرب من الاندلس ومنها الادوات الخشبية، وادوات الموسيقى، والمصنوعات المعدنية،وخاصة الذهبية منها، والوشي المذهب،والبسط ، والزيت.

وفي عهد المرينيين، كانت اسواق المغرب تستورد من بعض المدن الاندلسية وخاصة من مالقه والمرية، بعض الثياب الغالية الاثمان الموشاة بالذهب[2]. واستوردت الاسواق المرينية من غرناطة التين والفراء[3].

ويبدو لنا ان الاندلس كانت تمثل المصدر الرئيسي للسلع الواردة الى الاسواق المغربية في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وخاصة المواد المصنعة التي كان السكان بامس الحاجة اليها، بينما نلاحظ ان المواد الغذائية، كانت في مقدمة السلع التي استقبلتها الاسواق الاندلسية من المغرب، الا ان هذا الحال قد تغير في عهد المرينيين، حيث ان اغلب المدن الاندلسين، سقطت بيد الممالك الاسبانية، باستثناء مملكة غرناطة ومن الطبيعي ان العلاقات السياسية بينهما كانت متوترة ومع ذلك فقد كانت هناك علاقات تجارية بينهما، والكلام عنها في مجال العلاقات التجارية مع الممالك الاسبانية اولى.

---

(١) المقري، نفح الطيب ، ج٣ ، ص٢٠١، ص٢١٣، ص٢١٤. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢١٩.

(٢) النميري، فيض العياب، ص٨٤، ص٩٤. عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص١٥٩، ص١٦٠.

(٣) البادسي، عبد الحق بن اسماعيل، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بعلماء الريف، تحقيق احمد اعراب، المطبعة الملكية، (الرباط، ١٩٨٢)، ص٨٩، وانظر، المقرئ ن نفح الطيب، ج١، ص١٩٨.

ب-صادرات اسواق المغرب الى المشرق ووارداتها :-

اتسمت العلاقات المغربية الاقتصادية في فترة هذه الدراسة مع بلدان المشرق الإسلامي بسمات خاصة، سواء كان مع مصر ام بلاد الشام والعراق. ففي عهد المرابطين والموحدين، كانت اسواق مدن افريقية تصدر العديد من المواد الاولية والصناعية، وكذلك المواد الغذائية، فالادريسي[1] يشير في زمنه الى ان اسواق مدينة برقه " كانت عامرة والتجارة بها قاصدة. فدباغة الجلود البقرية التمور الواصلة اليها من اوجله يتجهز منها في المراكب، والمسافرون الواصلون اليها من الاسكندرية وارض مصر بالصوف "، وكذلك حصن طلميثه " فهو عامر بالناس والمراكب تقصد اليه بالمتاع الحسن من القطن والكتان ويتجهز منه بالعسل والقطران والسمن في المراكب الواصله اليه من الاسكندرية[2] ، ومن مدينة اوجله الافريقية يحمل حب اللوز الى الاسكندرية فيتعجب الناظر منه "[3]. ووصل الفستق القفصي الى مصر[4]،وكذلك الزيت الصفاقسي[5]، والثياب النفزاوية التي كانت تجد لها سوقا رائجا في مصر[6].

---

(١) الوزان ، وصف افريقيا، ص٩٨.

(٢) الوزان، ص١٠.

(٣) ابن سعيد، الجغرافية، ص١٢٨.

(٤) مجهول الاستبصار، ص١٥٤.

(٥) الأدريسي، وصف، ص١٠٧، الاستبصار، ص١١٦، ص١١٧.

(٦) الاستبصار، ص١١٧، كما صدرت المدن المغربية الى سوريا القمح، انظر Kruger. H.. G. The wares. P.20.

وخلال فترة حكم الحفصيين لافريقية، كانت بعض السلع تصل الى مصر، فقد وصلت الثياب الصوفية والزبيب من جزيرة جربة الى الاسكندرية[١].

كما صدرت تونس الحرير الثمين الى مصر ايضا[٢]، وروى الزياني[٣]، ان في مدينة برقه تمر كان يحمل الى مصر، واستقبلت الاسكندرية النسيج والصوف من جزيرة جربة.

اما صادرات المرينيين الى بلاد المشرق، فقد وجدت اشارات تفيد انتقال منتجات المغرب الى اسواق المشرق، وخاصة الجزيرة العربية، ففي سوق مسيل الواقع بين الصفا والمروء، كانت البضائع المغربية من بين السلع المعروضة فيه[٤]، كما ان مصر وبلاد الشام استقبلت من المرينيين انواع الاقمشة الفاخرة، وكذلك الحلي الذهبية التي كانت تصل الى مصر والحجاز[٥].ومن الجدير بالاشارة الى ان هناك العديد من السفارات بين المرينيين، والمماليك، وكانت تحمل خلال هذه السفارات بضائع وسلع متنوعة، كهدايا لحكام الدولتين، ومن اشهر الهدايا، هي التي ارسلها يوسف بن يعقوب المريني (٦٨٥هـ -

---

(١) الوزان، وصف افريقيا ، ج١، ص٩٤، وانظر اشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في العصور الوسطى، دار قتيبة، (دمشق، ١٩٨٥)، ص٣٩٨.

(٢) ناصر خسرو، ص٤١، ص٤٢.

(٣) الزياني، الترجمانة الكبرى، ص٦٩.

(٤) البلوي، خالد بن عيسى، تاريخ المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد السائح، نشر اللجنة المشتركة لنشر القران (المحمدية، بلا)، ج١، ص٢٠٧.

(٥) العمري، مسالك الابصار، ص٩٨، روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص١٣٩.

٧٠٦هـ / ١٢٨٦-١٣٠٧م)، الى الناصر بن قلاوون، وكانت تحتوي على عدد كبير من الخيول والبغال والحمير وكثير من ماعون بلاد المغرب وسائر طرفه مع جملة من الذهب العين[١].

وفي عهد ابي الحسن المريني (٧٣١هـ - ٧٥٢هـ / ١٣٣١م – ١٣٥١م)، ارسلت هدية الى الملك الناصر وتحتوي على كل شيء عن اثمن ما اشتهرت به بلاد المغرب، وما تحتويه خزائن حكامها من اللؤلؤ والياقوت، وانواع الاقمشة الفاخرة وانواع الحرير المذهب، وعدد كبير من الخيل والبغال[٢].

اما واردات اسواق المغرب من المشرق الاسلامي، فهي كثيرة ايضا، خاصة في عهد المرينيين الذين كانت علاقتهم مع بلدان المشرق علاقات طيبة. خاصة مع مصر. وبلاد الشام والعراق وقد انعكس اثرها على العلاقات التجارية.

فخلال عصر المرابطين والموحدين، كانت الاسواق المغربية تستورد فستق الشام الذي كان يصل الى جميع مدن المغرب. كذلك ماء الورد الذي كان يرد من مصر[٣]. وكانت الاقمشة المذهبة المنقوشة ترد من مدينة تنيس المصرية[٤].

وكذلك من العراق وخرسان واليمن[٥]. وفي عهد الحفصيين. اورد لنا جوليان[١]، قائمة كبيرة بواردات افريقية وما تستورده اسواقها

---

(١) ابن ابي زرع. روض القرطاس، ص ٢٨٥. وانظر، محمد بن تاويت الطنجي. التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا. (القاهرة، ١٩٧١). ص٣٧٣.

(٢) انظر محتوى هذه الهدية لكبيرة. ابن خلدون. العبر، ج٧، ص٢٦٧ فما بعدها.

(٣) الاستبصار، ص١٥٤.

(٤) الادريسي، نزهة المشتاق. ص١٥٦، ابن سعيد، الجغرافية، ص٥٠.

(٥) ابن سعيد، الجغرافية. ص٦٠، ص١١٤، ص١٤٤.

من المشرق، حيث اشارة الى ان الحفصيين كانوا يوردون الحبوب عند الاضطرار والخمور وبعض الطيور القناص والبلور والعطور والخشب المصنوع، والمعادن، والاسلحة، والتوابل والحشائش الطبية، والكتان والحرير والقطن واقشمة متنوعة وحلي ذهبية.

واستورد المرينيون من المشرق العديد من السلع الكمالية، فمن العراق الاثواب البديعة، وخاصة الحرير منها، واثواب اخرى كانت تستخدمها النساء كالقسي العربية[٢]، كما جلبوا من العراق المسك والزجاج[٣]. اما المستورد من مصر وبلاد الشام، فيأتي في مقدمتها عدد من المواد الكمالية،كالقماش الابيض المصنوع في مدينة الاسكندرية[٤]، كما استورد، المرينيون القطن الحلبي، التي وصلت كميات منه الى الاسواق المغربية، وخاصة الى اسواق مدينة سبتة[٥].

وصدرت الشام والاسكندرية في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. الحرير والمطرزات والمقصبات الى بلاد المغرب[٦]. وصدرت بلاد الشام الاغطية الى اقصى بلاد المغرب[٧].

---

(١) تاريخ افريقية الشمالية، ج٢، ص١٩٥. ص١٩٦.

(٢) النميري، فيض العباب، ص٦٢، ص٨٤، الجزنائي، زهرة الآس، ص٥٨.

(٣) ابن الحاج، ابو عبد الله محمد بن عبد الله، المدخل الى تنمية الاعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها، طبع على نفقة مطبعة الباجي الكتبي، المطبعة الشريفة (القاهرة، ١٣٢٠ هـ)، ج٣، ص٦٨، ص٦٩. النميري، فيض العباب، ص٦٨.

(٤) ابن الحاج، المدخل، ج٣، ص٦٨.

(٥) ابن سعيد، الجغرافية، ص١٥٤.

(٦) اشتور، التاريخ الاقتصادي للشرق الاقصى، ص٢٤٨.

(٧) النميري، فيض العباب، ص٦٢، ص٨٤، الجزنائي، زهرة الآس، ص٥٨.

واستورد المرينيون من بلاد اليمن القماش والجوخ المتعدد الالوان[1]،ومن الهند استوردوا العطر الهندي، وخاصة الى مدينة فاس المشهورة اسواقها بكثرة العطور[2]، وكذلك الفلفل الهندي،والقرنفل[3]، ومن الطبيعي ان تكون هذه السلع المستوردة قد انعشت الاسواق المغربية وزادت من عملية البيع والشراء.

ج-صادرات الاسواق المغربية الى السودان ووارداتها :-

ان الصلات التجارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان ترجع الى عهود قديمة وكان لظهور الاسلام ونشره في تلك المناطق عاملا مهما على استمرار وازدهار العلاقات التجارية بين المغرب وبلاد السودان، والتي كانت نشطه خلال فترة دراستنا.

فالادريسي[4]، ياتي بمعلومات مهمة حول ممارسة سكان مدينة اغمات في العصر المرابطي التجارة مع بلاد السودان، حيث يقول " وهم (أي سكان مدينة اغمات) املياء، تجار مياسير يدخلون الى بلاد السودان باعداد الجمال الحاملة لقناطير الاموال من النحـــاس الاحمـــر والملـــون والاكسية، وثياب الصوف والعمائم والمأزر، وصنوف النظم من الزجاج والاصداف والاحجار وضروب مـــن الافاويـــة والعطـــر وآلات الحديـــد

---

(١) فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ترجمة انيس فريحه، دار النشر والطباعة (بيروت، ١٩٥٩)، ص٤١٣.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢٤٢.

(٣) القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، ص١٢٣.

(٤) نزهة المشتاق، ص٢٣٢، الحميري، الروض المعطار، ص٤٦.

المصنوع... ولم يكن في دولة الملثمين احد اكثر منهم اموالا ولا اوسع منهم حالا .

كما ان القمح كان يصدر من اسواق مدن المغرب الاقصى الى السودان في العصر الموحدي[1]،وكذلك الزبيب والتمر،حيث كانا يبعثان الى السودان من اسواق اقليم السوس[2]،وكانت ترسل الثياب الحريرية والكتانية من المغرب الى السودان[3]،في حين وصل المرجان السبتي، وكذلك الخرز والودع الى مناطق مختلفة من بلاد السودان[4].

وفي عهد المرينيين، اتسعت صادرات بلاد المغرب الى السودان، وخاصة من المواد الغذائية التي كانت تحتل المرتبة الاولى في قائمة الصادرات المرينية الى بلاد السودان، باعتبار ان المغرب في عهد المرينيين،قد شهد فائضا كبيرا في اغلب اسواق مدنه، فاصبحت " الكثير من المواد الفلاحية بضائع اساسية في قائمة التبادل التجاري، ولاسيما للتجارة الصحراوية "[5]. وتاتي في مقدمة المواد الغذائية، التمور التي اشتهرت بها مدينة سجلماسة والتي اعتبرها ابن الخطيب[6]" ام البلدان المجاورة لحدود السودان "، وكانت هذه المادة تصل الى بلاد السودان وتلقى هناك سوقا رائجا، ولا سيما في المناطق الفقيرة فيها مثل تفازي

---

(١) ابن سعيد، الجغرافية، ص١١٧.

(٢) م، ن، ص١١٧، ص١٢٤.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٦٨، ابن سعيد، الجغرافية، ص١١٨، ص١٢٤، ص١٢٧، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٦.

(٤) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٦٨، ص١٦٩، ابن سعيد، الجغرافية، ص١٢٧، الاستبصار، ص١٢٦.

(٥) الجنحاني، المغرب الاسلامي، ص٣٤.

(٦) ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص١٨٦.

التي كان سكانها "يعيشون بما يجلب اليهم من تمر درعة وسجلماسة"[1]، كما ان الملح المتوفر في الصحراء المغربية، كان من المواد المهمة في قائمة الصادرات المرينية الى بلاد السودان فضلا عن اللحوم والزيت[2].

لقد وجد التجار المغاربة في السودان سوقا رائجا لخيولهم، على اعتبار ان الخيول وان توفرت في السودان فهي " اقطار غير سابقة "[3]، فضلا عن ارتفاع اثمانها اذ كان يساوي احدهما مائة مثقال[4].

وراجت المواد الكمالية والثياب المغربية داخل بلاد السودان الغربي والاوسط، حيث ان المدن القائمة عند منحنى نهر النيجر مثل غوا وتمبكتو، كانت تستقبل انواع من الكماليات المغربية وتباع في اسواقها، فضلا عن الزجاج وانواع الاقمشة والمنسوجات[5]، ولاسيما من مدينة فاس او من اقليم حاحا التي كان يصنع فيه " الكثير من قطع الثياب الصغيرة التي يحملها التجار... مرة في السنة الى تمبكتو"[6]، كما ان النحاس والرخام والفضة كانت من جملة المواد المرينية المصدرة الى بلاد السودان[7].

اما واردات المغرب من السودان، فيأتي في مقدمتها الذهب السوداني، حيث تمثل السودان الغربي لبلاد المغرب (خزانة الذهب)،

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ص٧٧٣.

(٢) م. ن، ص٦٧٤. ص٧٧٣.

(٣) ابن سعيد، الجغرافية، ص٩١.

(٤) ابن بطوطة، الرحلة، ص٧٩٢.

(٥) روجيه، فاس. ص١٢٠.

(٦) الوزان، وصف افريقيا، ج١، ص٩٥.

(٧) ابن سعيد، الجغرافية، ص١٤١.

وكان لهذه التجارة اثرا واضحا في انتعاش اقتصاديات الحكومات المغربية.

وبالرغم من الصعوبات التي واجهت التجارة بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال العصر الموحدي، بسبب وجود قبائل الملثمين في الصحراء ومنعهم للقوافل التجارية المارة عبر الطريق الغربي، ولكن هذا لم يمنع من تدفق الذهب السوداني على المدن المغربية، فضلا عن جلود الفنك واللمط والعاج والابنوس والشب[١].

وفي عهد المرينيين ازداد تدفق الذهب السوداني على بلادهم، حيث قدر احد الباحثين كمية الذهب المستورد من السودان خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، اربعة ملايين في السنة، معتمدا في ذلك على سرعة الحمولة للقوافل التي كانت تقطع ما بين ٣٠-٤٠ كم في اليوم، ويحمل فيها اكثر من ٢٠ كغم على ظهر كل جمل[٢]. وفضلا عن الذهب، استمر تدفق بعض البضائع السودانية الى المرينيين، ومنها الشب والصمغ والاخشاب والجلود[٣]. ويبدو ان هذا الباحث قد بالغ بارقام هذه الاحصائية.

٣- صادرات بلاد المغرب الى اوربا ووارداتها :-

أ- صادرات اسواق المغرب الى ايطاليا ووارداتها :-

تأتي ايطاليا في مقدمة الدول الاوربية التي تعاملت مع دول المغرب بوجه عام، حيث بدأ اهتمام الايطاليين ببلاد المغرب منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، أي في عهد المرابطين، لان

---

(١) م، ن، ص١١٨، الاستبصار، ص٢١٤، ص٢١٥.

(2) Chaunu. P. L. expansion Europeen du 13 au 150 Siecle P.4 F. Paris – 1966 P.137.

(٣) القلشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٦.

التجارة الخارجية للمرابطين واجهت صعوبات كثيرة كما اشرنا من قبل، وخاصة مع الممالك الاسبانية، مما جعل التجارة معهم لا تزدهر الا في سنوات الهدنه[١].واما مصر الفاطمية، فقد كانت سيئة الظن بالمغاربة الذين اعترفوا بالعباسيين، حتى ان بدر الجمالي كان يضيق كثيرا على قوافل الحج المغربية وكذلك على التجار المغاربة[٢].

ولم يبق امام المرابطين، وامام هذه الظروف سوى التعامل التجاري مع صقلية والمدن الايطالية، التي بسطت سيطرتها على البحر المتوسط عند مجيء المرابطين للحكم، وذلك بسبب ضعف القوة البحرية العربية، وخاصة في سواحل المدن الافريقية نتيجة الهجرة الهلالية لتلك المنطقة، وعقد المرابطون معهم عدة اتفاقيات، خاصة مع مدن بيزه وجنود في عامي (٥٣١ هـ / ١١٣٧م) وفي (٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م). وتشجيعا منهم للتجارة في بلاد المغرب لم ياخذ المرابطون غير العشر (١٠ %) على البضائع والسلع الايطالية[٣].

وفي عهد الموحدين، كانت العلاقات التجارية على عهدهم تعاني من بعض المشاكل وخاصة مع السودان كما اشرنا من قبل. فضلا عن الحروب الطاحنة التي سنها الموحدون على نصارى اسبانيا كانت لا تشجع على قيام التجارة معهم، بينما لم تكن علاقة الموحدين بمصر على ما يرام سواء مع الفاطميين ومن بعدهم الايوبيين[٤].

---

(١) انظر، امثلة ذلك، ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٩١، ص٩٢.

(٢) ابن الاثير، ابو الحسن عز الدين الجزري، الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت، ١٩٦٧)، ج١٠، ص٤١٤ وانظر، ابن القطان، نظم الجمان، ص١٠٠.

(3) Mas. Latric , Op. Cit, P.37-49.

(٤) عز الدين موسى، تنظيمات الموحدين، ص٥٦.

وكما فعل المرابطون تعامل الموحدون مع المدن الايطالية، وخاصة مع بيزة وجنوة، وعقدوا مع الاخيرة اتفاقية تجارية عام (٥٥٥هـ / ١١٦٠ م)، سمحوا فيها للسفن الجنويه بالاتجار في كل المراسي المغربية، وخفضت تجارة العشور (١٠ %) بحيث لا يدفع الايطاليون الا (٨ %) على البضائع والسلع الجنويه، وجدد هذا الاتفاق عام (٥٧١ هـ / ١١٧٦م) وعام (٥٨٧ هـ / ١١٩١م)[١].

ان هذه الاتفاقيات التجارية في عصر المرابطين والموحدين، مهدت للايطاليين في التجاوز على السواحل المغربية، حيث عملوا على اخضاع مدينة سبته التي تمثل انذاك مخزن عن الذهب المجلوب من بلاد السودان والمصدر نحو اوربا فلما وصل اليها الايطاليون بمراكبهم على اساس التبادل التجاري " فاجتمع على ديوانها وربضها عدد كثير راموا التغلب عليها بتحيلاتهم "[٢].

ومن اهم صادرات الاسواق المغربية الى المدن الايطالية، وخاصة بيزة وجنوة هو الزيت الصفاقسي[٣]، والسكر السوسي[٤]، كما ان المدن الافريقية كانت تصدر الى مدينة جنوة الايطالية الاصواف الكثيرة[٥]،فضلا عن الماشية[٦].

---

(1) Mas , larie , Traite , P.47-89.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٨٩.

(٣) ابن سعيد، الجغرافية، ص١١٧.

(4) Amario , M, IDiplomi arabidel archivio frocntio , V , I , Firenze Lemonnier , 1963- P.72.

(5) Kruegcr , H. C. "aenoese Trade with North Africa in the Twelfth Century Speculum , 1933 , P.377.

نقلا عن عز الدين، تنظيمات، ص٨٦، ص٨٦.

(٦) جوليان، تاريخ افريقية الشمالية، ج٢، ص١٣٨.

وبعد سقوط دولة الموحدين، وانقسام المغرب الى ثلاثة حكومات مستقلة، كبني حفص وبني عبد الواد في المغرب الاوسط، وبني مرين في المغرب الاقصى، سعت كل من هذه الحكومات الى ابتاع عقد اتفاقيات تجارية مع مدن بيزة وجنوة والبندقية.

فمع حكم الحفصيين للمغرب الادنى (افريقية) عقد حكامها عدة اتفاقيات تجارية مع المدن الايطالية فقد عقدوا اتفاقا تجاريا مع البندقية عام (٦٢٩هـ / ١٢٣١ م)، وفي عام (٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م)، مع جنوه عام (٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م) وذلك على عهد ابي زكريا يحيى الحفصي، (٦٣٤هـ - ٦٤٧هـ / ١٢٣٧ م -١٢٤٩م)[١].

وخلال حكم المستنصر بالله الحفصي (٦٤٧هـ - ٦٧٥هـ / ١٢٤٩م - ١٢٧٧م)، عقد اتفاقيات تجارية مع بيزه عام (٦٦٧ هـ - ١٢٧١م)، ومع جنوه عام (٦٦٨ هـ - ١٢٧٢م)[٢]. وجددت بعض هذه الاتفاقيات عام (٧٥٧ هـ - ١٣٥٣م)[٣]، في حكم ابي اسحاق ابراهيم الثاني الحفصي (٧٥١ هـ - ٧٧٠هـ / ١٣٥٠ م - ١٣١٩م).

كما ان هناك اتفاقا تجاريا عقد بين صاحب طرابلس احمد الملكي، وبين البندقية عام (٧٥٧ هـ / ١٣٥٣م)[٤].

ان هذه المعاهدات والاتفاقيات التجارية، كان لها بدون شك تأثير كبير بضمان الملاحة للاطراف المتعاقدة، وتضبط قواعد التجارة.

---

(١) جوليان، تاريخ افريقية الشمالية. ج٢، ص١٧٨.

(٢) م، ن. ج٢، ص١٨١.

(٣) م، ن، ج٢، ص١٩٦.

(٤) اتوري. روسي، ليبيا منذ الفتح العربي الاسلامي حتى سنة ١٩١١، تعريب وتقديم خليفة محمد، دار الثقافة للنشر (بيروت، ١٩٧٤)، ص١٣٢.

وشروط دخول التجار الايطاليين لمدينة تونس، وباقي المن المغربية، فضلا، انها تمثل حماية لرعايا التجار من كلا الطرفين[1].

وليس ادل على ان التجار الايطاليين كان لهم دور مؤثر في دولة الحفصيين هي تلك الرسائل المتبادلة والودية بين التجار المغاربة وتجار المدن الايطالية ففي مطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، كتب تجار من تونس رسائل ودية وحارة لتاجر من مدينة بيزة الايطالية، كان قد غار المدين، فاعطوه كل التطمينات، فكتبوا في ذلك " لا تتردد في الرجوع الى تونس. وستجد حيث حللت الترحاب آمن ومن معك، فسوق البضائع ناقصة وفي وسعك ان تقوم بكل الشراء التي ترومها "، وفي رسالة اخرى كتب بعض التجار المغاربة الى تاجر من مدينة بيزة احتوت احداها ما يلي " ان الحالة والتجارة على ما يرام احسن مما كانت عليه عند رحيلك، ستنزل مكرما مبجلا مثلما كان ذلك في السابق "[2].

ان هذه الرسائل تدل بدون شك على ما كان بين بيزة وتونس من علاقات تجارية طيبة وحميمه، وكان من نتيجة ذلك تبادل الطرفان البضائع والسلع المختلفة.

فقد كان الحفصيون يصدرون الحبوب الى المدن الايطالية المذكورة، اذ كان القمح التونسي " الموجه لتلبية حاجيات البندقية وجنوه معفيا في كل ضريبة حيث تصديره "[3]، كما اصدرت تونس

---

(١) جوليان، تاريخ افريقية الشمالية، ج٢، ص١٨٢.

(٢) جوليان، تاريخ افريقية الشمالية ج٢، ص١٦١، برانشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ج١، ص٤٤٣.

(٣) برانشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ج١، ص٢٥٥.

الحفصية الى البندقية الاصواف والجلود[1]، وكذلك التمور والملح الذي كان تجار البندقية يحتكرونه، والدليل على ذلك ما صرح به احد نوابهم في تونس مخاطبا احد الحكام الحفصيين بقوله " ان جمهوريتنا (أي البندقية) لا تريد ان تستورد من بلدكم غير الحبوب والملح"[2].

لم يقتصر التعامل التجاري للمدن الايطالية مع العاصمة تونس فقط، بل شمل بعض المدن الافريقية الاخرى، كمدينة طرابلس التي كانت تصدر الصوف والجلود والملح والقمح الى مدينة جنوه الايطالية[3]، كما ان السفن الايطالية كانت ترد كثيرا على جزيرة جربة التونسية لحمل الملح منها[4].وكثيرا من هذه السفن كانت تنقل البضائع بين الجانبين، فقد وجدت وثيقة خاصة، تشير الى ان عددا من التجار الايطاليين كانوا يقومون بالابحار بسفن خاصة لهم الى المدن الافريقية فمثلا في عام (٨٤٧هـ / ١٤٤٣م)، قام التاجر القشتالي (Torroos) من قيادة سفينة كانت تحمل ثمانين غرارة[5] من القمح من مدينة لبدة الافريقية[6]، ان علاقة الحفصيين التجارية مع المدن الايطالية، كان لهم تاثير ليس فقط على اسواق مدن المغرب الادنى. فحسب بل شمل تأثيره على الاسواق المغربية الاخرى، فبنو زيان في المغرب الاوسط كانت لهم

---

(١) الوزان. وصف أفريقيا ، ج١، ص٢٦٢.

(٢) العامري. تاريخ المغرب. ص١٧٦.

(٣) اتوري، ليبيا منذ الفتح العربي الاسلامي، ص١٣٤.

(٤) العامري، تاريخ المغرب، ص١٧٦.

(٥) كان وزنها يساوي ٢٠٤/٥ كغم من القمح وهي تعني العدل من صوف او شعر ، انظر هنتس المكاييل، ص٦٤.

(٦) اوري. ليبيا منذ الفتح العربي الاسلامي، ص١٣٤.

علاقات تجارية مع المدن الايطالية ايضا، فالوزان[1]، يشير على ان مدينة تلمسان ووهران كان يتردد على موانهما عدد كبير من تجار جنوه والبندقية، حيث كانت مدينة وهران محط التجار الجنوبيين، ومدينة القل كانت مليئة بالصناع ويمتلكون كمية عظيمة من الجلود، تفيض عن حاجة السوق المحلية فيحملها تجار جنوه الى مينائهم[2].كما ان القمح كان يصدر من مدينة سكيكرة الى مدينة جنوة الايطالية[3].

اما بنو مرين، فقد صدروا للمدن الايطالية، الصوف والخرفان والخيل والجلود والزرابي والاحزمة المزخرفة والقطن والشمع[4]، ومن صادراتهم للمدن الايطالية نبات النيله الذي كان يزرع خاصة باحواز مدينة سبته، وكذلك المرجان الذي كان يجد سوقا رائجا له في داخل المدن الايطالية[5]، والذي اشتهرت به مصانند سبته البحرية.

ما واردات اسواق بلاد المغرب من المدن الاسطالية، فهي متنوعة، فمنذ عهد الموحدين كانت اسواق مدن المغرب الادنى (افريقية) بصورة خاصة، تسورد القمح والقسطل والجوز والبندق والفستق من جزيرة صقلية، حيث كانت هذه المواد متداولة في عملية البيع والشراء في اسواق مدينة طرابلس والمهدية[6].

كما ان اسواق طرابلس كانت تستورد الادوات الخشبية والمنسوجات والخرز، وصدرت جنوه الايطالية الذهب على شكل سبائك،

---

(١) الوزان ، وصف افريقيا، ج٢، ص٢٩، ص٣٠.

(٢) م ، ن ، ج٢، ص٥٤.

(٣) م، ن، ج ٢، ص٥٥.

(٤) المنوني، نظم الدولة المرينية، ص٥٠.

(٥) روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص١٥٩.

(٦) الادريسي، نزهة المشتاق، ص٢٤، ابن سعيد، الجغرافية، ص١٣١.

والسفن والخشب والنبيذ والمنسوجات الحريرية، فضلا عن توابل الشرق الى مدن المغرب الادنى (افريقية)[١]، ويبدو لنا ان مصر في تلك الفترة لم تصدر التوابل المشرقية الى المغرب، فكانت تأتي عن طريق مدينة جنوة الايطالية. ومن جنوة ايضا كان يرد النحاس وكثير من الاقمشة الى الاسواق المغربية[٢].

وفي عهد الحفصيين كانت اسواق مدن المغرب الادنى (افريقية) مليئة بالبضائع الايطالية، وخاصة الاحجار الكريمة والجواهر والجلود[٣]، كما ان تجار مدينة بيزة كانوا يجهزون الاسواق التونسية بانواع الحبوب وكثير من المنسوجات والاقمشة الشرقية[٤]. واستوردت الاسواق في مدن المغرب الاقصى الزعفران الجنوبي، الذي كان متفضلا على غيره من الانواع[٥]، على الرغم من كثرة انتاج الزعفران في المدن المغربية. كما ان الزجاجيات الايطالية المجلوبة من مدينة نابلي كانت ترد على اسواق مدينة فاس[٦]. فضلا عن المعادن المصنعة والاسلحة والمواد التي تدخل في صناعة السفن وانواع الصبغات النفيسة[٧].ومن واردات اسواق المرينيين الرخام الايطالي،فعلى الرغم من تواجده في المدن المغربية، الا ان الاغنياء في مدينة فاس، كانوا يستوردونه في

---

(١) ابن سعيد، الجغرافية، ص٧٨.

(٢) الوزان ، وصف أفريقيا ، ص٧٨، ص٧٩.

(٣) العامري، تاريخ المغرب في سبعة قرون، ص١٧٥.

(٤) جوليان، افريقية الشمالية، ج٢، ص١٦٠.

(٥) ابن الحاج، المدخل، ج٣، ص٧٤.

(٦) الجزنائي، زهرة الآس، ص٧٩.

(٧) نشاط مصطفى، التجارة بالمغرب الاقصى، ص١٥٦.

بعض الأحيان مقطوعا ومصقولا[١]. وكذلك الاقمشة الرفيعة التي كانت تروج سوقها بين الاسر الغنية وخاصة في مدينة فاس[٢].

ومن الجدير بالاشارة الى ان هناك العديد من اسواق الموانئ المرينية كان لها دور مؤثر في التجارة مع الدول الاوربية، ومن هذه الموانئ ميناء او مرسى كانفا الذي يقول عنه ابن الخطيب[٣]، بانه محط والقلاع ومجلب السلاح، وميناء مدينة اصلا ذات السفن المتعددة[٤]. ومرسى مدينة طنجة ذات السفن اللطاف[٥]، ولابد ان يكون بين هذه السفن الكثيرة في المراسي والموانئ المغربية للسفن الايطالية نصيبا وافرا فيها لاستخدامها لغرض نقل البضائع والسلع من والى اسواق المدن المغربية خاصة وان النميري[٦]، يشير الى كثرة البضائع والسلع المنقولة من المدن الايطالية الى بلاد المغرب في عهد المرينيين بقوله " وامتلأت دواوينه واقطاره بتجارتها ".

ب-صادرات اسواق المغرب الى فرنسا ووارداتها :-

تعود العلاقات مع فرنسا الى عصر الموحدين حيث حملت العديد من السلع المغربية الى اوربا ومن ضمنها فرنسا، فالسكر السوسي كان يصدر الى اوربا ومنها الى بلاد الافرنج[٧].

---

(١) روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص١٣٢.

(٢) م، ن، ص١٥٩.

(٣) معيار الاختيار، ص٤٣.

(٤) م، ن، ص٤١.

(٥) م، ن، ص٥٣.

(٦) فيض العباب، ص٦٨.

(٧) ابن سعيد، الجغرافية، ص١١٧.

وكذلك النحاس[١]، وكانت الجلود في العصر الموحدي اكثر السلع المغربية تصديرا الى فرنسا[٢].

واستمرت بعض البضائع المغربية تاخذ طريقها الى فرنسا في عهد المرينيين وخاصة من مدينة فاس وتلمسان، منها الخيول والذهب والعاج[٣].

اما واردات الاسواق المغربية من فرنسا، فكانت تحتـوي علـى المواد المصنعة[٤]،ومادة الفول[٥]،وخاصة في عهد الموحدين والمرينيين واستورد المرينيون من فرنسا مادة القطن المصنع والزرابي والقماش، كما ان الخمور المرسيلية كانت تجد لها سوقا رانجا في مدينـة سـبته، وذلك لكثرة الجاليات الاجنبية فيها[٦]. فضلا عن التوابل المشرفية التـي تصدرها فرنسا الى بلاد المغرب، وكذلك الماستيك والسك والاقمشة النسيجية[٧].

وصدرت فرنسا الى مدينة بجاية في العهد الزياني، انواع من البضائع وخاصة الارز[٨]. كما ان الحفصيين في تونس استوردوا بعض

(١) الوزان ، ص١٨.

(2) Amari , Diplomi arabi , P.76.

(٣) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الاقصى، ص٦٨.

(4) Raubety (G) histori ducomerce de marsecoill clemoyen age. T: Z.Paris , 1951 , P.112.

(٥) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الاقصى، ص٦٩.

(٦) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص٢٨٢، وانظر، نشاط مصطفى، التجارة، ص٦٩.

(7) Gisele chorine , les relations delo franceavce lemarocdes origins a latin du moyen age hesperis , Rabat , 1957 , P.250.

(٨) العمري، مسالك الابصار، ص١٢٧.

الاقمشة من فرنسا، ويشير احد الباحثين[1]، بان الحفصيين كانوا يعولون كثيرا على مرسيليا بتزويدها لهم بالحبوب. ونحن نشك في ذلك لان الحفصيين كما مروا بنا سابقا كانوا يصدرون الحبوب بكميات كبيرة جدا الى المدن الايطالية فكيف يستوردونه ويعولون عليه من مرسيليا.

ج-صادرات أسواق المغرب الى اسبانيا ووارداتها :-

كانت العلاقات التجارية بين دول المغرب والممالك الاسبانية على نطاق محدود على عصر المرابطين والموحدين، حيث كانت العلاقات متوترة بينهم وفي حالة حروب دائمة.

لقد تغير هذا الحال بعض الشيء في عصر المرينيين، وخاصة بعد سقوط اغلب المدن الاندلسية بيد الممالك الاسبانية، ومع ذلك فقد صدرت أسواق المدن المغربية بعض المواد الى الارغون كالجلود المدبوغة والصوف والحبوب[2]. اما واردات بلاد المغرب من اسبانيا، فقد وصلتنا اشارة تفيد بان الموحدين كانوا يستوردون مادة الاصباغ من اسبانيا[3].

وبعد ان تعرفنا على صادرات وواردات الاسواق المغربية، يمكن لنا ان نضع كليهما في كفة ميزان ونرى ايهما ارجح الصادرات ام الواردات ؟ وهل تطورت الصادرات والواردات نحو الاحسن من قرن الى

---

(١) نشاط مصطفى، النجاة، ص٦٩، ص٧٠.

(٢) نجاة باشا، الجارة في المغرب الاسلامي من القرن الرابع الهجري الى القرن الثامن الهجري، المنشورات الجامعة التونسية (تونس، ١٩٧٦)،ص ١٠٨.وانظر، مزاحم، الاوضاع الاقتصادية، ص١٠٤.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ١٨٨، ابن سعيد، الجغرافيه، ص٧٨.

اخر ؟ ومع أي جهة كانت علاقات دول المغرب اكثر متانة ؟ وللاجابة على هذه الاسئلة نقول :

خلال القرنين السادس والسابع الهجري / الثاني عشر والثالث عشر الميلادي شهدت هذه الفترة صراعا سياسيا بين القوى السياسية التي حكمت بلاد المغرب (المرابطون والموحدون) ودول البحر المتوسط المتمثلة بالمدن الايطالية والممالك الاسبانية، كما ان علاقة المرابطين والموحدين مع مصر كانت متوتره، وعلى الرغم من هذا الصراع السياسي الا ان هناك عمليات التبادل التجاري واضحة بينهما، وان السمة البارزة خلال فترة حكم المرابطين والموحدين لبلاد المغرب، هو التكامل الاقتصادي الداخلي في عملية تبادل البضائع والسلع داخل الاسواق المغربية.

وبعد سقوط دولة الموحدين. وانقسام المغرب الى ثلاث حكومات، سعت كل حكومة على انعاش النشاط التجاري مع دول اوربا بصورة خاصة لان كل منها تريد مزيدا من هذا النشاط لتقوية مركزها السياسي. فالحفصيون عقدوا عدة اتفاقيات تجارية مع المدن الايطالية والتي ساعدت بشكل وباخر على اغراق الاسواق المغربية بمختلف البضائع والسلع الاوربية، وكانت نسبة الواردات الحفصية اكثر من صادراتها التي اقتصرت في اغلب الاحيان على بعض المواد الغذائية، فيما كانت وراداتهم مع السلع الكمالية. اما المرينيون، فقد كانت علاقتهم التجارية مع الدول المجاورة على ما يرام خاصة مع دول البحر المتوسط ومصر، وكانت اسواقهم تصدر العديد من السلع والبضائع الفائضة عن الحاجة المحلية، ومن اهمها المواد الغذائية وبعض المعادن المهمة، فيما استوردت تلك الاسواق بعض مواد الترف، والمواد الاولية التي تاتيهم من البلاد المشرقية.

ولم يكن للزيانيين في المغرب الاوسط دور مؤثر في العلاقات التجارية حيث كانوا بين قطبي المرينيين من جهة والحفصيين من جهة اخرى، ومع ذلك صدرت بعض اسواق مدنهم العديد من السلع الى الدول الاوربية كما أستقبلت اسواق مدنهم بعض البضائع الاوربية الضرورية لحاجة السكان.ومما يجب الاشارة اليه، هو العلاقات التجارية مع بلاد السودان، استمرت طيلة فترة هذه الدراسة، واستمر الذهب السوداني يتدفق على اسواق المدن المغربية، مما انعش الاقتصاد المغربي في كل الميادين.

واخيرا يمكن القول، ان صادرات وواردات الاسواق المغربية الخارجية اخذت نحو الاحسن بمرور الزمن، فبينما كانت علاقات المرابطين والموحدين في التجارة الخارجية، قد اصابتها بعض العراقيل. نرى ان هذه السمة قد اختفت بعد انقسام البلاد الى ثلاث حكومات مركزية.

رابعا : النشاط الحرفي والمهني في الاسواق والعاملون فيه:

١-نشاط اهل الصنايع والحرف في الاسواق المغربية :-

مما لاشك فيه ان للنشاط الحرفي دورا مهما في عملية الانتاج الاقتصادي وقد اكد القرآن الكريم على اهمية العمل في اكثر من آية من آياته[١]، كما اشار بعض المؤرخين الى العمل والتخصص فيه، وعدوا

(١) وقل اعملوا فسيرى الله عملكم والمؤمنين، التوبة، آية ١٠٥، والاحقاف، الآية ١٩، وسورة النحل، الآية ٩٤.

العمل الوسيلة الوحيدة لنيل حق التملك، لانه عنصر فعال في طرق الكسب التي اباحها الاسلام ومهد امام الفرد سبل الحصول على المال[١].

يتركز النشاط الحرفي في اسواق المدن المغربية في المصنوعات اليدوية شأنه شأن بقية اجزاء المعمورة في العصر الوسيط، وقبل ادخال الادارة المتطورة في الصناعة.

من المعروف ان الطبقة العامة من الناس، هي التي مارست العمل الحرفي في داخل الاسواق المغربية، ومما ساعدهم على ذلك، هو اهتمام الحكومات المغربية بالصناع ومستواهم المعاشي وتدرجهم المهني وحاجة الدولة اليهم.

ففي عهد المرابطين والموحدين، انتشر الامن في ربوع البلاد. مما شجع على ممارسة العمل واشتغل به العديد من الشرائح الاجتماعية. واستفاد المغاربة من خبرات اهل الاندلس المهاجرين في هذا المجال، حيث برزت طائفة في المجال الصناعي، امثال اسرة بني جامع الذين كانوا صناع اواني نحاسية[٢].

وقدم الموحدون عاملا مشجعا اخر للصناع، حيث الغوا جميع القبالات على الصناعات وحرص عبد المؤمن بن علي، (٥٢٤ هـ - ٥٥٨ هـ / ١١٢٩م - ١١٦٣م) على حماية الصناع ونهى المعاهدة من قتل العامة في مراكش. حتى انه عندما قتلت قبيلة مكناسة الفحامين

---

(١) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد، ادب الدنيا والدين. مطبعة الجوانب (الاسكندرية، ١٩٨١). ص٦٥، ص٧٠، ص٧٢، وانظر. ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق. حجر عاصي. (بيروت. ١٩٨٨)، ص٢٤١، ص٢٤٢.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٣١٠.

في سوقهم، اعمل السيف في مكناس ادبا وعقابا[1]. ومن شدة اهتمام الموحدين بالصناع، فقد طلبوا من حدادي مراكش ان يصنعوا لهم القيود الخاصة بالسجناء[2]، او ينقشوا لهم عبارات يخلدون فيها اسمائهم على السيوف، كما فعل ابو يعقوب يوسف الموحدي[3]، الذي جرد حملتين قادهما بنفسه على صنهاجه الجبل واهل السوس لاعتدائهم على اهل الحرف والمهن من الذين كانوا يعملون في التعدين في تلك المنطقتين[4]، كما انه بنى حصنا على مقربة من مكان التعدين في زجندر من السوس لسكن الصناع[5].

اما اوضاع الصناع فيشير اخوان الصفا[6] الى ان اهل الحرف اناس يعملون بابدانهم وكذلك بادواتهم ويعيشون من بيع ما ينتجون، حيث ياخذون المواد الاولية اللازمة للعمل. ثم يعملون على تحويلها الى اشكال وادوات جديدة فيبيعونها ويعيشون مما يحصلون عليه ثمنا لها، فاما ان تكون صناعتهم يدويه، او توجد ادوات تساعدهم على القيام بها.

وفي بلاد المغرب كان المغاربة يطلقون على من يعمل في الصناعات لفظ (الصناع) وكان الموحدون يطلقون عليهم في تنظيماتهم

---

(١) البيذق، اخبار المهدي بن تومرت، ص١٠٩، ص١١٠، وينظر، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٨٥.

(٢) م. ن، ص٧٩، وينظر ابن الزيات، التشوف الى رجال التشوف، ص١٧٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٤، ص١٠٠.

(٤) البيذق ، اخبار المهدي، ص١٥٢، ص١٥٨.

(٥) المراكشي، المعجب، ص٣٦١. ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٣٩.

(٦) اخوان الصفا وخلان الوفا، رسائل اخوان الصفا، دار صادر (بيروت، ١٩٥٧) ج١، ص٢٧٥.

بمصطلح (عبيد المخزن)، أي خدم الدولة[١].وينقسمون الى ثلاثة اصناف حسبما اشار عز الدين موسى[٢] الى ذلك، فالاول الصانع الخاص ، وبمعنى ذلك ان المالك يستاجر عمالا يعملون تحت اشرافه، ويكون عددهم في مركز التعدين الف عامل[٣]. والثاني الصانع المشترك، وهو ليس بأجير عند رب العمل، وانما يجلس للعمل ويخدم كل من يقدم اليه حاجته[٤] . والثالث،هو الصانع المتجول امثال صناع الاواني الحديدية والخشبية المخروطية، وينتقل من بلد الى اخر حسب العرض والطلب[٥].

اما ملكيات اصحاب العمل فقد تتفاوت في بعض الحرف كالمعادن والارحاء والافران والمعاصر والمطاحن ومعامل الحياكة وذلك حسب قابليتهم الشخصية والمادية[٦].

وفي بعض الحالات يلجأ الملاك الى تاجير اله الصناعة الى مستثمر او صناع يعملون فيها، وهناك ثلاثة انواع من الاستئجار او

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٣٥١، ص٣٥٢، وينظر السقطي، رسالة في الحسبه، ص٦٢-ص٦٤، عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢١٤.

(٢) النشاط الاقتصادي، ص٢١٤.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص٢١٤.

(٤) ابن ابي الحسن علي بن الرحال،كشف القناع في مسائل الصناع. مخطوطه الخزانة العامة في الرباط تحت رقم ١٠٧٩، ص٣٩، ص٤٠ نقلا عن عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢١٥.

(٥) المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة تحقيق احسان عباس (بيروت، ١٩٦٥)، ج١، ص٣٢١. وينظر عز الدين، النشاط الاقتصادي، ص٢١٥.

(٦) ينظر عز الدين، النشاط الاقتصادي، ص٢١٢، ص٢١٣.

الكراء كما يطلق عليه عز الدين موسى[١] الاول ان يكون الاجر معلومات والاجل معلوما، والثاني ان يفرض صاحب الاله على الصانع مبلغا من المال عن كل قطعة تنسج او كمية تعصر[٢] والثالث ان تكون اجره الكراء نصف الدخل[٣] او ثلثه او ربعه[٤].

ويبدو ان الصناع في بلاد المغرب هم اكثر طبقات المجتمع تاثرا بتقلب الاسعار وذلك بسبب قلة الاجور التي يتقاضونها جراء عملهم، حيث كانت اجرة الصناع المهره على سبيل المثال درهمين، ولغير المهره نصف درهم او تكون قيراطا وكسرة خبز[٥].ولم يكن الصناع رجالا فحسب، بل كان بينهم عدد كبير من النساء وجل صناعتهن النسيج والغزل[٦].

وكان لليهود دورهم في بعض الصناعات، وخاصة الدقيقة منها، كصياغة الذهب والاحجار الكريمة، وكان بعضهم من اصحاب الحوانيت الحرفية[٧]، كما اشتغلت طائفة منهم بسك النقود، وخاصة في العصر

---

(١) النشاط الاقتصادي، ص٢١٤.

(٢) م، ن، ص٢١٤، ص٢١٥.

(٣) الونريشي المعيار، ج٨، ص١٥٨. ص١٥٩.

(٤) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢١٤.

(٥) ابن الزيات، التشوق الى رجال التصوف، ص١٠٢، ص١٧٣، وينظر، عزل الدين النشاط، ص٢١٢.

(٦) انظر، ابن عبون، رسالة، ص٥٥، ابن سعيد، الجغرافية، ص١٠٢، ابن الزيات، التشوق، ص١٨٤، ص١٢٥.

(٧) عن انتشار العنصر اليهودي في عصر المرابطين والموحدين، انظر، ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٣، الاستبصار، ص٢٥٢، وفي عهد المرينيين انظر، المياحي، علي، المغرب في عصر السلطان ابي عثمان المريني (المغرب، ١٩٨٦)، ص٢٥٤ فما بعدها والمصادر المعتمدة.

المريني، حتى تشكى الناس بضررهم، الامر الذي دفع ابو الحسن المريني (٧٣١ هـ-٧٥٢ هـ/١٣٣٢ م - ١٣٥١م)، الى ان يأمر بضرب ابشارهم والشدة في اتكالهم"[١].

لقد مارس الصناع مختلف انواع الحرف والمهن، وليس ادل على ذلك، هي كثرة الاسواق الحرفية المتخصصة داخل المدن المغربية، فكان منهم النجارون والخياطون والاسكافيون،والحدادون والصباغون والدباغون والفخارون والفحامون والنحاسيون والخراطون، وغيرها الكثير من المهن[٢]، ويبدو لنا ان اكثر الحرف انتشارا في الاسواق المغربية، هي حرفة الحياكة وما يتصل بها من صناعات فالاحصانيات التي وردت لنا من بعض الكتاب تدل بدون شك على انها كانت واسعة النطاق، فمثلا في مدينة فاس. كانت على عصر المرابطين والموحدين ٣٠٦٤ معملا للحياكة، و ١١٦ دارا للصباغة المنسوجات[٣]. فيما كانت هناك اكثر من ٥٠٠ دارا للنساجين و ٨٠٠ معملا لقصاري الخيوط في العصر المريني[٤]. ومن الجدير بالذكر، ان الكثير من مدن بلاد المغرب اشتهرت بانواع مختلفة من المنسوجات وحياكتها، وخاصة مدينة تونس وقابس والمهدية وبونه وتوزور ونفزاوة. ودرجين[٥]، فضلا عن مدينة

---

(١) الحكيم، ابو الحسن علي بن يوسف. الدوحة المشبكة في ضوابط دار السكة. تحقيق حسين مونس (مدريد، ١٩٦٠). ص١٤٨.

(٢) انظر، ما سبق من هذه الاسواق، الفصل الاول.

(٣) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٤٧، الجزنائي، زهرة الآس، ص٣٣.

(٤) الوزان، وصف افريقيا، ج١، ص١٩٣.

(٥) البكري، المغرب، ص١٧، الادريسي، وصف، ص٧٨، الاستبصار، ص١٢٩، ص١٥٤، ص١٥٧. ابن سعيد، الجغرافية،ص١٠٩،ص١٢٧، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٠٣.

سوسة التي بلغت فيها الصناعة مبلغا عظيما، فالبكري[1]، يشير " ان الخياطة بسوسة كثيرة ويغزل فيها غزل يباع زنة المثقال بمثقالين من الذهب ". وفي قلعة بني حماد في المغرب الاوسط، كانت تصنع فيها الاكسية القلعية الصفيقه النسج (اي مسبوكة الحياكة)[2]، وكان الكساء التلبساني رقيق في حياكته[3]. وكثرة منسوجات سجلماسة وخاصة الازر التي كان لنسائهم دور مهم في غزله وحياكته[4]. ومن الحرف المنتشرة ايضا في اسواق المدن المغربية، هي حرفة صناعة الجلود، حيث كثرة الاسواق الحرفية المتخصصة بهذه الحرفة، كسوق الاسكافيين والخفافين والخرازين، وفي احصانية قدمها لنا الوزان[5]، عن بعض الاسواق في مدينة فاس، تبين انها تعتبر اكثر الاسواق الحرفية دكاكينا، فمثلا سوق الاسكافيين يتكون من مائة وخمسين دكانا، وكذلك سوق الخفافين، أي صانعي احذية الاطفال، حيث بلغت دكاكينهم اكثر من ذلك. وبلغت دكاكين الخرازين صانعي احذية الكبار، اكثر من مئة دكانا. ولابد لنا ان نعرف ان صناعة الجلود انتشرت في معظم اسواق المدن المغربية وليست في اسواق فاس فقط [6] فقد كانت غدامس مشهورة بصناعة الجلود ودبغها،

---

(١) المغرب، ص٣٦، المراكشي، المعجب، ص٣٥٠.
(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٩٠.
(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٦٢، ص٧٨.
(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٩٢، القزويني، اثار البلاد، ص٤٢.
(٥) وصف افريقيا، ج١، ص١٨٤،ص١٨٨،ص١٨٩،وعن هذه الاسواق انظر ما سبق الفصل الاول.
(٦) يشير كالتون كون، ان مدينة فاس تعد من اهم المدن المغربية على الاطلاق في صناعة الجلود ودبغها، وان تاريخ نقابة الدباغين تعود الى تأسيس مدينة فاس، انظر قصة الشرق الاوسط (القافلة)، ترجمة برهان الدين=

وقد وصفها القزويني[١] بقوله " هي من اجود الدباغ لاشيء فوقها في الجودة كأنها ثياب الخزفي النعومة "، كما اشتهرت مدينة تلمسان بكثرة الصناعات الجلدية[٢] واستمرت دباغة الجلود في بديني درعة وسجلماسة[٣] وكان يذبح في مدينة اغمات " مائة ثور والف شاة في اليوم الواحد"[٤]، وهذا يعني ان توفر الجلود في هذه المدينة لابد وان يكون كثيرا جدا مما يترتب على ذلك قيام صناعات جلدية عديدة، وبالتالي ظهور اسواق متخصصة بهذه الحرفة.

ويبدو ان حصر كل حرف في سوق واحد، جعل تنظيم الصناع على اساس الحرف والمهن امرا ميسور، فتجد على رأس كل مهنة رئيس يسمى في عهد المرابطين والموحدين بالرئيس او المقدم او العريف او الامين[٥] ويكون تعيينه عادة من قبل المحتسب او القاضي وواجبه حل المشاكل بين اهل الصنعة ومساعدة الدولة في كشف اساليب مكرهم وغشهم ومراقبة الانتاج وجودته[٦]، وفي كل صنعة نجد المعلم والعامل والمتعلم[٧]. واستمرت هذه التنظيمات الى العصر المريني، فقد

= دجاني، مراجعة احسان عباس (بيروت، نيويورك ١٩٥٩)، ص٣٤٣، ص٣٤٤.

(١) اثار البلاد، ص٥٧.

(٢) ابن سعيد، الجغرافية، ص٢٤٦.

(٣) البكري، المغرب، ص١٥٢. الاستبصار، ص٢٠٧.

(٤) م، ن، ص١٥٢. المعجب، ص٢٨٨. الاستبصار، ص٢٠٧.

(٥) ابن عبدون، رسالة، ص٥٥. الادريسي، نزهة المشتاق، ص٦٢. ابن الزيات، التشوف، ص٨٤، ص١٢٥.

(٦) م، ن، ص٣٩، ص٥٣، ص٥٧. السقطي، ص٣٩، ص٥٦. ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٤٧٤، ص٤٨٢.

(٧) السقطي، ص٢٦، ص٢٧، وانظر، عز الدين، النشاط، ص٢١٧.

كان جميع الصناع منضمين في طوائف حرفية، ولكل طائفة فيها نوع من التسلسل الاداري على ثلاث درجات، وهم المستخدمون والصناع والمبتدئون، وكان على المبتدأ لكي يكون صانعا عليه بلوغ سن الرشد، وان يكون قادرا على الصنع المتقن، اما الانتقال من مستخدم الى صانع فقد كان يسيرا، حيث يكفي ان يملك الصانع رأس المال ويؤمن مكانا لمصنعه ويضمن زبائنه[1].ولم تكن ثمة قاعدة معروفة تتبع في هذه التسميات، فاصحاب الشان كانوا اما شيخ طائفة او امين صنعة، وكل طائفة تمثل جماعة من الخبراء، ويكون من اكابر الشيوخ، فالفخارون كانوا يتولون سيدي ميمون الذي كان قبره على مقربة من اماكن صناعة الفخار، والحذائون كان لهم شيخ يسمى محمد بن عباد واخر اسمه برغالي وغيرهم الكثير[2].

دور ضرب السكة	معامل الوراقة	معامل عمل الفخار	معامل الزجاج	معامل الأفران الخبز	معامل التقطير	معامل [illegible]	معامل الصباغة	معامل الدباغة	معامل الصابون	المطاحن	معامل الحياكة وملحقاتها
٢	٤٠٠	١٨٨	١١	١١٧٠	١٣٥	١٢	١١٦	٨٦	٤٧	٤٧٢	٤٣٦٤[3]

احصائية تبين لنا الحرف التي كانت تمارس في مدينة فاس خلال فترة الدراسة[4]

---

(١) روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص١٤١.

(٢) روجيه، فاس في عصر بني مرين ، ص١٤٢- ص١٤٤.

(٣) إن هذا العدد يمثل ما هو موجود في عهد الموحدين من معامل للحياكة وعددها ٣٠٦٤ معملا واضفنا اليها ٥٠٠ دارا للنساجين و ٨٠٠ معملا لقصاري الخيوط في العصر المريني، فاصبح المجموع اعلاه.

(٤) اعتمدنا في هذه الاحصائية على المصادر التالية :

ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٤٧، ص٤٩. =

٢-التجار العاملون في الاسواق الغربية واصنافهم :

أ-التجار المغاربة :

تعددت اصناف التجار المغاربة العاملين في السوق باختلاف مقادير رؤوس الاموال التي يملكونها والطريقة التي يستثمرونها بها، فضلا عن تباعد مصادر الكثير من السلع والبضائع وحاجة الاسواق اليها ومخاطر جلبها ونقلها[١].

وهناك عدة مجموعات تجارية برزت خلال عصري المرابطين والموحدين يصنفهم الاستاذ عز الدين[٢] الى ثلاثة مجاميع :الاولى، ممن يتاجرون باقل من مائة دينار في تجاريتهم ، والثانية، فهي تتاجر بمائة[٣] او مائتين[٤] وتصل الى الالف دينار[٥]، والمجموعة الثالثة. ما كانت تملك اكثر من الف دينار وتصل الى الالوف من الدنانير[٦]، فمثلا كان تجار مدينة اغمات في عهد المرابطين يملكون اموالا طائلة في تجارتهم مع بلاد السودان وكانوا يضعون علامات على ابواب دورهم

- الجزنائي، جني زهرة الآس، ص٣٣، ص٣٤.
الوزان. وصف افريقيا، ج١، ص١٩٣.

(١) عز الدين موسى. النشاط الاقتصادي، ص٢٧٨.

(٢) م. ن. ص٢٧٨.

(٣) الونشريشي. المعيار. ج٩. ص١٥٢.

(٤) م. ن، ج٨، ص١٧٤.

(٥) ابن القطان، نظم الجمان. ص١٣٧، ص١٣٨. المراكشي. الذيل والتكملة. ج١، ص٢٢٧، ص٢٨١.

(٦) الونشريشي، المعيار، ج٦، ص٤١٧، ص٤١٩. ابن عذاري. البيان. ج٤، ص١٨، ص٢٤. وينظر : عز الدين، النشاط الاقتصادي، ص٢٧٩.

لتدل على مقادير ما يملكون من اموال[1] وكانت هذه المجموعة الاخيرة تمتلك اغلب حوانيت المدينة التي يقيمون فيها[2].

وقد يتخذ عض التجار الشركة في العمل التجاري. وهناك ثلاثة انواع من المشاركة في عهد المرابطين والموحدين[3] النوع الاول، هو الذي يتساوى فيه الشركاء في رأس المال والعمل[4] والثاني، هو ان يشترك بعض التجار في ارسال احدهم لجلب البضائع ثم يتقاسمون على حسب روؤس اموالهم[5]. اما النوع الثالث، هو ان يقرض احد التجار مالاً للاخر فيتاجر فيه على ان يكون الربح مناصفة بينهما[6].

وهناك نوعا رابعا من التجار، هو التاجر الجوال الذي ينتقل من مكان الى اخر[7] وهؤلاء تكون ارباحهم مغرية جدا وذلك لانهم يقصدون المناطق النائية التي لم تصل اليها السلع والبضائع ويتحكموا بأسعار بضائعهم عند بيعها وكيفما شاءوا.

---

(١) الادريسي، نزهة المشتاق، ص٦٦.

(٢) التيشافي، ابو العباس احمد، نزهة الالباب فيما لا يوجد في كتاب، مخطوطة بالخزانة العامة، الرباط، تحت رقم ١٢٣ ك، ص٥٢، نقلا عن عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٧٩.

(٣) عز الدين، النشاط الاقتصادي، ص٢٨٢.

(٤) الونشريشي، المعيار، ج٦، ص٣٧٣ – ص٣٧٤. وينظر : امثلة في ج٨، ص١٦٤، ص١٧٢.

(٥) الونشريشي، المعيار، ج٦، ص٧٤.

(٦) م. ن، ج٩، ص١١٢، ص١٣٨، ص١٤٨، ص٤٦٠. وينظر : امثلة في ج١، ص١٣٠، ص١٣٣.

(٧) التشوف، ص٢٠٧، ص٢٠٨، وينظر : السقطي، رسالة، ص١٧، ص٥٨.

وخلال العصر المريني لم تتغير اصناف المغاربة عن الفترة التي سبقتها ويمكن ان نميز طائفتين منهم، اولهما تجار الجمل، ثانيهما تجار المفرد.

فتجار الجملة كانوا يجمعون اموالا طائلة، وكانوا يقيمون بنشاط تجاري واسع وكان اكثرهم من مدينة فاس العاصمة، واغلب تجارتهم مع الدول الاجنبية، حيث كانوا يتعاملون مع التجار الاوربيين المقيمين في مدن مليلة وبادس وسبتة وكانوا يقومون بتجهيز القوافل الى بلاد السودان(١).

اما تجار المفرد فقد كانوا على صنفين الاول، الذين كانوا يبيعون المواد الثمينة كالاقمشة الرفيعة والحلي والافاوية وكانوا يقيمون داخل الاسواق الثابتة، اما النوع الثاني فهم اولئك الذين يبيعون في احياء المدينة من مصنوعات معدة للاستهلاك المحلي وخاصة المواد الغذائية كالبيض والزبد والصابون والفواكه(٢).

وكان اصحاب الصنف الاول من تجار المفرد هم اهل اليسار لانهم يقومون في اماكن ثابتة ويبتاعون مواد غالية الاثمان كالاقمشة والمجوهرات، اما الصنف الثاني منهم فقد كانوا اقل ارباحا لانهم يعتمدون على مجموعة من الناس، كان اغلبهم من الفلاحين والمسافرين وان يطلق عليهم بالتجار الفقراء(٣).

لقد كان التجار في عهد المرينيين متباينين كما اتضح لنا في حجم الملكية ولكن المصادر لا تقدم لنا ارقاما وافية نستطيع من خلالها

---

(١) روجيه، فاس، ص١٥٩.

(٢) م، ن، ص١٦١.

(٣) روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص١٦٢.

معرفة رؤوس اموالهم التي يملكونها مثلما كان ذلك في عصر الموحدين مثلا.

وبالرغم من ذلك يبدو لنا من خلال بعض المعلومات ان هناك بعض الفئات من التجار المرينيين، كانوا يقومون بشراء بضاعة في السوق ثم يقومون باعطائها الى اخرين دينا معتمدين في ربحهم على خزن تلك البضاعة ومن ثم تصريفها(1)، وقسم اخر من التجار يقومون بشراء البضاعة من البلدان المجاورة ونقلها الى بلدهم مستفيدين من تباين الاسعار(2)، وقد يقوم بعضهم ببيع بضاعة في بلد اخر ليشتري بضاعة مختلفة من نفس البلد فينقل بعضها الى بلده ويبقي القسم الاخر منها ليتم بيعه عن طريق وكيله الذي يتركه في ذلك البلد(3).

ومن الجدير بالاشارة الى ان اكثر فئات التجار المغاربة هم الذين كانوا يقومون في حوانيتهم في الاسواق حيث يقومون بتصريف بضائعهم للذين يقصدونهم(4). زيادة على ذلك فقد شهد العصر المريني ايضا نظام الشركة في التجارة، حيث غالبا ما يشترك اكثر من شخص في ادارة تجارة من التجارات، ولعل اسرة المقري الاديب والمؤرخ المعروف مثالا للشركة ذات الاسم العائلي، بفضل تحمل كل شخص منها مسؤولية تجارية معينة، فكان احدهم يقيم في مدينة سجلماسة واثنان

---

(1) المعيار، ج1، ص372.

(2) م، ن، ص75، 76. انظر : ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله (القاهرة، 1977)، ج3، ص155.

(3) المعيار، ج9، ص76. ج6، ص204-208. ج10، ص310، 340.

(4) البادسي، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بعلماء الريف، تحقيق سعيد احمد الاعراب، المطبعة الملكية (الرباط، 1982)، ص87.

منهما في مدينة تلمسان واخران بولاتن فالاول كان يزود اخويه بقدر الرجحان والخسران ويكاتبهما باحوال التجارة واخبار البلدان[١].

بينما كانا المقيمان بتلمسان يبعثان الى اخيهما بسجلماسة بما يحدد لها من السلع التي تجد اقبالا في اسواق السودان، اما المقيمان بالسودان فكانا يبعثان بمختلف مواد المنطقة مثل "الجلود والعاج والجوز والتبر "[٢]، ونتيجة لهذه الشركة التي تتكون من خمسة اشخاص، فقد وفر افراد شركة المقرى اموالا طائلة اشاد بها المقري الحفيد[٣].

الوسطاء :-

لعب الوسطاء دورا مؤثرا في حركة السلع والبضائع داخل اسواق المدن المغربية وقد كانوا على نوعين، فقير الحال والثاني متنفذ في الاسواق. ومن الصنف الاول البراحين الذين ينادون في الاسواق عن السلع وكذلك الدلالات اللاتي يحملن البضائع للتجار الى المنازل ويتقاضين اجورا عن البيع والقبض[٤].

اما الصنف الثاني من الوسطاء فيتكون من الدلالين والسماسرة وهم الوسطاء بين التجار والمشترين، وقد يشمل عملهم بيع الدور وشرائها[٥].وكان المرابطون يعرفون دخل التجار بواسطة الدلالين، ومن خلالهم تقدر الدولة الضرائب على حوانيتهم، ولذلك ان بعض التجار يتفقون مع الدلالين لكي يتجنبوا دفع المغارم. ولعل هذا هو السبب الذي

---

(١) ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج٢، ص١٩٣.

(٢) ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج٢، ص١٩١، ص١٩٣.

(٣) المقري. نفح الطيب، ج٥، ص٢٠٥.

(٤) عز الدين، النشاط الاقتصادي، ص٢٨٢.

(٥) ابن الزيات، التشوف، ص١٣١. البادسي، المقصد الشريف، ص٧٩، ص٨٠.

حدى بالموحدين الى اتخاذ دار الاشراف المركزي لمبيعات التجار الغرباء، ويبدو ان دخل الدلال كان كبيرا فهو يتقاضى نصف الربح من الناجر[١]، لذلك نرى ان بعض التجار اشتغلت بالدلالة والسمسرة معا[٢].

وظهر صنف اخر من الوسطاء بين الدلالين والتجار في العصر المرابطي، ويطلق عليهم الجلاسون الذين يفتحون محلاتهم ويتخذون دلالين فيها وينزلون التجار الغرباء عندهم[٣]، وكلما جاء احد يشتري السلعة الواردة زاد الجلاس عليه حتى يبلغ السعر اكثر مما حدده الدلال فيتقاسم الدلال والجلاس الزيادة[٤]، او يشتري الجلاس مما وجده رخيصا من السلع الواردة في السوق الى اجل فيربح فيها ويرد السلف الى التاجر الغريب، ويبدو ان بعضهم قد حاول التعامل بالنقد والنسيئة[٥]. ويدعو السقطي[٦] الى منع هؤلاء الجلاسين من الاسواق.

كما كان للوكلاء دورا مهما بين التاجر والمستهلك. ففي العصر المريني استعان التجار بوكلاء لهم يتفقد احوال السوق لمعرفة البضاعةالمفقودة، فيطلب الوكيل من التاجر ارسال تلك البضاعة المفقودة[٧].

---

(١) المعيار، ج٩، ص١١٢، ص١٣٨، ص١٤٧، ص٤٦٠.
(٢) ينظر امثلة في التشوف، ص٤٠٣، ص٤٠٤.
(٣) عز الدين، النشاط، ص٥٥٥.
(٤) ابن عبد الرؤوف، رسالة في اداب الحسبة، ص٨٥.
(٥) م، ن. ص٨٥. المعيار، ج٦، ص١٨٦، ص١٨٩.
(٦) السقطي، رسالة في القضاء، ص٥٩، ص٦١.
(٧) ابن الحاج، ابو عبد الله محمد بن عمر، المدخل الى تنمية الاعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها =

وقد يذهب الوكيل نفسه ليبيعها[1]. اما السماسرة فقد ارادوا دورا واضحا في رواج البضائع داخل الاسواق حيث كانوا وسطاء بين اصحاب الدكاكين والتجار ولا يتحدد دورهم في سلعة محددة بل شمل سائر البضائع والسلع المختلفة[2].

وقد عاد بعض الفقهاء السماسرة اكثر غشا بالقول من اصحاب السلع، وذلك انهم يزينون البضاعة في عين المشتري مع درايتهم بعيوبها[3]،وفي هذا الصدد يشير العقباني[4] الى ان بعض السماسرة والدلالين قد مارسوا عادات ضارة داخل الاسواق، ففي اسواق مدينة تونس وتلمسان في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، مارس هؤلاء عادة النجش او التناجش، أي يعطي السمسار او الدلال قيمة للسلعة دون قصد في شرائها وذلك تغريرا بغيره، وسمي هذا العمل في عرف تجار تلمسان (البزم) حيث ياتي الدلال بالسلعة لمن يعرف قيمتها فيستفتح به بما ينادي به في السوق وان كان لا يشتريها، وقد اجاز هذا العمل الفقيه ابن عرفة، حيث كان ياتي الى سوق الكتبيين بتونس ليستفتح به الدلالون ياخذون بثمن دلاليتهم.

= وقبحها، طبع على نفقة مصطفى الباجي الكتبي، المطبعة الشريفة (القاهرة، ١٣٢٠ هـ)، ج٣، ص٧٥.

(١) المعيار، ج٢، ص٢٩٧، ج٩، ص١٢١.

(٢) م. ن، ج٨، ص٣٣٥، ص٣٦٤. وانظر : امثلة اخرى ج٨، ص٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢.

(٣) ابن الحاج، المدخل، ج٣، ص٣٥.

(٤) العقباني، ابو عبد الله محمد بن محمد، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشريعة وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي (فرنسا، ١٩٦٧)، ص٣١٦، ٣١٧.

ب-التجار الهلاليون :

اشتغلت بعض القبائل العربية الهلالية في القطاع التجاري وكان لبعضهم دور كبير في نقل السلع والبضائع من مكان الى اخر سواء كان في النقل الخارجي او الداخلي، فمن المعروف ان قبائل زناته المغربية كانت تسيطر على التجارة مع بلاد السودان في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي متخذة من مدينة اودغست مركزا لها، ولكن المرابطين قضوا على زناته وانهوا سيطرتهم على اودغست[1]، وتحكموا بطريق التجارة مع بلاد السودان لفترة طويلة، الا ان قبائل ذوي حسان احتكرت هذا الطريق اعتبارا من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بعد سيطرتهم على السوس واقتسامهم جبايته من قبائل المعامدة وصنهاجة[2]. وكان الملح اهم السلع التجارية المتبادلة بين السودان وبلاد المغرب، ففي المغرب الاقصى كان الملح يحمل من سجلماسة وذيار لمتونة وجدالة حيث مجالات عرب المعقل[3].

وفي افريقية كان معايش عرب ذياب من سليم الزين استقروا في منطقة طرابلس وما حولها من تجارة الملح مع مملكة برنو[4]، والدول النصرانية[5]، وبجانب توفر المعادن في المناطق التي انتقلت اليها واستقرت بها بعض هذه القبائل، فان المنطقة الممتدة بين طرابلس وبرقة، وجد بها معدن الكبريت التي تحمله قوافلهم الى غيره من

---

(١) البكري، المغرب، ص١٥٨، ص١٥٩، ص١٦٨.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٦٩، ص٧٠.

(٣) مجهول، الاستبصار، ص٢٠٠، ص٢٠٢.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٨٧.

(٥) التجاني، الرحلة، ص٢٠٦، حيث يصف الطريقة التي يتم فيها استخراج الملح ومن ثم تصديره الى اوربا.

البلاد[1]. كما سيطر العرب الهلاليون على بعض السلع والبضائع وتعاملوا في نقلها داخل الاسواق المغربية، فمثلا احتكروا تموين مدينة مرسى الخرز بما تحتاجه من الاغذية، مقابل ما تنتجه من صيد المرجان الذي كان يصدر الى جميع الجهات، كما الت اليهم تجارة بونه وما تحققه من ارباح، وامدوا مدينة تونس بما تحتاجه من الحبوب والعسل، والسمن. وشاركوا تجارة قسنطينة فيما يتجرون حتى عمرت اسواقها واغتنى تجارها[2]. وبجانب سيطرتهم على التجارة مع بلاد السودان ونقلهم العديد من البضائع والسلع بين الاثنين وحمايتهم للطرق التجارية الصحراوية وعملهم في التجارة الداخلية واسواقها، سيطرا كذلك على العلاقات التجارية مع الديار المصرية، وفرضوا طاعتهم على الطريق التجاري من الاسكندرية الى طرابلس، حيث اقاموا فرقا من الفرسان للقضاء على ما يهدد امن هذا الطريق[3]. ولابد لنا من القول ان اغلب العاملين في التجارة من التجار المغاربة كانوا من ابناء الطبقة الوسطى وخاصة من الفقهاء ارباب الخطط الرسمية، او من كبار الملاكين للاراضي والصنائع[4] ونجد بعض التجار المغاربة من عامة الناس

---

(١) ابن سعيد، بسط الارض، ص٨٠.

(٢) الادريسي، نزهة المشتاق، ص٩٤، ص١١١، ص١١٦، ص١١٧.

(٣) م. ن. ص١٢٢.

(٤) ابن القطان، ابو علي بن محمد بن عبد الملك، نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من اخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، منشورات كلية الاداب والعلوم الاسلامية، جامعة محمد الخامس المطبعة المحمدية (تطوان / بلا) ج٦، ص١٣٨. وكان اغلب الفقهاء يستثمرون اموالهم في الشركة في التجارة فيقرضوا اموالهم للاخرين على ان يكون الربح مناصفة وهذا -

البسطاء، حيث ان بعضهم احترف مهنة الدلالة او السمسرة في السلع فيشير ابن الزيات[1]، الى ان ابا علي حسين بن عبد الله كان دلالا في قيسارية مدينة مراكش. واخيرا يجب الاشارة الى مسالة مهمة حول معلوماتنا عن العاملين في الاسواق في العصر المرابطي والموحدي حيث كانت اغلبها مستمدة مما كان معروفا في بلاد الاندلس، لان مصادرنا عن العاملين في الاسواق من التجار المغاربة سواء كانوا من الحرفيون ام العاملين في القطاع التجاري هي مصادر اندلسية وقليل منها مغربية معتمدة على ما كان متعارفا عليه في البلاد الاندلسية وخاصة الونشريشي في كتابه المعيار المغرب.

ومع ذلك نقول انه ليس من المعقول ان تعرف بلاد الاندلس هذه التنظيمات الحرفية والمهنية والتنظيمات التجارية وتتركها في بلاد المغرب وهم تحت سيادة نظام وحكم واحد.

ج التجار من غير المغاربة

تعددت عناصر التجار من غير المغاربة بالعمل داخل الاسواق المغربية فمنهم العراقيين والمصريين والأندلسيين والأوربيين واليهود والسودانيين، الا ان اكثر العناصر انتشارا وتاثيرا في العمل التجاري هم اليهود. فمنذ القرن الاول الهجري/السابع الميلادي كانوا يمتلكون سوقا خاصا بالقيروان اسمها سوق اليهود[2]،حتى انهم كانوا يتقبلون المكوس

= النوع من الشركة فيه فوائد السلف دون الوقوع في الربا. انظر، ابن الزيات، التشوف، ص١٦٩، ص١٧٠.

(١) ابن الزيات، التشوف، ص٤٠٣.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٣٩، ص٧٠، ص١٠٩، ص١٩٥، ص٣٢١. الخشني، طبقات، ص٢٢٢.

في الاسواق[1]. وهذا مما يدل على نفوذهم الواسع في ميدان العمل التجاري.

ويرى المستشرق اشتور[2]، ان اليهود الذين كانت لهم سوق بالقيروان كان يطلق عليهم بالرهادنة، ويشير الى ان هذا اللفظ لم يكن يقتصر على اليهود فقط، بل كان بعض الرهادنة من المسلمين.

وانتشر اليهود في كل مدن بلاد المغرب وخاصة مدينة فاس التي كانت مركزا لهم منذ تأسيسها، على الرغم من المصاعب الكثيرة التي عاشوها[3]، وقد عملوا في حقل التجارة منذ عصر المرابطين وخاصة في التجارة الخارجية مع اسبانيا ومصر، وعن طريق مصر الى الهند الا ان سيطرة الايطاليين على سواحل البحر المتوسط، اقصى اليهود من ممارسة هذه المهنة[4].

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج٢. ص٥٣.

(٢) اشتور، التاريخ الاقتصادي، ص١٢٤. ويذكر انه تم العثور في بقايا مقابر القيروان على اسماء عدد من التجار الرهادنة، وعبارة الرهادنة ما تزال تستخدم في الدارجة في جميع مناطق الشمال الافريقي بشكل متحول بعض الشيء (رهاطنة) وتعني الرجل القادر على جمع المال وحسن المتاجرة به. انظر : م. ن، ص١٢٤، ص١٢٥.

(٣) انظر عن بعض المذابح بحق اليهود، ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٦٩، الاستبصار، ص٢٠٢. وكيف عمل المرابطون والموحدون والمرينيون من الحد في عبثهم بالقضايا التجارية. وانظر ايضا : مجهول، الحلل الموشيه، ص٦٥.

(٤) الشرقاوي، عبد الحميد، الملاحة البحرية الاندلسية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، دار صادر (بيروت، بلا) ص٥٩.

وتفيد بعض الروايات المغربية بان اليهود برعوا في التجارة واستعمال الحيل فيها ولاسيما في مدينة فاس، وخاصة خلال عصر الموحدين والمرينيين الذين سمحوا لليهود بممارسة نشاطهم التجاري، سواء كانوا يهود مغاربة او غير مغاربة، حيث اشارت بعض المصادر عن صلة يهود مرسيليا بيهود مدينة فاس وسبته الذين تمكنوا من تحقيق حضور ليهود مرسيليا في العمل بتجارة الذهب مع السودان[١] خصوصا وان لهم مساهمات واسعة فى تجارة القوافل مع بلاد السودان، فقد " تحكموا في الطريق الرابط بين ماكوا وسجلماسة، أي في طريق الذهب "[٢].

اما العنصر الثاني المهم من التجار غير المغاربة فهم الاوربيون وخاصة تجار المدن الايطالية الذين بدأ اعدادهم تزداد منذ عصر الموحدين، حيث اعطوا بعض الامتيازات في التجارة المغربية عن طريق عقد العديد من الاتفاقيات التجارية بينهما وبين الحكومة المغربية المختلفة كما مر بنا سابقا، مما ساعدهم على السيطرة ليس فقط على بعض من تجارة المغرب الخارجية وانما كان لهم دور كبير في نقل البضائع والسلع التجارية بين اقاليم المغرب الثلاثة حيث كانت سيطرتهم على مراسي وموانئ البحر المتوسط عاملا مساعدا في تشجيعهم على النقل البحري من مرسى الى اخر[٣].

---

(١) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الاقصى، ص٧١. لقد كان اغلب اليهود في العصر المريني يشتغل في حقل الصياغة وسك النقود، انظر، الحكيم، الدوحة، ص١١٥، ص١١٦، ص١٤٨.

(٢) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الاقصى، ص٧٢.

(٣) انظر : ابن جبير، الرحلة، ص٨، ص٩، ص٨٣، ص٣٠٩.

وكان تجار مدينة جنوة الايطالية هم اول من استخدم عقود المبادلة التجارية مع تونس الحفصية، كما ان تجار مرسيليا رصدوا اموالا كثيرة في حقل التجارة والنقل وتدل العقود العشرين التي امضاها اصحاب رؤوس الاموال التجار المسمون مندو وال (Manouel) بين عامي (٦١٢هـ -٦٤٦ هـ / ١٢١٢-١٢٤٦م) على انهم باعوا بمدينة بجايه وسبته ووهران وتلمسان نقودا عربية قيمة نصف درهم وكانوا يضربونها في مونبليه (Montpollier) قصد التصدير[١].

ويشير جوليان[٢]، ان تجار مدن البندقية وفلورانس والارغوان كانوا يقومون بدور هام في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، فكان لال اكسياولي (Acciaiaoli) وبروجي (Perruzzi) من فلورانس الذين فتحوا في تونس وكالات خاصة لهم سمح لهم بها لممارسة بعض المهام التجارية كالتامين على المراكب ونقلهم لانواع مختلفة من السلع والبضائع الى الاسواق المغربية.

وفي اشارة للنميري[٣]، عن التجار الاوربيين في بلاد المغرب يذكر ان هناك عدد كبير منهم منتشرا في مدن المغرب

---

(١) جوليان، افريقية الشمالية، ج٢، ص١٦١.

(٢) م. ن. ج٢. ص١٩٦. وليس ادل على تجار المدن الاوربية داخل الاسواق المغربية هو وجود العديد من الفنادق الخاصة بهم والتي ساهمت بعض الحكومات في بنائها، انظر، الفقرة الخاصة بالفنادق في الفصل الاول من هذه الدراسة وكذلك العلاقة التجارية بين بلاد المغرب والبلدان الاوربية في الفقرة الخاصة بهذا الفصل.

(٣) فيض العباب، ص١٧٥، ص١٧٧. وانظر : التازي، عبد الهادي، التاريخ الدبلماسي للمغرب منذ اقدم العصور الى اليوم (المحمدية، بلا)، ص١١٨.

المختلفة كالجنويين البزنسيين والفلورانسيين والميورقيين والقطلانيــين الارغونيين والفرنسيين.

اما العنصر الاخر من التجار غير المغاربة، فكانوا السودان من مناطق غانه فلم يكن يعملون في التجارة عبر الصحراء وخاصة في العصر المرابطي الا عدد قليل منهم[1]، بينما دخلوا في ميدان هذه التجارة في العصر الموحدي ومع بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، اصبحت لهم جاليات كبيرة من التجارة في مدينة سجلماسة[2].

وكان للاندلسيين المهاجرين الى المدن المغربية دور مؤثر في العمل التجاري، فقد شهدت طائفة منهم في منطقة المغرب الادنى (افريقية) العمل بهذا الميدان، فقد ذكر لنا الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل الملطي في كتابه الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم " حيث زار مدينة تونس في نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي أي في حدود عام (٨٦٦هـ / ١٤٦٢م) حيث حل ضيفا عند كبير التجار في تونس الحاج ابي القاسم البنيولي الغرناطي نزيل تونس وكبير التجار فيها. وذلك على عهد المتوكل على الله الحفصي (٨٣٩-٨٩٣هـ / ١٤٣٦-١٤٨٨م)[3].

ان لقب كبير التجار الذي حمله ابو القاسم البنيولي الغرناطي لدلالة على ان قطاع التجارة قد هيمن عليه الاندلسيون وربما يكون هذا

(١) انظر، عنهم، البيذق، اخبار المهدي، ص٦١، ص٧٣، ص٩٩.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٠٥.

(٣) برانشفيك، تاريخ افريقيا في العهد الحفصي، ج١، ص٢٠، ص٢٢ وانظر : الطالبي، محمد، دراسات في تاريخ افريقيا وفي الحضارة الاسلامية في العصر الوسيط، منشورات الجامعة التونسية (تونس، ١٩٨٢)، ص٢٠٢.

التاجر الكبير من بين عدد اخر من التجار الذين لم تذكرهم المصادر التاريخية، خاصة اذا ما اعتمدنا على اشارة وردت عند الغبريني(١)، مفادها ان ابا بكر محمود بن محرز كان يرأس الجماعة الاندلسية في بجاية، وربما يكون ابو بكر من التجار الكبار ايضا في مدينة بجايه، وهناك عدد اخر من التجار الاندلسيين في العصر المريني(٢).

كما ان التجار المشارقة كانوا يدخلون في بلاد المغرب لغرض العمل التجاري وخاصة المصريين والعراقيين منهم، واستقر بعضهم في مدن مختلفة من البلاد مثل سجلماسة وفاس واغمات وغيرها(٣).

---

(١) عنوان الدراية، ص١٧١.

(٢) منهم على سبيل المثال اسماعيل بن الخشاب والطرطوشي. انظر عنهم، مزاحم علاوي شاهر، الاوضاع الاقتصادية على عهد المرينيين (٦٦٨-٧٥٩هـ / ١٢٦٩-١٣٥٨م) رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، ١٩٩٤، ص١٢٤. وانظر : روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص٥١.

(٣) انظر عنهم، ابن القطان، نظم الجمان، ج٦، ص١٤١. ابن سعيد، الجغرافية، ص٦١، ص٦٤. ابن الزيات، التشوف، ص١٧٨. مجهول، الاستبصار، ص١٣٠.

الفصل الثالث

وسائل التعامل وطرق البيع والشراء داخل الأسواق المغربية

اولا : النظام النقدي

١-العملة المستخدمة في الأسواق

يجد الباحث نتفا مبعثرة من تاريخ النقود المغربية في كتب التراث الإسلامي، ومع ذلك فان هناك من دون في هذا الباب، كالحكيم في الدوحة المشتبكة، والوزان في وصف إفريقيا، وابن بطوطة، في كتاب الرحلة، والمقريزي في شذور العقود، فضلا عن الاثار والنقود التي يعثر عليها داخل المناطق الاثرية في مدن المغرب عموما.

ومن المعروف، ان العملة المغربية، وخلال القرون الاربعة الهجرية الاولى، انتشرت في انحاء العالم، وخاصة خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد واصبح الدينار المغربي نقدا دوليا مستعملا في المعاملات التجارية والمالية، وحل محل الدينار البيزنطى الذهبي، وخاصة في الايام الاخيرة لحكم الفاطميين لبلاد المغرب، حيث اكثر الفاطميون من سك العملات الذهبية، فسكوا الى جانب الدينار الذهبي عملات اخرى، اهمها الدينار الرباعي (أي ربع الدينار)، وصدروا منه كميات كبيرة خارج البلاد، حتى انتشرت عملتهم على نطاق واسع في انحاء العالم الاسلامي، ووصلت الى اوربا عن طريق صقلية والى جزيرة مدغشقر(١).

(١) موريس لمبارد، الذهب الاسلامي من القرن السابع الى الحادي عشر، ضمن بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة، توفيق اسكندر، مطابع دار النشر للجامعات المصرية، (القاهرة، ١٩٦١)، ص٦٥. وانظر، الخربوطلي، =

وبذلك اصبح الدينار المغربي نقدا دوليا يحمله التجار اينما ذهبوا، وذلك للقوة الشرائية الكبيرة التي يتمتع بها، وذا ناتج من التدفق الكبير للذهب السوداني على بلاد المغرب.

واستمر الدينار المغربي يحتل مكانة كبيرة في العال الاسلامي حتى فترة دراستنا حيث عملت الحكومات التي تعاقبت على حكم البلاد، من ضرب عملات مختلفة في اغلب المدن الافريقية، الا ان المشكلة الوحيدة التي تعاني منها العملة المغربية، هي مسالة التوحيد في ضرب وقيمة هذه العملة من اقليم الى اخر، واحيانا يدخل الاختلاف في الوزن داخل المدينة الواحدة، وهذا بطبيعة الحال يؤدي الى عدم استقرار الاسواق، وتقلب اسعار السلع والبضائع المتداولة فيها، وسنحاول التعرف على اهم العملات المتداولة في فترة هذه الدراسة داخل الاسواق المغربية. في ضوء اهميتها في عملية البيع والشراء[1].

أ-العملة المرابطية :

في عهد المرابطين، كانت العملة تقوم على اساس المعدنين، الدينار او المثقال الذهبي، والدرهم الفضي، ومن الدراهم قد يضربون انصافا وارباعا واثمانا، او قد تضرب منه وحدات تعرف بالقراريط

= علي حسين، الاسلام في حوض البحر المتوسط، دار الملايين (بيروت، ١٩٧٠)، ص٩٥.

(١) لن نستعرض هنا انواع العملات المغربية من الناحية التاريخية الاثرية، لان هذا بحد ذاته يحتاج الى دراسة مفصلة، وما يهمنا. هو استخدام هذه العملة داخل الاسواق المغربية، واستخدامها في عملية البيع والشراء.

والخراريب[١].ان اقدم سكة عرفت ايام المرابطين، كانت على عهد ابي بكر بن عمر (٤٤٨هـ - ٤٥٣هـ/ ١٠٥٤م - ١٠٥٩م)، سنة (٤٥٠ هـ / ١٠٥٢م)، حيث حملت اسمه الى جانب اسم الخليفة العباسي[٢].ثم ضرب يوسف بن تاشفين (٤٥٣ هـ - ٥٠٠ هـ/١٠٥٩م - ١١٠٦م) الدنانير في سنة (٤٦٤هـ / ١٠٦٦م)[٣].

لقد كان من نتيجة تدفق الذهب والفضة من مناجم المرابطين بكميات كبيرة وتدفقه من بلاد السودان، قد فاق وزن الدينار المرابطي في عهد يوسف بن تاشفين. الوزن الشرعي للدينار في فجر الاسلام، الذي كان يزن ٤.٢٥ غم. في حين بلغ وزن الدينار الذهبي ما بين (٤.٠٥ و ٤.٣٠ غم)[٤]. كما فاق وزن الدرهم الفضي المرابطي الذي كان يزن ما بين (٣.٩٢ و ٦.٢٠ غم) فضة، الوزن الشرعي للدرهم في فجر الاسلام الذي كان يزن (٢.٩٧ غم)[٥].

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٢٠٧. وانظر. ابن عذاري، البيان. ج٤. ص٤٢. واخروبه تساوي وزنا قيراطا، أي ١/٢٤ من المثقال. ويساوى ٠.١٩٥ غم. اما القيراط، فيساوي ١/٢٤ من الثقال، ويتالف من خمس حبات، والحبة تساوي ١/١٠٠ من المثقال، أي ٤٤٦% غم وهي تختلف باختلاف وزن الدرهم، فالتر. هنتس، المكاييل والاوزان الاسلامية، ترجمة كامل العسلي، (عمان، ١٩٧٠)، ص٢٥، ص٤٠.

(٢) عبد العزيز بن عبد الله، مظاهر الحضارة المغربية، (الدار البيضاء، بلا)، ج١، ص٧٥، وانظر، الجنحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي، دار المغرب الاسلامي، (بيروت، ١٩٨٦)، ص١٠١، ص١٠٣.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٤٦.

(٤) الهرفي، دولة المرابطين، ص٢٨٨.

(٥) م. ن، ص٢٨٩.

والى جانب الدنانير الذهبية والدراهم الفضية، ضرب المرابطون ايضا، القراريط (١/١٦ من الدراهم) او الرباع، (١/٤ من الدراهم)، والدوانق (١/٦ من الدرهم)، فضلا عن القطع الثمينة التي كانت تساوي (١/٨ من الدينار الذهبي)[١]، وهي عملات صغيرة تضرب عادة من الفضة والذهب يتعامل بها الناس في البيع والشراء، وذلك لسهولة تداولها، وقد وجدت في بين دار المسلمين بعد وفاة يوسف تاشفين، ثلاثة الاف ربع من الورق، وخمسة الاف واربعون ربعا من الذهب، وكان المستعين بن هود، قد اهدى الى يوسف سنة (٤٩٦ هـ / ١١٠٤م) اربعة عشر ربعا من انية الفضة فضربها جميعها قراريط مرابطية[٢].

وكانت دور الضرب المرابطية كثيرة، بحسب تعدد العمال والولاة الذين كان بامكانهم ان يضربوا العملة باسم امير المؤمنين في اقاليم المغرب ومدنه المختلفة، كفاس، ومراكش وسجلماسة واغمات وتلمسان وغيرها[٣]. ولقوة اقتصاد دولة المرابطين، احتفظت العملة المرابطية بعد نهاية دولتهم بقيمة نقدية كبيرة، حتى اصبح النقد المرابطي نقدا دوليا[٤].

---

(١) ابن رشد، مسائل بن رشد، ج٣، ص٣٠٨، ص٣٠٩. عن الهرفي، دولة المرابطين، ص٢٨٩.

(٢) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، المطبعة الوطنية (الرباط، ١٩٤٣)، ص٢٥١.

(٣) ابراهيم، حركات المغرب عبر التاريخ، تقديم عمر الفاسي (الدار البيضاء، ١٩٦٥)، ص٢٣١، السائح، الحضارة المغربية، ج١، ص١٧٠.

(٤) لقد عرفت اسواق القسطنطينية العملة المرابطية، وتشير العديد من النصوص اللاتينية على ان الاوربيين كانوا يتعاملون فيما بينهم بالعملة المرابطية، التي كانوا يحصلون عليها من دولة المرابطين نتيجة التعامل التجاري معها =

وعلى الرغم من المكانة المرموقة التي احتلتها العملة المرابطية في الاسواق العالمية، الا ان العديد من المصادر، تشير الى فقدان القيمة الشرائية لهذه العملة في التدريج في اواخر حكم المرابطين، وخاصة اواخر حكم علي بن يوسف (٥٠٠ هـ - ٥٣٧ هـ / ١١٠٦ م - ١١٤٣م) حيث انتشر الغش فيها، حتى ان قضية التعامل بالدينار والدراهم المغشوشة بالنحاس اصبحت من القضايا التي تشغل بال الناس في هذا العهد، وهذا يتضح من خلال الاسئلة التي كانت تطرح على الفقهاء بهذا الخصوص(١).

ويبدو ان هذا ناتج من المشاكل الداخلية التي كانت تعاني منها الدولة المرابطية كالثورات في الاندلس او غزوات الاسبان النصارى المتكررة على الاندلس ايضا، كما ان الدولة نفسها عندما قل احتياطها

= فمثلا في عام (٥٦٣هـ / ١١٦٧م)، تزوج امير نصراني من فتاة لبنانية. ولكي يدبروا امر معاشهما، باع الزوجان لفرسان المعبد اراضي لهما في ضواحي مدينة عكا بمبلغ مائتي دينار مرابطية، ثم نجد ان ملك قشتالة، الفونسو الثامن (٥٥٣هـ - ٦١١هـ / ١١٥٦م - ١٢١٤م)، يسك عمله تحمل اسمه على نمط السكة المربطية. بعد استبدال الايات القرآنية بشعارات نصرانية، حتى ان الفرنسيين ظلوا يسمون الدنانير القشتالية، بالدنانير المرابطية أي (المرابواتا)، انظر، فيليب حتي، تاريخ العرب المطول، ج٥، ص٦٤٥، ومارك بلوك، مشكلة الذهب في العصر الوسيط، ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي، ص٤، ص٥، ومزيدا من المعلومات عن قوة العملة المرابطية، انظر : المطلبي، توفيق، النقود العربية، غزت اوربا في العصور الوسطى، مجلة العربي، العدد ٢٧٦، السنة ١٩٨١، ص١١٣، ص١١٤.

(١) ابن رشد، مسائل بن رشد، ج٥، ص٧٩٢. عن الهرفي، دولة المرابطين، ص٢٨٥، ص٢٩٠.

من الذهب الخالص، قامت بسك عملات نحاسية لتسديد نفقات تجهيز الجيش ودفع مرتبات الجند(١).

ب-العملة الموحدية :-

اما العملة الموحدية، فتشير المصادر، الى ان العملة الموحدية، كانت تمتاز بارتفاع قيمتها ليس فقط في بلاد المغرب، وانما في المشرق الاسلامي ايضا، ونسبت اقوى العملات الموحدية الى عبد مؤمن بن علي (٥٢٤هـ - ٥٥٨ هـ / ١١٤٥م - ١١٦٦م) فكان يقال الدينار المؤمني والدرهم المؤمني(٢).

ويعد ابو عبيد الله المهدي (٥١٥ هـ - ٥٢٤ هـ / ١١٥٢ - ١١٦١ م)، القائم بامر الموحدين اول من ضرب الدراهم المركنة، وكانت الدراهم قبل ظهور الموحدين كلها مدورة، وكان حسابها في عهد الموحدين عشرين منها في الاوقية، وثلاثة منها في الدينار(٣). كما سك المهدي عملة مربعة استمرت على هذا الشكل الى عهد المأمون (٦٢٤هـ ٦٣٠ هـ / ١٢٢٥م - ١٢٣١م) الذي الغاها، واعاد السكة المدورة، كما ان المنصور يعقوب بن يوسف (٥٨٠ هـ - ٥٩ هـ / ١١٧٦م - ١١٩٦م)، سك عملة ثقيلة كان وزنها ما يعادل (٤.٧٢٩ غم)، ولم يتجاوز قبل الدينار الذهبي (٣.٩٦ غم)(٤). كما

---

(١) الهرفي، دولة المرابطين، ص٢٩١.

(٢) الحكيم، الدوحة المشبكة، ص٤٩، ص٥١.

(٣) الحكيم، الدوحة المشبكة، ص٥٣.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢١١. المراكشي، المعجب، ص٢٣٠، المنوني، محمد، العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين (تطوان، ١٩٥٠)، ص٢٥٨.

ضرب المنصور يعقوب بن يوسف، عملة كان يطلق عليها بالدنانير اليعقوبية[1].

ومن النقود الجيدة في العصر الموحدي، هي النقود المحمدية المنسوبة الى محمد الناصر(٥٩٥ هـ - ٦١٠ هـ/١١٩٦م ١٢٠٢م)، رابع الخلفاء الموحدين، والتي أستمر التعامل بها حتى في عصر المرينيين[2].

لقد كان الدينار الذهبي الموحدي كبيرا في النقود الذهبية في الاسلام، حيث يتجزأ الى نصف دينار، وربع دينار، واحيانا الى ثمن الدينار، واختلف في وزنه، فقد كان يزن (٤,٤٦ غم)، ثم انخفض الى (٣.٣٥ غم)، ثم تضاعف في عهد المنصور، فكان يزن (٤.٧٢ غم)، واستمر هذا الوزن الكبير في قيمة الدينار الذهبي طيلة حكم الموحدين[3].

ج-العملة المرينية :-

وفي عهد المرينيين في المغرب الاقصى، تعددت العملات المستخدمة في داخل الاسواق. فكان الدينار الذهبي، والدينار الفضى، والدرهم الكبير، والدرهم الصغير والفلس. فالدينار الذهبي في العصر

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٢٥٦.

(٢) الحكيم، الدوحة المشبكة، ص٥٩، ص١١٨.

(٣) الحنبي، عبد الرزاق، الكني والالقاب على نقود دولة المرابطين والموحدين في شمال افريقية والاندلس، مجلة سومر العدد ٣، السنة ١٩٧٤، ص٢٢٣، وانظر هنتس، المكاييل والاوزان، ص١٠، الذي يشير الى ان الدينار الموحدي لم يظاهيه في القيمة أي دينار اخر.

المريني، يزن اربع وثمانين حبة من حبوب الشعير، ومتوسط وزنه (٤,٥٦ غم)[١].

اما الدينار الفضي، فتركب من عشرة دراهم صغار[٢]، التي يزن الواحد منها ثماني حبوب من الشعير[٣].

وشهدت الاسواق المغربية، انواعا مختلفة من الدراهم الفضية الشائعة في التداول بين الناس، فقد كانت الدراهم القرطبية (نسبة الى مدينة قرطبة الاندلسية) والدراهم البجائية (نسبة الى مدينة بجاية في المغرب الاوسط) والدراهم البصرية (نسبة الى مدينة البصرة المغربية)، والدراهم الهودية (نسبة الى هود)، والدراهم المحمدية (نسبة الى محمد رابع الخلفاء الموحدين)، والدراهم المؤمنية (نسبة الى عبد المؤمن بن علي). فضلا عن الدراهم الجنويه (نسبة الى مدينة جنوة الايطالية)[٤]، فنتيجة هذا الاختلاف في الدراهم الفضية، وما تركه من اثر في عملية البيع والشراء داخل الاسواق، قام يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦ هـ - ٦٨٥ هـ / ١٢٥٨ م - ١٢٨٦ م)، بضرب الدراهم، اطلق عليها بالدراهم اليعقوبية، التي يزن الواحد منها، تسعة وستين درهما عاديا[٥]. كما جعل يعقوب بن عبد الحق في الدرهم المحمدي الشائع في الواحد

---

(١) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص٨٦، وانظر، ج - د - بريت، النقود والاوسمية المغربية (الدار البيضاء، ١٩٣٩)، ص١٨٠، ص١٨١.

(٢) السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص١٢٨.

(٣) المنوني، محمد، ورقات من الحضارة المرينية، (الرباط، ١٩٧٩)، ص٩٨.

(٤) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص٨٨، ص٨٩.

(٥) الحكيم، الدوحة المشتبكة ، ص٨٨.

منه ثلاثة دراهم صغيرة، ليسهل عملية التبايع داخل الاسواق، وذلك سنة (٦٧٤ هـ/١٢٦٢م)(١).

وكان الدرهم الفضي الكبير يزن اربع وعشرين حبة من حبوب الشعير ويتكون من ثلاثة دراهم صغار(٢)، التي يزن الواحد منها كما ذكرنا ثماني حباب، وهناك جزئيات لهذا الدرهم الصغير، فيتجزء الى نصف درهم الذي هو نفس القيراط ووزنه ثلاث حبات(٣).

وضرب ابو الحسن علي بن عثمان (٧٣١ هـ - ٧٥٢ هـ / ١٣٣١ م - ١٣٥١م) انواعا مختلفة من النقود، حيث اعد بدار السكة بمدينة فاس، الف دينار من الذهب المطبوع، والف اوقية من الدراهم المطبوعة(٤)، ويقصد بالمطبوع، أي المحتوم بختم دار السكة.

وسك ابو عنان (٧٥٢ هـ -٧٥٩ هـ /١٣٥١ م - ١٣٥٩م)، دينارا ذهبيا كبيرا يزن مائة دينار ذهبي عادي، لتقديمه لبعض الشخصيات المروقة، كذلك سك دنانير ذهبية اخرى وزن الواحد منها ديناران عاديان، وقد وردت هذه الدنانير في رسالة شكر بعث بها ابن ابي حجله الى ابي عنان، وفيها يذكر العملة التي تزيد في السك للدينار دينارا، ويصفها باتساع دائرتها عن الدنانير الأخرى، وبأنها صفراء فاقعة اللون من الذهب الخالص(٥).

والنقود المرينية كلها مستديرة الشكل، باستثناء الفلوس، فهي نقود فضية مربعة الشكل ومستطيلة الشكل، ويبدوا ان النقود المرينية

---

(١) الوزان، وصف أفريقيا ،ج١، ص٨٩.

(٢) المنوني، ورقات، ص٩٨.

(٣) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢١٧.

(٤) الحكيم، الدوحة المشبكة، ص٧٨.

(٥) المنوني، محمد، نظم الدولة المرينية، ص٢٤٣.

كانت تضرب من الذهب والفضة في الاعم الاغلب، فالمعروض من النقود الفضية قليل، والموجود من النقود الذهبية فهو كثير، وخاصة الدينار والنصف والربع.[1]

بمرور الزمن ومن تفاقم الازمات السياسية في بلاد المغرب، فقدت النقود المرينية الكثير من قيمتها ونقاوتها بعد عام (٧٣٦ هـ / ١٣٣٥م)، حيث اخذت تظهر نقود مغشوشة ضربت من قبل اليهود، وقد قاوم هذه الظاهرة بشدة كل من ابي الحسن وابي عثمان وبعد وفاتهما، فقدت النقود المرينية قيمتها، وقل موجودها فصارت النقود قليلة[2].

واخيرا لابد لنا ان نذكر ما اشار اليه العمري من مقارنة العملة المرينية بعملات الدول المجاورة، كمصر والشام، وكذلك قيمة الدنانير والدراهم المرينية، فيشير العمري[3]. ان معاملتهم (أي المرينيين)، بالمثقال الذهبي. وكان يساوي مائة وعشرين من الدراهم الصغار، وهي ستون درهما من الكبار الا ان كل درهم من الكبار بدرهمين من الصغار. وكل درهم من هذه الدراهم الكبار يكون نظير درهم اسود في مصطلح اهل مصر، والدرهم الاسود في مصر، هو ثلث درهم نقرة من معاملة مصر والشام. وكل ثلاثة دراهم كبار بدرهم واحد نقرة من معاملة مصر والشام، واما الدراهم الصغار فكل درهم منها. نصف درهم اسود، يكون سدس درهم نقرة من معاملة مصر والشام. وحيث يقال درهم ويسكت،

---

(١) ج – بريت، النقود والاوسمة المغربية، ص١٦٩، ص١٦٩.

(٢) بريت، النقود والاوسمة المغربية. ص١٦٨.

(٣) مسالك الابصار، ص١٢٦.

يراد به الا الدرهم الصغير، وهو سدس الدرهم، الا بمراكش وما جاورها، حيث قيل درهم لا يراد به الا الدرهم الكبير[1].

ويبدو لنا مما كتبه العمري، ان كل درهم من الدراهم المرينية الكبار يساوي ثلث الدرهم المستخدم في مصر والشام، بينما الدرهم الصغير كان يساوي سدس الدرهم المستخدم بمصر والشام، وبما ان المثقال الذهبي المريني يساوي ستين درهما كبارا، فهذا يعني ان المثقال المريني يساوي عشرين درهما من دراهم النقرة في مصر والشام.

د-العملة الحفصية والزيانية

اما بالنسبة للحفصيين في تونس، فقد ضربوا ايضا الدنانير الذهبية والدراهم الفضية، والفلوس النحاسية المعروفة باسم (الحندوس)، فالحفصيون هم اول من طبع الدرهم التونسي المسمى بالجديد، وكذلك الدينار التونسي، وكانت معاملتهما بالدراهم بنوعين، احدهما يسمى القديم، والاخر الجديد ووزنهما واحد، ولكن نقد الجديد خالص ونقد القديم مغشوش بالنحاس، وان التفاوت بينهما، ان كل عشرة دراهم عتيقة بثمانية دراهم جديدة، أي ان كل عشرة دراهم عتيقة، تساوي دينار واحد، وهذا الدينار مسمى لا حقيقه له[2]. واوضح لنا الجزيري[3]،القيمة النقدية للعملة الحفصية، فيشير الى ان الحفصيين

---

(١) م، ن، ص١٢٦، ص١٢٧. وانظر، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٠٨، ص١٠٩.

(٢) العمري، مسالك الابصار، ص٨١، ص٨٢، وانظر : القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٠٩.

(٣) الجزيري، عمر بن الرشيدي، ابتسام العروس ووشي الغروس في مناقب سيدي احمد بن عروس (تونس، ١٣٠٣ هـ)، ص٢٨٠، وانظر العامري، تاريخ المغرب، ص٣٣.

هم اول من طبع الدرهم التونسي المسمى بالجديد، والدينار التونسي، ففي سنة (٦٨٦ هـ /١٢٨١م) كان النصاب الشرعي من الدرهم التونسي المسمى بالجديد ثلاثمائة درهم، وستة وثمانين درهما، وستة اجزاء من ثلاثة عشر جزءا من درهم، وعلى ما اختاره الفقيه ابن عرفة سنة (٧٦٠هـ / ١٣٥٩م)، اربعمائة درهم وعشرين درهما، وان الاختلاف بين التقديرين ناشيء من عدد حبات الدراهم في التاريخين، ففي الاول ستة وعشرون حبة من الشعير الوسط المقطوع الذنب، وفي الثاني اربعة وعشرون حبة.

اما نصاب الدينار الذهبي، بالدينار الحفصي، فثمانية عشر في سنة (٦٨٤هـ / ١٢٨١م) وعلى رأى ابن عرفة سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٢٩م) سبعة عشر وتسعة وعشرين جزءا من ثلاثة وثمانين جزءا[1].

ويعد الحفصيون اول من طبع نقودا نحاسية من بين حكام المغرب في فترة دراستنا وكانوا يسمونها الحندوس (يعني السوداء اللون)، وهي فلوس نحاسية يتصرف بها الناس داخل الاسواق، وذلك لصغر حجمها ولسهولة تداولها، وكان ذلك على عهد المستنصر بالله الاول (٦٤٧هـ - ٦٧٥ هـ / ١٢٤٩م - ١٢٧م) فقد اخبرنا ابن خلدون[2]، قائلا " واستحدث السلطان (المستنصر بالله الاول)، سكته من النحاس مقدرة على قيمة من الفضة يحكي بها سكة الفلوس بالمشرق الاسلامي، وتسهيلا على الناس في المعاملات باصرافها وتيسيرا

---

(١) الجزيري، ابتسام العروس، ص٢٨١. وانظر العامري، تاريخ المغرب، ص١٣٣، ص٣٤.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٨، ص٦٥٨. الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٣٨. الغبريني، عنون الدراية، ٩٢، هامش رقم ٤.

لاقتضاء حاجاتهم، ولما لحق سكة الفضة من غش اليهود المتناولين لصرفها وصوغها، وسمى سكته التي احدثها بالحندوس (يعني السوداء)، ثم افسدها الناس بالتدليس، وخربها اهل الريب ناقصة على الوزن وفشا فيها الفساد... واعلن الناس النكير في شأنها وتنادوا بالسلطان في قطعها... فازال السلطان تلك السكة.

وفي عهد ابي عرم عثمان (٨٣٩هـ - ٨٩٣ هـ / ١٤٣٥م - ١٤٨٨م)، جدد ضرب الدرهم الفضي واطلق عليه اسم الناصري، وجزنه الى خمسي، وهو خمس اسداس الدرهم، والى خروبة وهو اربعة اسداس الدرهم، والى نصف ناصري (يعني ٣/٦ من الدرهم)، والى قفصي وهو القيراط (يعني سدس الدرهم)[1]. ويضيف العلامة حسن حسني[2]. استنادا الى الوثائق والآثار التي بحوزته معلومات اخرى عن العمله الحفصية المستخدمة داخل الاسواق، فيذكر أن وزن الدينار الحفصي كان يساوي (٤.٣٣ غم) وهو نفس وزن المثقال الشرعي، اما وزن الدرهم الحفصي فكان غراما واحدا ونصفا. يعني انه كان يساوي وزنا نصف الدرهم الشرعي، ويذكر حسني ايضا ان جميع العملات الحفصية مربعة الشكل ومستطيلة الشكل وخاصة التي ضربت في مدن قابس وقفصة وتوزر وطرابلس، وكذلك التي ضربها النواب الحفصيون في مدينة بجاية وبونه وقسنطينة[3].

---

(١) حسن حسني، ورقات من الحضارة العربية، ج١، ص٤٦٠، وانظر، ابن عامر، الدولة الحفصية، ص٢٥.

(٢) م، ن، ص٤٥٩.

(٣) حسن حسني، ورقات، ج١، ص٤١٦.

اما بنو عبد الواد في تلمسان، فقد ضربوا عملات ذهبية وفضية، وكانت هذه العملات متداولة في الاسواق الداخلية، وفي اشارة من العمري[1]، ذكر فيها أن العملة الزيانية المستخدمة في عملية البيع والشراء، هي نفس العملة المتداولة في تونس الحفصية، الى جانب بعض العملات المرينية، ومع ذلك فقد ضربوا نقودا خاصة بهم وكتبوا عليها عبارة (ما اقرب فرج الله)[2]، ويبدو ان هذه العبارة لها مقاصد سياسية، هي التخلص من السيطرة المرينية.

واخيرا لابد لنا من القول، على ان هنالك عوامل عديدة، ادت بشكل وبآخر الى عرقلة عملية التداول النقدي داخل الاسواق المغربية، وبالتالي خلقت تأثيرا واضحا في تباين واختلاف اسعار البضائع والسلع داخل الاسواق وكذلك في عملية العرض والطلب. ويمكن تلخيص هذه العوامل الى النقاط الاتية :

١- تختلف اسعار العملة باختلاف اسعار الذهب والفضة من وقت لاخر.

٢- لم تقدم الحكومات المغربية على توحيد العملة، داخل البلد. فالمرابطون لم يوحدوا العملة في دولتهم، بل كانوا يضربونها في مختلف اقاليم دولتهم مختلفة الوزن والعيار. وفي عصر الموحدين استمر اختلاف العملة، حيث كانت الدراهم الموحدية الاكثر استعمالا في الاسواق، تضرب في جميع الولايات بمختلف الاوزان والعيارات حتى داخل المدينة الواحدة، وكما مر بنا سابقا[3].

---

(١) مسالك الابصار، ص٨١، ص٨٢.

(٢) ابو زيان الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات (الجزائر، ١٩٦٣)، ص٢٣٠، ص٢٣١.

(٣) انظر، عز الدين، النشاط، ص٢٩٨.

٣- استمر الاختلاف في الوزن في العصر الذي تلى عصر الموحدين، فلم يعمل بنو مرين على توحيد عملتهم، بل ان النقد لم يكن موحدا حتى داخل الاقليم الواحد، فعلى سبيل المثال، كانت مدينة مراكش تاخذ بعملة تختم بها "وعملها وما قاربها خطة دون بقية العدوة على الاطلاق"[١].

٤- كثرة دور السك في اغلب المدن المغربية، حيث نجدها في مراكش وسجلماسة وفاس، وسبته وطنجه وتلمسان وتونس، وغيرها. وكان لهذا التعدد في دور السكة اثار سلبية على حركة الاسواق، حيث ساعدت على فتح المجال لتزييف العملة. وقد عمل الصرافون على تحديد وزن العملة ونوعها ومكان طبعها، باعتبارهم خبراء في نقاوة الذهب والفضة، فاصبحت لهم معرفة كبيرة في هذا المجال، حيث كانوا يتحكمون في قيمة الدرهم الى الدينار. واستغل الكثير منهم جهل الناس من جهة او حدوث فتن سياسية او ازمات اقتصادية من جه اخرى، فكثر تزييف العملات، وخاصة الصغيرة منها، كأجزاء الدراهم، حيث يحتاجها الناس في الاسواق لسهولة التعامل به[٢]، فاصبحت بعض العملات " تباع عددا لا وزنا "[٣].

وان اكثر ما يوضح عملية الغش وتزييف العملة الناتج من اختلاف الوزن هو ابن الخطيب[٤]، الذي عاش في الفترة المرينية، فعلى

(١) العمري، مسالك الابصار، ص٢٩٨، العبدري، الرحلة، ص١٢.

(٢) عز الدين، النشاط، ص٣٠٢.

(٣) المعيار، ص٣٠٥، ٣٧٣، ٣٧٧، على الرغم من عدم جواز البيع عددا.

(٤) ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص١٥٩.

سبيل المثال اشار الى " تضارب بعض السكان على الاثمان الزيوق بالسيوف ".

والى جانب هذه العوامل، هناك عامل اخر مهم، هو ما يتعلق بضرب العملة من قبل بعض العناصر الغير مسلمة، وخاصة اليهود الذين احتكروا ضرب العملة في العصر المريني، وذلك بسبب استحواذهم على تجارة الذهب مع بلاد السودان[1]. ولعل احسن ما يعزز هذه الظاهرة بالامثلة الحسن الوزان[2]، الذي لاحظ " ان بقرب دار السكة سوق في دكاكين الصاغة وامينهم هو الذي يحتفظ بقالب المعادن وختم النقود ومعظم الصاغة من اليهود".

والى جانب العملات المغربية المختلفة التي اشرنا اليها. عرفت ايضا الاسواق المغربية بعض العملات الاجنبية في عملية البيع والشراء. والتي غالبا ما كانت تعادل قيمة العملة المغربية المستخدمة في السوق، ففي عهد الحفصيون راجت العملة الاسبانية المسماة (بالدوكة)، وهي تعادل الدينار الحفصي، وكذلك (الكرونه) والتي كانت تساوي وزنا الدرهم الحفصي ايضا[3]. كما شاعت العملة الجنويه الايطالية في اسواق فاس ايام بني مرين. حتى ان يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦ هـ - ٦٨٥ هـ / ١٢٥٨م - ١٢٨٦م)، كان ينهي كثيرا على

---

(١) ابن قنفذ، ابو العباس القسنطيني، انس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وادولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي (الرباط، ١٩٦٥، ص٧.

(٢) وصف إفريقيا، ج١، ص٢١٩.

(٣) احمد بن عامر، تونس عبر التاريخ، دار الكتب (تونس، ١٩٧٢)، ص٢١٨.

عدم رواج أي عملة اجنبية اخل الاسواق المغربية، الا عندما تكون على قدر العملة الوطنية في السك والقيمة والوزن[1].

(١) المنوتي، ورقات من الحضارة المرينية، ص١٢٤. ومن الملاحظ ان هناك العديد من الاراء حول وزن وقيمة العملة المغربية، خلال فترة هذه الدراسة فالبعض يرى ان العملة المرابطية والموحدية، غزت العالم واصبحت عملة عالمية، وفاقتها كذلك عملة المرينيين والحفصيين فيما بعد، ولكن الشيء الملفت للنظر، ان الدول المجاورة الى بلاد المغرب كانت عملتها تفوق العملات المغربية بالقيمة خلال فترة هذه الدراسة، فبالاضافة الى ما ذكره لنا العمري والقلقشندي والتي سبق الاشارة اليها، حول مقارنة العملة المرينية والحفصية بالبلاد المجاور وانخفاض قيمتها، تذهب بعض المصادر الى القول في انخفاض قيمة العملات الاخرى، فالدينار المرابطي، كان اقل من الدينار الفاطمي في مصر. (انظر عنه، منصور بن بعرة، كشف الاسرار العملية بدار الضرب المصرية، تحقيق عبد الرحمن فهمي، مطبعة النذير، (القاهرة، ١٩٦٦، ص٣٥)، وكان الدينار الاميري العرقي يساوي دينارا وثلثا مرابطيا. (انظر، النطيلي، بنيامين بن يونه، رحلة بينامين ترجمها عن الاصل عزرا حداد، المطبعة الشرقية (بغداد، ١٩٤٥، ص١٥٤)، اما الدينار الموحدي فكان يعادل نصف دينار مصري من ضرب صلاح الدين الايوبي (انظر ابن جبير، الرحلة)، ص٢٤، ص٣٠. ويبدوا ان هناك وجهتي نظر مختلفتين، حول قيمة العملة المغربية، الاولى يمثلها الكتاب القدامى، كالرحالة والجغرافيين العرب، الذين اشاروا الى انخفاض قيمة العملة المغربية مقارنة بعملات الدول المجاورة.

اما الثانية، فيمثلها المؤرخون المحدثون الذين اتفق بعضهم، على ارتفاع قيمة العملة المغربية بنظيرتها للدول المجاورة، من خلال اطلاعهم على بعض الاثار لهذه النقود. وبدورنا نعتقد ان وجهتي النظر صحيحتان، فالرحالة، اعطوا معلوماتهم من خلال زياراتهم لعديد من الدول في فترة زمنية معينة، ربما لم تمثل عصر دولة او نظام حكم بكامله، فكانت معلوماتهم صحيحة في نطاق زمني محدد، حيث ليس من المعقول ان يعاصر رحالة مثلا و يعمر طيلة =

الأوزان والمكاييل والمقاييس

٢-الأوزان والمكاييل :

اتصف نظام المكاييل والاوزان بتنوع وحداته وتباينها من مدينة الى اخرى، ونظرا لما لهذا النظام من اهمية كبيرة في التعامل المالي والتجاري في عملية البيع والشراء داخل السوق، اوكلت الدولة في عصورها الاسلامية المختلفة مهمة مراقبة هذا النظام الى شخص يتصف بالورع والتقوى. وله معرفة باحوال السوق، ذلك هو المحتسب. وذهب

فترة حكم بني مرين او بني حفص. خاصة ونحن نعرف ان العديد من الحكام قاموا باصلاحات نقدية عديدة في شأن ارتفاع قيمة عملتهم.

اما المؤرخون المحدثون. فمن خلال واقع الحال للاحداث السياسية ونتابع اصلاحات الحكام. وعلاقاتهم التجارية، وكثرة الذهب المتدفق على بلادهم، وعثورهم على قطع نقدية عديدة، بعضها محفوظ في متاحف العالم. وبعضها محفوظ في المتاحف العربية او المتاحف الخاصة كل هذا ايقنهم بارتفاع قيمة العملة المغربية على مر العصور. واعتبروها عملة دولية بدون منازع.واخيرا: يمكن القول. اننا يجب ان نميز بين قيمة العملة المغربية وبين وزنها. فاذا كان وزنها اقل من وزن عملات الدول المجاورة، فلربما تكون قيمتها المعدنية مرتفعة على قيمة تلك العملات، حيث ان المصادر المتوفرة تشير كثيرا الى نقاوة العملة المغربية، حيث كانت تضرب من الذهب الخالص وليس الردئ. ولدينا اشارتان تعودان الى العصر المريني. فابن بطوطة يؤكد على ارتفاع قيمة الدراهم المغربية في عصره فيقول "دراهم المغرب صغيرة وفوائدها كثيرة". (انظر: الرحلة، ص٧٥٨). كما ان العبدري لاحظ فعالية العملة المرينية وتداولها ولها بمدينة تلمسان ابان قوة الدولة الزيانية، حيث يقول "ان سكة فاس تجد رواجا كاسحا لها مقابل العملات الاخرى المضروبه على اساس ذهبي ردئ" (انظر : الرحلة، ص١٢).

السامر[1]، الى ان تباين واختلاف الاوزان والمكاييل بتبـاين واخـتلاف البضاعة دليل على دقة التنظيم الاقتصادي.

ويبدو ان الاختلاف في الموازين والمكاييل. داخل حدود الاقلـيم او الدولة قد يؤدي في كثير من الاحيان الى مشاكل كثيرة بـين البـائع والمستهلك. حيث غالبا ما يستغل المشتغلون في الاسواق هذا الاختلاف فيغشون في مقاديرها. فيستعملون الحجارة بدلا عن الصنج الحديـدي. وهذا ما نجده خلال العصر المرابطي، بينما نرى ان هذه الفوضـى قـد اختفت بعض الشيء في عصر الموحدين وبني مرين، مما يدل على ان الحكومات. قامت بضبط عملية البيع والشراء داخل الاسواق[2].

ان معلوماتنا عن المكاييل والاوزان في بلاد المغرب والخاصـة بفترة دراستنا تكاد تكون غير متوازنة، وذلك للاخـتلاف الكبيـر فـي انواعها من مكان الى اخر. الا ان اكثر ما يستخدم في بلاد المغرب مـن الموازين. هي القيراط. والاوقية. والرطل والقنطار، ومن المكاييل. المد. والوسق. والقفيز، والصفحه، والخروبه ، والربع ، ونـصف الربـع ، والقسط والويبه ، والقادوس ، والقنفل ، والبرشالة، والغرارة.

لقد اعتمد اهل السوق في ايام المرابطين في الوزن القيـراط[3]

---

(١) فيصل السامر، ملاحظات في الاوزان والمكاييل، مجلة كلية الاداب، العدد ١٤، المجلد الثاني (بغداد، ١٩٧٠-١٩٧١)، ص٦٩٩.

(٢) انظر، ابن عبدون، رسالة في القضاء، ص٣٣، ص٤٤، ص٥٤، السقطي، رسالة في الحسبه، ص١٠، ص١٢، ص١٣، ص١٦، ص١٨. الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص٨٦، ص٨٨.

(٣) القيراط، استخدم القيراط كوزن بضاعة، وهو يساوي ١/٢٤، من المثقال، او ١/١٦ من الدرهم ويساوي غالبا خمس حبات (والحبه، هي وزن حبة شعير=

والاوقية[1]، والرطل[2]، والقنطار[3].اما في الكيل فقد استخدموا الوسق[4] .

= وهي لا تلعب في الواقع الهملي سواء دور القيمة التقريبية، وتعتبر في الاعم الاغلب وزن عملة لا وزن بضاعة) والحبة تساوي ١/١٠٠ من المثقال، أي تساوي (٠.٠٤٤٦ غم) وهي تختلف باختلاف وزن الدرهم، انظر، الشيرزي. عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق، السيد الباز العريني، دار الثقافة (بيروت، بلا) ص١٦، وانظر. هنتس، المكاييل والاوزان، ص٢٥، ص٢٦، ص٤٤.

(١) الاوقية : وهي وحدة وزن متداولة في توزين البضائع، والوزن الشرعي لها يساوي ٤٠ درهما ن ويساوي ١٢٥ غم، الا انها تختلف من دولة الى اخرى. ففي بلاد المغرب كانت تساوي ١٢ درهما. اي (٣٧.٥ غم). بينما كانت تساوي في دمشق على سبيل المقارنة خمسين درهما. انظر. الشيرزي. نهاية الرتبة، ص١٦، ص١٧، وهنتس. المكاييل. ص١٩، ص٢٠.

(٢) الرطل : وهو وحدة وزن. وهو اكثر وحدات الوزن استعمالا. وكان يساوي ١٢ اوقية ويساوي كذلك ١/١٠٠ من القنطار. وهو يختلف من بلد الى اخر ايضا. فمثلا في دمشق كان يساوي ٦٠٠ درهما، بينما في بلاد المغرب. كان يساوي ١٤٠ درهما في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي (٤٣٧.٥ غم). بينما بلغ في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي اوزانا مختلفة. ففي مراكش بلغ (١٥٠ درهما) ويساوي (٤٤٨.٧٥ غم) بينما في مدينة فاس بلغ ١٨٠ درهما أي (٥٦٢.٥ غم) واحيانا وصل الى ٣٣٦ درهما أي (١١٠٨.٨ غم) انظر هنتس. المكاييل والاوزان. ص٣٧. وانظر. الحكيم. الدوحة المشتبكة. ص٨٣. هامش ٢.

(٣) القنطار. كان يساوي ١٠٠ رطل، واذا اطلق على الذهب فيساوي (١٠,٠٠٠ دينار) ويساوي ٤١,٣٣ كغم من الذهب. هنتس. المكاييل. ص٤١.

(٤) الوسق. يعني ستون صاعا. بصاع النبي (صلى الله عليه وسلم) على السواء. انظر. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٧٢.

والصفحة[١]. وهي مقادير اصطلاحية تختلف من اقليم الى اخر، واحيانا مدينة الى اخرى، واستمرت نفس هذه الموازين والمكاييل طيلة حكم الموحدين، ولم يطرأ عليها تغيير الا فيما يخص القفيز، حيث جعل الموحدون القفيز قدر الوسق تيسيرا لمعرفة قدر النصاب الشرعي[٢].

وفي عصر المرينيين حدث تغيرا واضحا على الاوزان والمكاييل، حيث حاول عدد من الحكام ايجاد بعض الاوزان الثابتة، فقد قام يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦ هـ - ٦٨٥ هـ / ١٢٥٨م - ١٢٦٦م) بتحديد الرطل المريني بمقدار تسعة وستين درهما من الدراهم الصغار[٣]، وكان الصاع المريني. عبارة عن اربعة امداد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو يعادل كيلا ٤.٩٢٤ لتر[٤]. وذلك بعد التعديل الذي امر به يوسف بن يعقوب (٦٨٥ هـ - ٧٠٦هـ / ١٢٨٦م - ١٣٠٦م)، سنة

---

(١) الصفحة : تساوي ثمانية واربعون قادوسا، والقادوس يساوي ثلاثة امداد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم)، أي يساوي ١٥١.٤ لترا، والمد في فجر الاسلام يساوي ربع صاع، أي ان الصاع يساوي اربعة امداد، وفي بلاد المغرب كان مد القمح يساوي ١٨٠ اوقية، وكل اوقية تساوي ١,٦ غم، أي تساوي ٣.٣٢٨ كغم، ويقابل حوالي ٤.٣٢ لتر، انظر، هنتس، المكاييل، ص٧٤، ص٧٥. ومد النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يساوي اربع حفنات بحفنة الرجل الاوسط، انظر، الشرباصي، احمد، المعجم الاقتصادي الاسلامي، دار الجيل (بيروت، ١٩٨١)، ص٤١٣.

(٢) العامري، تاريخ المغرب، ص٢٣، هامش رقم ١.

(٣) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص١٤٧، والدرهم الصغير، كان يساوي الواحد منها ستة عشر اوقية، انظر المنوني، نظم الدولة المرينية، ص٢٤٧.

(٤) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص١٤٧، ص١٤٨، المنوني، نظم الدولة، ص٢٤٧، ص٢٤٨. وانظر، هنتس، المكاييل، ص٩٣.

(٦٩٣ هـ / ١٢٩١م)[١]، للصاع وللوسق الذي كان يسمى بالمغرب بالصفحة، وهو يعادل كيلا سعته ٢١٥,٥٥٤ لترا[٢]. وقد استمر الصاع المريني مستخدما في الاسواق المغربية الى ايام هذه الدولة، وحتى المائة العاشرة للهجرة[٣]. ومن مظاهر اهتمام المرينيين بتحقيق المكاييل المغربية، ان عدل عدد من حكامهم امدادا نبوية نموذجية، تكون مرجعا في تحقيق الصاع والوسق، وهكذا عدل يوسف بن يعقوب مدا نبويا في جمادي الاول سنة (٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م)، ثم قام ابو سعيد الاول (٧١٠ هـ - ٧٣٢ هـ / ١٣١٠ م - ١٣٣١ م) بتعديل مد اخر على مد يوسف المذكور[٤].

---

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٩٣.

(٢) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص١٤٧، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٥١٧٧. ويشير هنتس، ان الوسق يعني حمل بعير ويساوي ٦٠ صاعا ويساوي ٢٥٢,٣٤٥٦ لترا او ١٩٤,٣ كغم من القمح، انظر، المكاييل والاوزان، ص٧٩.

(٣) الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، التراتيب الادارية (بيروت، ١٣٤٦هـ)، ج١، ص٤٣٣، ص٤٣٦، ومزيدا من المعلومات عن معرفة الصاع النبوي وانواعه في الدولة العربية الاسلامية، انظر، عثمان اسماعيل، المد النبوي العلوي، مجلة دعوة الحق، العدد ٢٢٦، (المحمدية، ١٩٧٩)، ص٦٢، ص٦٥.

(٤) الكتاني، التراتيب الادارية، ج١، ص٤٣١. ولا يزال يوجد لحد الان مدان من الصفر عدلهما ابو الحسن المريني على مد يوسف بن يعقوب والمدان محفوظان بمتحف البطحاء بمدينة فاس المغربية مؤرخان سنة (٧٣٤ هـ / ١٣٣٣م). انظر، المنوني، ورقات من الحضارة المرينية، ص١٠٥.

وقد استمر العمل بالاهتمام بتحقيق المكيال المغربي حتى اواخر عهد هذه الدولة ففي سنة (٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م)، اعيد النظر في تحقيق المد النبوي باقتراح من الوزير المريني يحيى بن زيان[١].

ومن المعروف ان اكثر ما استخدمه اهل السوق ايام المرينيين هو الرطل، وقد تعددت ارطالهم بحسب طبيعة السلعة، فكان الرطل العطاري يساوى ١٦ اوقية ،والرطل الخضاري يساوي ١٨ اوقية ، وكذلك الرطل الذي كان يستخدم للمواد الدسمة والفواكه المجففة، وهو يساوي ٢٤ اوقية[٢]، وكثيرا ما استخدم المرينيون الصفحة لكيل الحبوب[٣].

وقد دخلت على المكاييل المرينية بعد انضمام المغرب الاوسط الى دولتهم، في عهد الاسرة الحاكمة بتلسمان، بني عبد الواد، عددا من المكاييل المعروفة في هذه الدولة، ومن اهمها البرشالة التلمسانية، ومقدارها كما جاء عند ابن خلدون، اثنا عشر رطلا ونصف، أي ما يقارب مثقالان ونصف[٤]، وقد قدرها يحيى بن خلدون، بان كل ستين برشالة تساوي مدا كبيرا وزنتها ١٣ رطلا[٥]. كما استعمل ايام المرينيين

---

(١) السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص١٢٩.

(٢) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص٨٣؛ ص٨٤.

(٣) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية في اخبار الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة (الرباط، ١٩٧٢) ص ٨٩. وانظر الباسي، المقصد الشريف، ص٨٧.

(٤) العبر، ج٧، ص٩٥.

(٥) بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج١، ص١٤. وانظر هنتس، المكاييل، ص٥٩، الذي يذكر بان البرشالة تساوي ½ ١٢ رطلا وتساوي ٢٠٠ درهم.

الغرارة[1] لكيل الزيت، وقدرت بـ ١٦ قدحا، وكل قدح يساوي (١,٦٢ كغم)[2].

وفي زمن الحفصيين في افريقية، قام بعض حكامها باصلاح مكاييل مدينة تونس العاصمة على مقتضى الشريعة الاسلامية في الزكاة، فصير الوسق الشرعي في القدر كالقفيز التونسي الذي عرف منذ عهد الموحدين[3]، ويقدره العمري[4]، بـ ١٦ ويبه[5] مصرية، وهو قريب من المد النبوي.

ومن الجدير بالاشارة الى ان البوادي المغربية، ظلت تتعامل في البيع والشراء داخل الاسواق على تلك المكاييل والموازين المعتمدة التي تتولى الدولة صناعتها، وربما قام بعض اهالي القرى بصناعة البعض منها في قراهم بعد مقارنتها مع الاوزان والمكاييل الرسمية للدولة والمحققة لدى الفقهاء[6].

---

(١) الغرارة. كان وزنها يساوي ٢٠٤,٥ كغم من القمح وهي تعني العدل من صوف او شعر). انظر، هنتس. المكاييل. ص٦٤.

(٢) العبدري، الرحلة. ص١٥٩، ص١٦٠.

(٣) العامري، تاريخ المغرب، ص٧٣، هامش رقم ١.

(٤) مسالك الابصار، ص٨٢. القلقشندي. صبح الاعشى، ج٥، ص١٠١. والقفيز كان يساوي في القيروان، ٣٢ ثمنا وكل ثمن ٦ امداد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم) ويساوي ٢٠١,٨٧٧ لتر واستمرت نفس قيمة القفيز في عهد الحفصيين. انظر هنتس، المكاييل، ص٦٨.

(٥) الويبة، مكيال مصري يعادل ١٢,١٦٨ كغم من القمح، وفي القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، كانت الويبة تساوي ١٦,٦ كغم من القمح. انظر، هنتس، المكاييل، ص٨٠.

(٦) المعيار، ج٥، ص١٠٧ –ص١١١.

٣-المقاييس :-

كان هناك بصفة عامة ذراعان مهمان في المقاييس، احدهما خاص بالاقمشة والاخر خاص بالاراضي، وما يهمنا هو الذراع الخاص بالاقمشة، كاحد المقاييس المهمة المنتشرة في اسواق بلاد المغرب، وهذه الذراع تتفاوت بين اسواق المدينة واخرى، فضلا عن بعض المقاييس الاخرى التي استخدمت كوحدات قياسية من قبل بعض الحكومات المغربية.

يشير احد الباحثين الى ان المرابطين والموحدين استخدموا في قياس الاطوال الذراع الذي كان يساوي ٢٢ اصبعا. كما استخدموا القامة التي كانت تساوي اربعة اذرع، او مترا وستين سنتمترا، كما استخدموا القمبة، التي كانت تساوي ١٩٢ اصبعا، وهي مقاييس يستخدم بعضها تجار الاقمشة المختلفة(١).

ان معلوماتنا عن المقاييس تكاد تكون محصورة في العهد المريني، حيث اظهر العديد من الحكام اهتماما واسعا في هذا المجال، فقد انفرد ابو عنان (٧٥٢ هـ - ٧٥٩ هـ / ١٣٣١م - ١٣٣٨م) من بين الحكام المرينيين بضبط المقاييس المغربية، فقد وضع على جدران مدينة فاس العاصمة مقياسين اثنين للذراعين المستعملين لذرع مختلف الاثواب حتى يسهل الرجوع اليها عند الحاجة.

فالذراع الاول، لصقه دخل المكتب القديم للمحتسب على حائط ارتفاعه خمسون سنتمترا عن ارض. وقد رسم هذا الذراع على رخامة بيضاء، وطول هذه القالة ستة واربعون سنتمترا ، وهي قالة خاصة

---

(١) حسن المانح، الحضارة المغربية، ج١، ص١٧١، ومزيدا من المعلومات عن هذه المقاييس، انظر، هنتس، المكاييل والاوزان، ص٨١، ص٨٥.

بباعة الثياب الصوفية، وتسمى بالقالة الادريسية،نسبة الى ادريس الاول مؤسس مدينة فاس، او في بعض الاحيان تسمى بالقالة الدرازية (أي مقياس المنسوجات)[1].

اما الذراع الثاني، فقد وضعه في سوق العطارين بفاس، وهو مرسوم على رخامة بيضاء، وطول هذه القالة خمسة وخمسون سنتمترا، ويستعملها تجار الجوخ،ونساج الحرير، والكتان، ولهذا تسمى بالقالة الكتانية[2].

كما عرفت الاسواق المرينية مقاييس اخرى، مثل الباع المعروف بالخطوة، وهو يقدر بمدينة سبته بثلاثة اقدام[3]، واستخدامها ايضا الشبر الكبير والشبر الصغير[4]. وهي من المقاييس العامة.

اما الأسواق الحفصية، فكانت تستخدم بعض المقاييس، مثل القالة التي تتراوح بين ١,١٥ لترا الى ١,٧٠ لتر، الشهر كان يساوي ٤٢.٠ لتر[5].

---

(١) المنوني، نظم الدولة المرينية، ص٢٥٠، ورقات من الحضارة المرينية، ص١٠٧، ص١٠٨.

(٢) المنوني، نظم الدولة المرينية، ص٢٥١ وانظر :

Al-Fred , BEI – in seriltion. Arabes-de , Fes-hournal. Siatique – March Arbil , 1917. P.303.373.

عن المنوني، ورقات، ص١٠٨.

(٣) السبتي، اختصار الاخبار، ص٤٧، وانظر. هنتس، حيث يقدر بـــ ٢ متر ويسميه بالقامة، المكاييل، ص٨٢.

(٤) فتحية محمد، جوانب من الحياة الاقتصادية بالمغرب، ص١٧٠.

(٥) نجاة باشا، التجارة في المغرب الاسلامي من القرن الرابع الهجري الى القرن الثامن الهجري، منشورات الجامعة التونسية (تونس، ١٩٧٦)، ص٨٨.

ثانيا : طرق البيع والشراء في الأسواق :

كان التعامل في الأسواق المغربية يقوم على اساس البيع المطلق، أي بيع العين بالثمن – وتورد المصادر المتوفرة لدينا، نصوصا مبعثرة عن عمليات تجارية كانت تجري بالنقد، سواء كان ذلك فيما يخص العمليات التجارية البسيطة او الصفقات التجارية الكبرى الخاصة بالتجار الكبار.

كما أن المصادر التاريخية لا تعين كثيرا على تحديد نوعية وحجم عمليات البيع والشراء التي تجري بالنقد، هل كان بالعد ام بالوزن، علما ان التعامل بكليهما ربما كان موجودا.

١-البيع بالنقد :

لقد كانت المعاملة بالنقد كما ذكرنا اكثر شيوعا، حيث سادت تلك المعاملة سائر اوجه الحياة المعاشية، وشملت مختلف المواد كالغذاء[(١)]، والدور[(٢)]، والحيوانات[(٣)]، والملابس بمختلف انواعها[(٤)].

وقد ارتاد المدن المغربية تجار من سائر البلاد، كان النقد الوسيلة الاكثر سهولة في التعامل التجاري معهم، ومما يعكس رواج النقد والتعامل به، انتشار الكثير من انواع النقود في سائر البلاد المغربية . فقد تداولت عملات مختلفة كثيرة، وغالبا ما وقع التخاصم بين الناس بسبب اختلاف وزن تلك العملات، ونذكر منها على سبيل

---

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٣٨٢، ص٤٠٩، ص٤١٠.

(٢) ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص١٤٣.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص٦٩١، ص٦٩٩.

(٤) الغبريني، عنوان الدراية، ص١٦١.

المثال القرطبية، والجنويـــة، والمرابطيـــة والمؤمنيـــة او المحمديـــة، واليعقوبية وغيرها[1].

ويمكن القول، ان استخدام النقد بالتعامل، كان هو الاكثر شيوعا وسيادته في عملية البيع والشراء داخل الاسواق المغربية.

٢-البيع بالسلف :

كان السلف من انواع البيوع المستخدمة في الاسواق المغربية، خاصة فيما يتعلق بعملية البيع والشراء، وربما كان السلف نقدا بنقد او نقدا بسلعة او قد يتخذ بيع السلم الذي لا يجوز عددا او مفاضلة وانما يجوز وزنا[2].

والظاهر ان بيع السلف ساعد اهل السوق على استغلال المزارعين، واحتكار الطعام فكان التجار مثلا يسلفون المزارعين. مستفيدين من اختلاف السعر فى اول الموسم واخره فيخزنون وقت رخصها ويبيعونها عندما يرتفع السعر، ومن هذا النوع من الاستغلال المرتبط بالاحتكار، شراء التجار ايرادات الجند المرابطي قبل خروجه مستغلين حاجة اولئك الجند للمال[3].

وغالبا ما تظهر اضرار السلف واضحة على اهل البادية والقرى الريفية لحاجة هؤلاء الى بضائع اسواق المدينة، من طعام وملابس، معتمدين في تسديد عملية تسليفهم من التجار على موسم الحصاد. وقد يحصل في بعض السنوات ان يعجز هؤلاء عن التسديد نقدا، ويرغبون

---

(١) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص٦٨، ص١٠٥، ص١٠٦.

(٢) المعيار، ج٧، ص٩٧١، ١٣٥، ٢٤٩.

(٣) عز الدين، النشاط، ص٢٩٦.

بالتسديد عينا، وقد عد الفقهاء ذلك من البيوع المباحة شرط الا يزاد في الثمن ولا ينقص منه[1].

وقد استغل اليهود هذا النوع من البيوع في عملية البيع والشراء، وفي بعض اوجه المعاملات التجارية بالتسليف مع استخدام الربا، وجاء عنهم، انهم اعتمدوا التسليف القائم على الرهن الذي يترتب على تأخيره فائدة مالية[2].

٢-البيع بالمقايضة

تعامل المشتغلون في عملية البيع والشراء في داخل الاسواق المغربية في البيع بالمقايضة ايضا، وخاصة في النشاط التجاري مع بلاد السودان، والسودان كما هو معروف مصدر الذهب الاساسي بالنسبة لبلاد المغرب، وقد كانت اكثر المقايضة تقوم على الذهب مقابل الملح وللنحاس المتوفر في الصحراء المغربية[3].

اما التجارة مع المشرق الاسلامي والبلاد الاوربية، فقد كانت قائمة على المقايضة في بعض الاحيان، والبيع النقد في احيان اخرى، فالوزان[4] يشير الى ان سكان منطقة باديس تعاملوا مع تجار المدن الايطالية، وخاصة البندقية بالمقايضة فضلا عن البيع نقدا القائم على اساس العملة الذهبية، فعندما يدخل التجار المغاربة الى الاقطار الخارجية يحملون معهم العملة المغربية الى دور الضرب ويسكونها

---

(١) المعيار، ج٦، ص٣١٠، ٣١٤.

(٢) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص١٣٦، ص١٣٩.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١١ ن الاستبصار، ص٢١٥، ص٢١٧.

(٤) الوزان ، وصف افريقيا، ج١، ص٣٢٩، ومزيدا من المعلومات عن عملية البيع بالمقايضة انظر ما سبق شرحه في الفصل الثاني من العلاقات التجارية لبلاد المغرب.

لتعادل سكة البلد الذي يتاجرون فيه[١]، وخاصة في عصر المرابطين والموحدين. كما ان التجار الاجانب كانوا يفعلون نفس الشيء ذاته عندما يدخلون الى بلاد المغرب، وخاصة خلال العصر المريني[٢]. واعتقد ان السبب في ذلك يعود الى الاختلاف في قيمة ووزن العملات المغربية والأجنبية والتي اشرنا اليها انفا.

٤-الحوالة على الصرافين :-

الحوالة، عبارة عن نقل الدين من ذمة المدين الى ذمة شخص اخر، أي نقل الشيء من محل الى اخر، وان الهدف من نظام الحوالة، هو لتأمين نقل الاموال من مكان الى اخر دون تعرضها الى مخاطر الطريق.

ان المصادر التاريخية المتوفرة لدينا لا تعطينا صورة واضحة عن الاساليب التي كان يتعامل بها التجار بالحوالات، وكيفية صرفها، ونسبة الصرف، وكثيرا ما استخدمت في بلاد المغرب في المعاملات التجارية الداخلية بين الريف والمدينة، حيث يقوم في اغلب الاحيان اصحاب البضائع بدفع غلاتهم ومحاصيلهم من الدراهم اليهم (أي الصرافون)، ويكتبونها عندهم دنانير ثم يحيلون ما يشترونه من التجار عليهم بالدنانير، وقد انكر ذلك الفقهاء لما وقع فيه من اوجه الربا[٣]. حيث كان الفقهاء يرون ان الحوالة، ربا فحرموا التعامل بها[٤].

---

(١) عز الدين، النشاط، ص٣٠٣.

(٢) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص٥٥، ص٥٦، ص٧٦.

(٣) المعيار، ج٦، ص٢٨٩، ٢٩٠، ص٣٠٦.

(٤) م.ن، ج١٢، ص٦٤.

٥-البيع بالمزايدة :

وردتنا بعض الاشارات تفيد على ان هذه الطريقة في البيع كانت معروفة فابن قنفذ[١]، يؤكد على ظاهرة البيع والشراء داخل الاسواق المغربية كانت تتم عن طريق المزايدة.

ويقدم لنا روجيه[٢]، معلومات مهمة عن عملية المزايدة داخل اسواق مدينة فاس فيشير، الى ان القاعدة العامة تنص على ان البيع والشراء كانا عمليتين حرتين لكن في الواقع ان الانتاج الصناعي في مدينة فاس كان يباع غالبا بالمزاد العلني، لقد كان لصناع مدينة فاس الحرية الكاملة في أن يبيعوا منتوجاتهم الى أي فرد يرغب في ذلك او الى التجار مباشرة. وكانوا على العموم يفضلون البيع بالمزاد العلني، حيث المزاد يعقد في فترات معينة في كل يوم، للاقمشة والصوف الخام، وجميع المواد الخام والمنتوجات اللازمة للاستهلاك الدائم. اما الاشياء الاخرى، فكان يعقد مرة او مرتين في الاسبوع، حيث كان للمزاد مكان ثابت، وغالبا ما يكون في الشارع او الميدان ن حيث كانت تقوم حوانيت التجار، وقد يستمر المزاد ساعتين في اليوم وذلك بعد صلاة العصر، وهناك ثلاثة اشخاص يقومون بتمثيل الادوار في هذه المزايدة، وهم البائعون والمشترون والدلالون الذين يقيمون العلاقات بين البائع والمشتري[٣].

وكانت المواد المعدة للبيع مقسمة الى وحدات تختلف من مزاد الى اخر، وكان الدلالون يمرون امام المشتري لعرض السلع امامهم،

---

(١) انس الفقير وعز الحقير، ص٩، ص١٠.

(٢) فاس في عصر بني مرين، ص١٥٥، ص١٥٦.

(٣) روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص١٥٧.

ويطلبون السعر بصوت عال، فاذا ابدى المشتري رغبته في الشراء كان على الدلال ان يبحث عن البائع ليتأكد من قبوله بالسعر المعروض، فاذا رضي المشتري تمت عملية البيع[١]، واعطت البضاعة الى المشتري، واغلب الاحيان كان البيع بالمزايدة يتم عن طريق الدفع النقدي، او يطلب المشتري ان يسمح له بالدفع الاجل، اما الاسعار في هذه المزايدات، فكانت متقلبة حسب عملية العرض والطلب، وزيداد الطلب على الشراء ايام الاعياد، او في نهاية الموسم الزراعي عندما يكون المال متوفرا عند الفلاحين بعد بيع منتوجاتهم، بينما تهبط الاسعار بعد الاعياد مباشرة، وكذلك في نهاية الربيع عندما يكون الفلاحون قد استهلكوا المال السنوي[٢]

ويبدو لنا من خلال ما نقله روجيه. ان البيع بالمزايدة، كان يتم داخل الاسواق الثابتة، وان المكان الذي تتم فيه هذه المزايدات غالبا ما يكون الشارع الذي تقع فيه حوانيت التجار، او في زاوية من زوايا السوق، بينما تقوم المزايدة في احيان اخرى داخل الساحات او الميادين التي تكتظ بالمتبضعين.

وفي اشارة للوزان[٣]، في نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. يذكر فيها على ان البيع بالمزايدة داخل سواق فاس كان شائعا، وخاصة في سوق العسل، وسوق الاقمشة الصوفية

---

(١) الوزان، ص١٥٨.

(٢) م، ن. ص١٥٨.

(٣) وصف إفريقيا، ج١، ص١٨٦. ومزيدا انظر وصف الوزان لاسواق فاس، ص١٨٤ - ١٩٢.

المستوردة من اوربا، حيث كان الدلالون ينادون على سلعهم وبضاعهم امام دكاكين التجار.

٦-بيوع اخرى :

فضلا عن البيوع السالفة الذكر، فان هناك بيوعا اخرى، كانت تتم داخل الاسواق، وهو التعاقد المباشر الذي يفضله العديد من التجار واصحاب طوائف المهن والحرف وغالبا ما يتم بين المستهلك والمنتج[١]. أي بمعنى انه يكون بعيدا عن ايادي الدلالين والسماسرة، واعتقد ان هذا النوع من البيوع، هو اكثر فائدة من البيوع الاخرى للمتسهلك. لانه يكون بعيدا عن التضارب الذي يفرضه الدلالون والسماسرة ومن المؤكد انه الاكثر شيوعا ايضا.

ومن طرق التعامل في عملية البيع والشراء. وهي طريقة البيع بالاجل[٢]. والتي كانت مستخدمة منذ عصر الموحدين. وكذلك طريقة البيع بالتقسيط التي اشار اليها الوزان[٣]. في سوق الاحذية وسوق الملح في مدينة فاس في العصر المريني، حيث كانوا يشترون بضاعتهما بالجملة ويبيعونها بالتقسيط.

ومهما تكن المعلومات التي وصلتنا، لكنها لا تكفي باعطائنا صورة واضحة عن عملية البيع والشراء داخل الاسواق، حيث كثيرا ما

---

(١) روجيه. فاس في عصر بني مرين، ص١٥٨.

(٢) يشير ابن ابي زرع، انه في سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٧م)، توفي الشيخ الفقيه العالم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم. واصاف فاس مجاعة، وكان عنده فيها الف وسق من القمح، فباعها كلها الى اهل الشعف بوثائق واخرهم بالثمن، انظر، روض القرطاس، ص٢١٨.

(٣) وصف افريقيا، ج١، ص١٨٤.

نشاهد في كتب الجغرافية والرحلات عبارة (باع واشترى)، ولكن كيف تتم هذه العملية، لا نعلم، حيث لم يوضحوا لنا ذلك.

ثالثا :- الاسعار[1]

شهدت اسواق بلاد المغرب خلال فترة هذه الدراسة، ارتفاعا حادا في اسعار بعض السلع الضرورية وذلك في سنوات القحط وعدم الاستقرار السياسي، حيث لم تفرض الأنظمة الحاكمة ضوابط لتسعير السلع والبضائع المتداولة في الاسواق، على الرغم من ان بعض الفقهاء اجاز في كتب الحسبة تسعير السلع في حالة الاضرار، وهي حالة وقوع الضرر بالناس، هذه مسألة نظرية، ولكن من الناحية الواقعية، لم يكن هناك حاجة للجوء الى تسعير البضائع دائما، لان المنافسة الحرة تؤدي عادة الى تخفيض الاسعار . ونستشهد بنص ابن تيميه[2]، حيث اشار الى عدم جواز التسعير في حالة الارتفاع الطبيعي للاسعار بقوله فاذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم وقد ارتفع السعر اما لقلة الشيء او لكثرة الخلق فهذا الى الله فالزام الخلق ان يبيعوا بقيمة بعينها اكراه بغير حق "، الا انه ينص على ضرورة تحديد الاسعار ، بل اجبار اصحاب السلع على بيعها عند اشتداد حاجة الناس الى السلعة حيث يقول " لولي الامر ان يكره الناس على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس اليه "[3].

---

(١) السعر . عبارة عن اتفاق بين الطرفين المتبادلين في بيع وشراء سلعة، اما في السوق فيمثل المشترون الطلب، ويمثل البائعون العرض، انظر، النجفي، حسن، القاموس الاقتصادي. (بغداد، ١٩٧٧)، ص٢٤٨.

(٢) ابن تيميه، تقي الدين احمد بن عبد الحليم، الحسبة في الاسلام، (القاهرة، ١٣١٨ هـ)، ص١٦

(٣) م، ن، ص١٥، ص١٦.

ولمعرفة اسعار بعض البضائع والسلع المتداولة في الاسواق المغربية، لابد لنا من معرفة بعض الاسباب الجوهرية التي قد تؤدي الى ارتفاع الاسعار في اغلب الاوقات. ومن اهم هذه الاسباب هي :-

١-الظروف السياسية :-

لقد شهدت اسواق بلاد المغرب حالات متعددة ارتفعت فيها اسعار السلع والبضائع ارتفاعا حادا. وكان للظروف السياسيه اثرا كبيرا في ذلك، حيث غالبا ما تتعرض مدن واقاليم البلاد الى اضطرابات سياسية وحروب عسكرية، مما يؤدي الى وقوع السلب والنهب، فتتعطل الاسواق، وتزداد احوال الناس سوءا، حتى تصل الحالة عندهم في اغلب الاحيان الى اكل الحيوانات المحرمة، فمثلا خلال الحصار الذي فرضه الموحدون على خصومهم المرابطين في مدينة مراكش على عهد عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ هـ - ٥٥٨ هـ / ١١٢٨م - ١١٦٤م) سنة (٥٤١ هـ / ١١٤٦م) عانى اهلها الكثير من الشدائد، يصورها لنا صاحب الحلل الموشية[١] بقوله "وطال الحصار عليهم واشتد الجهد بهم، ولكثرة خيلهم ورجلهم نفذ طعامهم، وفنيت مخازنهم، حتى اكلوا دوابهم، ومات منهم بالجوع ما ينيف عن مائة وعشرون الفا... ولما طال عليهم الحصار... اكلو الجيف واكل اهل السجن بعضهم بعضا، وعدمت الحيوانات كلها والحنطة باسرها وفرغت المخازن، فلم يوجد فيها شيء، وعجزت عساكر اللمتونيين حينئذ عن الدفاع والامتناع".

---

(١) مجهول، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، (تونس، ١٤٢٩هـ)، ص١٠٢.

وواضح ان صاحب الحلل قد بالغ في عدد القتلى، واستمر الحصار لمدة سبعة اشهر، حتى وصل سعر الربع من الدقيق الى مثقال ذهبي[1].

وفي حصار المهدية من قبل عبد المؤمن بن علي سنة (٥٥٣هـ / ١١٥٥م)، حيث قام عليها مع اصحابه، فاصابتهم شدة عظيمة من الغلاء في الاسعار في داخل المدينة وخارجها، حتى ان اصحاب عبد المؤمن انفسهم اشتروا الباقلاء في العسكر، سبع باقلات بدرهم مؤمني، وهو نصف درهم النصاب "[2]، وبلغ سعر الشعير ثلاثة دنانير ذهبية للمطل الواحد، وبلغ رطل الحطب دينار ذهبي "[3].

وكان لعامل الاستعداد العسكري اثرا واضحا في ارتفاع الاسعار، حيث ان الاستعداد لبعض الحملات كان يصحب ذلك انعدام الاقوات والمون للجيش المحارب، مما يؤدي الى ارتفاع الاسعار، وقلة الطعام، فقد غلت الاسعار بمدينة مراكش سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٣م)، وهي السنة التي تم فيها تجهيز جيش يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨هـ - ٥٨٠ / ١١٦٢م - ١١٨٤م)، لغزوته الكبرى لبلاد الاندلس، والتي انتهت بهزيمته عند اسوار شنترين، واصابته اصابة قاتلة سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م)[4].

كما حدثت مجاعة لمراكش سنة (٥٦١هـ / ١١٩٤م)، وهي نفس السنة التي حدثت فيها معركة الارك، وانتصار الموحدين على جند الروم في الاندلس، وقد سبق الغزو حشد كبير للجنود واعداد المون

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٢٣٥.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢٣٠.

(٣) البيذق، اخبار المهدي بن تومرت، ص٥٨، ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٨٢، ص١٨٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٤، ص٤٩.

والطعام، وكل ما يلزم المعركة(١)، ومن الطبيعي ونتيجة هذه الاجراءات، ان يقل المعروض من السلع في الاسواق، وبالتالي تزداد اسعارها.

وخلال العصر المريني، حدث نفس الشيء، فخلال حصار مدينة تلمسان الذي استمر اكثر من سبع سنوات من قبل الناصر ابي يعقوب يوسف المريني (٦٨٥ هـ - ٧٠٦هـ / ١٢٨٦م - ١٣٠٦م) سنة (٦٩٨هـ / ١٢٩٩م)، استفحل الغلاء وارتفعت اسعار المواد الغذائية ارتفاعا باهضا، حيث بلغ ثمن الدجاجة على سبيل المثال عشرة دنانير من الذهب(٢)، وبلغ ثمن كيل من القمح ثلاثين مثقالا، ومن الملح ثلاثة مثاقيل للكيل الواحد، وبلغ رطل اللحم عندهم مثقال من الذهب(٣).

وقد احسن السلاوي(٤)، في وصف اسعار المواد المتداولة في المدينة المحاصرة تلمسان فقدم لنا قائمة مفصلة باسعار تلك المواد، يشير الى "ان مكيال القمح بلغ مثقالين ونصف من الذهب العين، وبلغ ثمن البقرة ستين مثقالا، والضان سبعة مثاقيل ونصف، وثمن رطل اللحم بثمن مثقال ذهبي، وبلغ الرطل من جلد البقر ثلاثين درهما، وبلغ سعر الفار عشرة دراهم، وسعر الهر مثقال ونصف، والكلب مثقال ونصف، والحية بمثل ذلك وبلغ سعر الدجاجة ثلاثين درهما، والبيضة الواحدة ستة دراهم، والاوقية من الزيت باثني عشر درهما، والاوقية من الشحم عشرين درهما، والملح عشرة دراهم، والخيار بثلاثة أثمان الدينار، والبطيخ ثلاثين درهما، والأجاص بدرهمين..."، ومن خلال هذا النص

---

(١) الوزان، ج٤، ص٢٣٣.
(٢) ابن قنفذ، انس الفقير، ص٧٠.
(٣) الوزان، وصف إفريقيا، ج٢، ص١٨.
(٤) الاستقصا، ج٢، ص٢٤.

نستطيع ان ندرك مدى شدة الحصار على المدينة تلمسان، بحيث ان الناس اكلوا حتى الحيوانات المحرمة، كالفأر والكلب والحية.

وقد اكد ابن خلدون[1]، على شدة حصار مدينة تلمسان مقدرا عدد القتلى فيها، باكثر من مائة وعشرين الف شخص، وذكر لنا، بان الناس اكلوا الجيف والكلاب والقطط والفئران واشلاء الموتى.

وخلال حصار مينة مراكش من قبل المرينيين، نقل لنا ابن ابى زرع[2]، حوارا بين السكان في المدينة وحاكم تلك المدينة ابي دبوس، وهو حوار يعكس مرارة المحنة اتي عصفت بهم، اما الحوار فهو " قالوا كم نقعد عن حرب بني مرين وتجبن عن لقائهم، اما ترى بلادنا قد خربت واموالنا قد نهبت...".

ومن خلال هذه الظروف السياسية التى مرت بها بعض المدن المغربية، والتى عرفت فيها الناس محنا صعبة، منها اكل الجيف والحيوانات المحرمة واشلاء الموتى. وهذا ناتج عن قلة الاقوات التي ادت بشكل لا يقبل الشك الى ارتفاع اسعار المواد الغذائية، وغيرها، واثرت بشكل وباخر على حركة البيع والشراء داخل الاسواق.

٢-الظروف الطبيعية :-

كان للظروف الطبيعية في بلاد المغرب اثر كبير في انعدام الاقوات وبالتالي زيادة الاسعار، وكانت هذه الظروف، قد تمخضت عنها ازمة حادة وقحط شديد في الزرع والضرع فمثلا الزلزال الذي اصاب

---

(١) العبر، ج٧، ص٩٥، ص٩٦، كما اكد هذا العدد من الموتى يحيى بن خلدون في بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج١، ص١٢٥.

(٢) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص١١٧. وانظر ابن الاحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص٢٠.

المغرب سنة (٤٧٢هـ - ١٠٨٠م) باضرار بالغة، يقول ابن ابي زرع[١] " وفي ربيع الاول منها أي (سنة ٤٧٢هـ / ١٠٨٠م)،/ كانت الزلزلة العظيمة التي لم يرى الناس بالمغرب مثلها هدت البنيان، ومات فيها خلق كثير تحت الردم، ووقعت الصوامع والمنارات".

كما اصاب مدينة طنجة سنة (٥٢٣هـ / ١١٣٧م) سيل عظيم، مات فيه خلق عظيم من الناس والدواب[٢].

وشكل الجراد خطرا كبيرا على المزروعات، حيث هاجمت فصائل الجراد مدينة اغمات في العصر الموحدي، وأتلفت العديد من المزروعات[٣].

وكان للجفاف اثرا كبيرا في انعدام الاوقات وارتفاع الاسعار، وقلة المعروض في الاسواق، ففي عهد المنصور الموحدي (٥٨٠ هـ - ٥٩٥هـ / ١١٧٦م - ١١٩١م)، ضرب الجفاف مدينة مراكش العاصمة، مما جعل الخليفة المذكور يبادر الى مطالبة الناس بالخروج للاستسقاء، وغالبا ما اعقب كل قحط مجاعة قصف بارواح الالوف من المستضعفين لعل اهمها تلك المجاعة التي حدثت في عهد الخليفة الرشيد الموحدي (٦٣٠ هـ - ٦٤٠ هـ / ١٢٣٣م - ١٢٤م)، واثرت في حركة الاسواق ونظرا للنتائج الوخيمة التي خلفتها على عامة الناس نثبتها بنصها كما اوردها لنا ابن عذاري[٤]، " لما توجه الرشيد في حركته المذكورة، وخرج امام الخلط من الحضرة تحير الناس وكثر فيهم

---

(١) الروض القرطاس، ص٢٠,١

(٢) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٩٦.

(٣) ابن الموقت، محمد: السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية (فاس، ١٣٣٦هـ)، ج١، ص٦٦.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٢٢٥.

الرهج وعظمت عليهم المصيبة باسلامهم وعدم الاقوات والمرافق، ولم يبق لاحد سيد ولا لبد ولا طارف ولا تالد ولا ذخيرة ولا مال ولا عقل، واستولت المجاعة على جمهور الناس ورأوا محنا يستعاذ بالله منها، وانتهى المد الواحد من القمح الى سبع دراهم كبار من الطبع... واما الدرهم من الفضة فكان يصرف بنصف درهم وكان هذا عرفا بين السوقة... واما اسواق المدينة... فلم يكن بها ما ينطق عليه اسم شيء بوجه من الوجوه والحوانيت مغلقة وما بقي بها ما يلبس ثوبا يساوي عشرة دراهم الا الاطمار المتغيرة الخلقة"، ويضيف نفس المؤرخ موضحا نتائج هذه المجاعة على قلة التغذية قائلا " اذا ظهر في السوق بعد ايام كثيرة شيء من خبز الشعير يعثر الناس عليه وانهم لقيام ينظرون. وما يصل اليه الا الكفاة الذين لهم التجلد على الاقتحام وصبر، ثم لا يعدم الذي يتوصل اليه ان يجتمع عليه العشرون واكثر من الضعفاء والمساكين حتى ينتزعو عنه قهرا، واما الشيخ او العجوز او الطفل او الضعيف فانه لا يصل الى شيء ولا على لقمة منه سائر الايام، انما يظهر في الاسواق ما يكرر طحنة من فيتور الزيتون وغيره فهو كان غذاء الناس لانه كثيرا بالبوادي الخالية فتجلبه الضعفاء ويقتاتون منه[1].وفضلا عن المجاعات، انتشرت الاوبئة والامراض في صفوف عامة الناس، ففي سنة(٥٧١ هـ/١١٧٦م)وسنة(٥٧٢هـ / ١١٧٧م)، ابتلت مدينة مراكش على عهد الموحدين بوباء الطاعون، فكان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه وموضعه في براءة ويجعلها في جيبه فان مات حمل الى موضعه واهله، وانتهى عدد الاموات بمراكش وحدها

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٢٢٥، ص٢٢٦.

الى الف وسبع مائة رجل[1]. ولشدة هذا الوباء، قال عنه ابن عذاري[2]، لم يعهد مثله فيما تقدم من الازمنة قبله " وحسب عدد الأموات فيه فوصل " في كل يوم مائة وستون شخصا او اكثر "[3].

كما اسهمت الفيضانات هي الاخرى، في اشتداد الغلاء في الاسعار فمثلا قبل وفاة علي بن يوسف(٥٠٠ هـ- ٥٣٧هـ / ١١٠٦م - ١١٤٣م)، دمرت الفيضانات مدن مغربية عديدة اهمها مدينة فاس وجزيرة مليله ومدينة طنجة، واشتد الغلاء حتى بلغ ثمن السطل من الشعير ثلاثة دنانير[4].

ونتيجة لهذه العوامل التي اشرنا اليها، حدثت مجاعات كثيرة في بلاد المغرب، وارتفعت اسعار البضائع والسلع ارتفاعا كبيرا نتيجة لذلك.

ففي سنة (٥٤٠هـ / ١١٤٥م) تعرضت مدينة طرابلس الافريقية الى مجاعة فضيعة وكانت الاحداث الناشئة عن هذه الكارثة مهدت للنورمان عملية احتلال المدينة، بعد ان تذعر الناس من فقدان المواد الغذائية وارتفاع اسعارها[5].

وفي سنة (٦٠٩هـ / ١١١٢م) وسنة (٦١٠ هـ / ١١١٣م)، تعرضت بلاد المغرب الى وباء عظيم، فهلك خلق عظيم[6].

---

(١) ابن الابار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق ابراهيم الايباري، نشر دار الكتاب اللبناني، الدار الافريقية المصرية (مصر، ١٩٨٣)، ص١٠٧. ص١٠٨. وانظر ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٦٧.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص١٣٦.

(٣) م، ن، ج٤، ص١٣٧.

(٤) م، ن، ج٤، ص٩٩.

(٥) اتوري، ليبيا منذ الفتح الاسلامي، ص٨٩.

(٦) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٧٢، الذخيرة السنية، ص٤٩.

وفي سنة (٦٧٩هـ / ١٢٧٩م)، اصبح القمح في بلاد افريقية فريكا ثم عدم في سنبله ولم يجمع منه شيء يذكر، فقلت الاقوات وارتفعت الاسعار نتيجة لذلك[١].

وفي سنة (٧٥٣هـ / ١٣٢٣م)، كان في بلاد المغرب القحط والحطب، حتى بيع الفحم بمدينة فاس درهمين للرطل الواحد، وفي هذه السنة احترق سوق العطارين بفاس ايضا[٢].

واصاب مدينة فاس قحط ومجاعة عامة سنة (٧٢٤ هـ / ١٣٥٤ م)، حيث اصبح ثمن المد الواحد من القمح خمسة عشر درهما[٣].

وفي سنة (٧٥٥هـ / ١٣٥٥م)، ارتفع سعر الطعام بمدينة تونس الى ان بلغ سعر القفيز من القمح احد عشر دينارا ذهبا، وبلغ سعر الشعير نصف ذلك[٤].

وفي سنة (٨٦٢هـ / ١٤٥٨م)، اصاب مدينة تونس غلاء في الطعام. حتى بلغ سعر القفيز من القمح اربعة دنانير ذهبا، والشعير على الشطر من ذلك[٥].

---

(١) الزركشي. تاريخ الدولتين. ص٤٥.

(٢) الاستقصا. ج٢. ص٨٨.

(٣) روض القرطاس، ص٢٩٤.

(٤) الزركشي. تاريخ الدولتين. ص٩٥؛ ابن ابي دينار. المونس. ص١٤٧. ويشير القلقشندي الى اسعار مدينة تونس فيذكر: ان كل قفيز قمح بخمسين درهما، والشعير دون ذلك. وسعر اللحم للظأن عندهم كل رطل بدرهم قديم، وفي الربيع ينحط السعر عندهم. ويقصد بهم القلقشندي، الحفصيون حكام تونس، انظر صبح الاعشى. ج٥، ص١١١.

(٥) الزركشي، تاريخ الدولتين: ص١٥٠، السراج، الحلل السندسية، ص١٠٨٨.

ويشير الغبريني[1]، انه في مدينة بجاية في المغرب الاوسط ، اصاب الناس قحط عظيم وقلت الاقوات والمياه، ووصل الزق* الى اربعة دراهم . ومن الجدير بالاشارة، اى ان العديد من المسؤولين في الحكومات المغربية اتخذوا بعض الاجراءات في سبيل الحد من ارتفاع الاسعار للمواد الضرورية لحياة السكان وخاصة من القمح والشعير.

ففي مدينة تونس عاصمة افريقية، اصيب الناس سنة (٨٦٢ هـ / ١٤٥٨م) بغلاء الاسعار، وشكا الناس من قلة الطعام المعروض وغلاءه الى السلطان الحفصي ابي عمر عثمان (٨٣٩هـ - ٨٩٣هـ / ١٤٣٥م - ١٤٨٨م). فأمر بان يخرج من المخزن او الاهداءات (وهو مطامير تحت الارض توضع فيها المواد الغذائية تحسبا للمجاعات العامة، نتيجة لظروف سياسية ام طبيعية يتعرض لها البلد)، فاخرج ابو عمر عثمان الحفصي كل يوم ما يصنع ستة الاف خبزة. وامر بان تفرق على الفقراء والمساكين من الناس. واستمر هذا الاجراء حتى رخصت الاسعار[2].

واتبع بعض الحكام المرينيين هذا الاسلوب في الحد من ارتفاع الاسعار، ففي مجاعة (٧٢٤ هـ / ١٣٢٢م) في مدينة فاس، اخرج ابو سعيد الاول (٧٠٦هـ - ٧٣١هـ / ١٣٠٣م - ١٢٧٣م) القمح من

---

(١) عنوان الدراية، ص١٤٩.

* الزق، يساوي رطلين، انظر، ابو عبيد، القاسم بن سلام، كتاب الاموال، مؤسسة ناصر للثقافة (بيروت، بلا) ص٢٠.

(٢) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٥٠، ص١٥١، السراج، الحلل السندسية، ص١٠٨٨.

مخازن الدولة، حتى صار يباع القمح باربعة دراهم للمد الواحد، بدلا من خمسة عشر درهما للمد الواحد من القمح[١].

٣-الاسعار السائدة في وقت الرخص :-

ان ما اشرنا اليه من الاسعار، يمثل نصف الصورة للاسعار السائدة آنذاك في بلاد المغرب، ولكي تكتمل لدينا الصورة، لابد لنا من معرفة اسعار بعض المواد الغذائية وغير الغذائية في ايام الرخاء والرخص.

ويبدو لنا ان كثرة المحاصيل في أي مدينة يعني حالة من الرخاء والرخص بالاسعار، فحدثنا الادريسي[٢]، عن جبل درن بقوله وفيه الجوز واللوز والسفرجل والرمان... كان يباع الحمل منهما بقيراط واحد . وكان الغالب على اسعار مدينة اغمات في العصر المرابطي، هو الرخص في كل شيء[٣]. وكان الرخص في مدينة سلا الغالب على المأكولات لكثرة وجودها[٤]. ومدينة فاس كانت رخيصة الاسعار في زمن الادريسي[٥]، وخاصة الحنطة، فيشير الى ذلك بقوله " والحنطة بها رخيصة جدا دون غيرها من البلاد القريبة منها"، حيث بلغ سعر ثلاثين خبزة بدرهم.

وتلمسان كانت خيراتها كثيرة ولحومها شحيحة وبالجملة انها حسنة لرخص اسعارها ونفاق اشغالها ومرابح تجارتها، ولم يكن في

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٩٢.
(٢) الادريسي، وصف، ص٤١.
(٣) م. ن. ص٤٣.
(٤) م. ن. ص٤٨.
(٥) م. ن. ص٥١.

بلاد المغرب بعد اغمات وفاس اكثر من اهلها اموالا..."[1]. وبلغ ثمن ثمانية صيعان من القمح في تلمسان ايام الرخاء دينارا واحدا، والشعير ستة عشر صاعا بدينار ايضا[2].

ويروى لنا الزياني عن احمد الشيخ القسطيني، بان مدينة مراكش، هي من اعظم مدن المغرب، وقد تعجب من رخص اسعارها على ايام المرابطين[3].

ويشير السلاوي[4]، الى ان الاسعار على عهد المرابطين، كانت رخيصة فيقوله " وكانت ايامهم ايام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وامن، تناهى القمح في ايامهم الى ان بيع اربعة اوسق بنصف مثقال، وبيعت الثمار ثمانية اوسق بنصف مثقال، والقطاني لا تباع ولا تشترى".

وفي سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، في عهد يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦هـ - ٦٨٥هـ / ١٢٥٨م - ١٢٨٦م) كان الرخاء المفرط بالمغرب، فكان يباع بمدينة فاس الرقيق الربع منه بدرهم، والقمح ستة دراهم للصفحة، والشعير ثلاثة دراهم للصفحة. اما القطاني، فلم يكن لها ثمن لكثرتها، والعسل ثلاثة ارطال بدرهم، واللوز الصاع بدرهم، والملح حمل بدرهم، ولحم بقر مائة اوقية بدرهم، ولحم الظأن سبعون اوقية بدرهم، والكبش بخمسة دراهم[5].

---

(١) ابن الزيات، التشوق الى رجال التصوف، ص١١٧.

(٢) ابن خلدون، بغية الرواد، ج١، ص١٢٥.

(٣) الزياني، الترجمانه الكبرى، ص٧٨.

(٤) الاستقصا، ج١، ص١٢٨.

(٥) السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص٤٣.

وفي مدينة دكالة بالمغرب الاقصى القريبة من اسفي، بلغ سعر قفة العنب بدرهم كبير، وهو ثلث الدرهم التونسي الجديد[١].

اما المواد الغير الغذائية، فقد كانت متفاوتة في السعر ايضا، فمثلا بلغ سعر جبة مستعملة ايام المرابطين في مراكش عشرة دنانير، وبلغ سعر كفن للميت ثلاثة دراهم وفي مدينة فاس بلغ سعر ثوب مستعمل عشر دراهم ايضا[٢].

وبلغ ثمن سرير مستعمل في مدينة مراكش ايام المرابطين والموحدين ستة عشر ونصف درهم[٣]. وبلغ ثمن دار في مدينة اغمات على ايام المرابطين والموحدين خمسمائة دينار[٤]، وبلغ كراء دار في اغمات ايضا على ايام الرخص عشرة دنانير في العام الواحد[٥].

وفي عهد المرينيين، بلغ سعر الدار في مدينة مراكش على ايام الرخص الف دينار من الذهب[٦]. وبلغ سعر ثوب في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي بمدينة فاس عشر دراهم[٧].

واخيرا لابد لنا من الاستشهاد بما نقله لنا الرحالة والجغرافيين العرب، حيث اتفقوا جميعا على حدوث رخاء اقتصادي في بلاد المغرب. تدل عليه وفرة المواد ورخص الاسعار، وقد اشار بهذا الرخاء كل من ابن فضل الله العمري في " مسالك الابصار " وابن الخطيب في " نفاضة

---

(١) ابن قنفذ. انس الفقير، ص٧١.

(٢) ابن الزيات. التشوف الى رجال التصوف، ص١٢٨، ص٣٢٠، ص٣٩٢.

(٣) م. ن، ص٢٢٢.

(٤) م. ن، ص١٣١.

(٥) م. ن، ص١٢٥.

(٦) الاستقصا، ج٢، ص٤٨.

(٧) ابن قنفذ. انس الفقير، ص١٤.

الجراب " و " معيار الاختيار " في مواضع عديدة من مؤلفاتهم، ونستشهد ببعضها، فابن الخطيب[١]، يشير كثيرا عن الرخاء المفرط بالمدن التي زارها، ومنها مدينة آنفا التي كان " كيلها وافر وسعرها عن وجه الرخاء سافر .

واشار العمري[٢]، الى رخص اسعار السكر في بلاد المغرب الى درجة " ان حمل من القصب يباع بثلاثة دراهم ".

وشاطر العمري وابن الخطيب، الرحالة ابن بطوطة، الذي اشار الرخاء في بلاد المغرب في فترة هذه الدراسة، حيث يرى ان بلاد المغرب، هي من احسن البلدان، وارخص البلاد اسعارا، واكثرها خيرات، وقارن اسعارها مع اسعار بلاد مصر والشام، حيث اشار الى ان اللحوم والاغنام في مصر تباع بحساب ثماني عشر اوقية بدرهم نقرة (والدرهم النقرة ستة دراهم من دراهم المغرب)، وبالمغرب يباع اللحم اذا غلا سعره ثماني عشر اوقية بدرهمين، وهما، ثلث النقرة، واما بلاد الشام، فالفاكهة بها كثيرة، الا انها ببلاد المغرب ارخص منها ثمنا، فان العنب يباع بها بحساب الرطل من ارطالهم بدرهم نقرة (ورطلهم ثلاثة ارطال مغربية)، ودرهم المغرب يساوي ثمانية " فلوس في بلاد الشام"[٣].

ومن هذه المقارنة بين اسعار السلع والبضائع في بلاد المغرب، واسعار في البلاد المجاورة، كمصر والشام، يظهر لنا انها كانت ارخص البلاد اسعارا واكثرها رفاهة، وذلك بسبب الازدهار الاقتصادي الذي شهدته البلاد في تلك الفترة التاريخية.

---

(١) نفاضة الجراب، ص٥١، معيار الاختيار، ص١٥٨.

(٢) مسالك الابصار، ص٢٩٩.

(٣) ابن بطوطة، ص ٥٧٩، ص٥٨٠.

الفصل الرابع

اشراف الدولة على الاسواق

بداية اشراف الدولة على الاسواق

يكتنف الغموض ظهور وظيفة الاشراف على الاسواق المغربية، وذلك بسبب قلة المعلومات التي تذكرها المصادر، ولكن يبدو، ان الخطة كانت من صلاحيات ولاة المغرب، ويؤكد ذلك نص اورده صاحب رياض النفوس[1] عندما قال " اول ما نظر سحنون في الاسواق " وانما كان ينظر فيها الولاة دون القضاة "، كما ان تنظيم الاسواق وفق التخصص، قد ارتبط بالوالي يزيد بن حاتم المهلبي (١٥٥هـ - ١٧١هـ / ٧٧٢م - ٧٧٨م)، سنة (١٥٥هـ / ٧٧٢م)، الذي عرف انه حسن السيرة. فقدم افريقية واصلحها ورتب اسواق القيروان، وجعل كل صناعة في مكانها"[2]. ومن هذا النص يبدو ان البذور الاولى لنظام الاشراف على الاسواق، او نظام الرقابة على التجار والصناع داخل الاسواق ترجع الى عصر الامراء المهالبة في افريقية (المغرب الادنى)، وخاصة في عهد الوالي يزيد بن حاتم، الذي استهل عهده بتنظيم اسواق القيروان، وخصص لكل صناعة سوقا على النمط الذي عرفته المدن العربية الاسلامية في المشرق كالكوفة والبصرة، حيث جعل المحلات صفا متصلا يقابله من الجهة الاخرى صفا اخر، وعين على كل صناعة عريفا من بين حذاق الصنعة. ويسمى امينا، ومهمته، اي العريف، ان يراقب سير العمل ويدافع عن حقوق الاجراء، ويحافظ على العلاقات الودية بين ارباب المهن والحرف، ويمنع الغش في الصنعة والاستبداد بالعمال

---

(١) المالكي، ج١، ص٣٧٥، ص٢٧٦، ص٢٧٧.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٨.

الحرفيين[١].وبذلك يمكن القول ان النظر في امور الاسواق كانت من اختصاصات ولاة المغرب، حيث كانوا يمارسون بانفسهم مهام المحتسبين وينتصبون للامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الاسواق والطرقات والمؤسسات العامة حفاظا على الذوق العام وعلى مصالح المجتمع من المسيئين[2].

ومع ذلك فان وظيفه الحسبة في بلاد المغرب لم تظهر ضمن الوظائف الادارية المستقلة الا في عهد الامارة الاغلبية.

اولاً ظهور وظيفة الحسبة في بلاد المغرب وتطورها حتى القرن ٥هـ/١١م.

عرفت وظيفة الحسبة في الاسلام، بانها الامر بالمعروف اذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله[٣]، ولم يلبث ان تطور هذا المفهوم في البيئة العربية الاسلامية، وتعدى الى واجبات عملية تتفق ومصالح السكان، وبالاخص في المدن الكبيرة، حيث يشكل ارباب الحرف والمهن، اغلب السكان، لذا لم تعد الحسبة مراقبة للسلوك والاخلاق. بل هي مراقبة مختلف الانشطة الاقتصادية في الحياة المدنية.

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٨. وانظر، البكري، المغرب، ص٢٥. موسى، لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الجزائر ١٩٧١، ص٣٩. وحسن حسني عبد الوهاب. ورقات من الحضارة العربية بافريقية، ج١، ص٥٨، ص٦٠.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ج١، ص١٠١.

(٣) الشيرزري، عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشر السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والنشر، (القاهرة، ١٩٤٦). ص٩، وانظر، ابن خلدون، المقدمة، ص١٥١.

لقد ادت الحسبة دورا مهما في الحياة الاقتصادية، واخذت تشكل جانبا اساسيا من جوانب الاشراف الحكومي على مختلف اوجه الانشطة المهنية والحرفية في داخل الاسواق، من حيث تفقد عيار الاوزان والمكاييل، ومنع قيام الاحتكار والغلاء، ومراقبة الغش والتدليس في المعاملات ومنع تعاطي الربا في العمليات المالية، فضلا عن الاشراف على البضائع المختلفة، "ويلازم المحتسب الاسواق في كل وقت ويكشف الحوانيت والطرقات، ويصحب معه امينا عارفا ذا ثقة يعتمد على قوله، واذا رأى من يحتكر صنفا الزمه بيعه"[1]، وعادة يتخذ المحتسب له دكة بالسوق يراقب من خلالها العاملين فيه، فعلى سبيل المثال، كان للمحتسب بمدينة فاس دكة في سوق العطارين[2]، ولمحتسب مدينة تونس دكة في سوق العطارين ايضا[3].

وفي بلاد المغرب انيطت مهمة ادارة الاسواق من قبل الجهاز الحكومي الى شخص يعرف بالمحتسب، كما هو الحال بالمشرق الاسلامي، حيث لم يترك التعامل يسير وفق مصالح اهل السوق، بل نظمت تحت رقابة الدولة تنظيما دقيقا.

وسوف نتناول الجذور التاريخية لنشأة نظام الرقابة على الاسواق في بلاد المغرب قبل فترة دراستنا، ليتسنى لنا معرفة التطور التاريخي لنشأة هذا النظام.

---

(١) ابن الاخوة، محمد بن محمد بن احمد القريشي، معالم القربة في احكام الحسبة، تحقيق، محمد محمود شعبان، وصديق احمد عيسى (مصر، ١٩٧٦)، ص٣٢٠.

(٢) المنوني، ورقات، ص١٠١.

(٣) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٣٥.

فبعد قيام الامارة الاغلبية في افريقية، استمر بعض الامراء او من ينوب عنهم يمارسون وظيفة الحسبة بانفسهم، ولدينا بعض الشواهد في هذا المجال، ففي اشارة لابن عذاري[1]، عن الامير ابي عقال (٢٢٣هـ - ٢٢٦هـ / ٨٣٧م - ٨٤٠م)، يذكر فيها انه حينما ولي الامارة سنة (٢٢٣هـ / ٨٣٧م)، امن الناس واحسن اليهم والى الجند، وغير احداثا كثيرة كانت قبله، واجرى على العمال ارزاقا واسعة وصلات جزلة وقبض ايديهم عن الرعية وقطع النبيذ من القيروان وعاقب على بيعه وشربه. اذن فأبو عقال قام بتغيير المنكر وازالة اسباب الشكوى من الناس.

وكان الامراء الاغالبة يعهدون امر الاشراف على الاسواق في كثير من الاحيان الى مساعديهم من القضاة واعوانهم ويفوضوا لهم النظر في الولاة والجباة والحدود والقصاص والعزل والولاية، والامر بقطع المنكر، في جمع مدن ولايتهم، وخاصة مدينة القيروان[2].

وهكذا بقي امر الاشراف على شؤون الحسبة للامراء او لمن ينوب عنهم من العمال او القضاء، حتى ولي محمد بن الاغلب (٢٢٦هـ -٢٤٢هـ / ٨٤٠ هـ -٨٥٦م) سحنونا القضاة في ولاية افريقية سنة (٢٣٤هـ / ٨٤٦م)، واعطاه كل السلطات التي تخوله الحكم حتى فيما يخص بعمل الامير[3].

ولما استلم سحنون مهمته الجديدة باشر بشؤون القضاة والحسبة معا، " فاجتمع في شخصه"، وكان منصب القضاة من قبله لمن

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٠٧.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٣٨١.

(٣) المالكي، رياض النفوس ، ج١، ص٢٧٢، ص٢٧٣.

يعينهم الامراء من القضاء والحسبة من اختصاص الولاة وحدهم، وذلك حينما قام بفصلها من منصب القضاة وافرادها بولاة وعمال مستقلين سماهم المحتسبين او امناء الاسواق، والدليل على هذا ما اشار اليه المالكي بقوله " كان يجعل الامناء على ذلك "[1].

اما اهم ما قام به سحنون فيما يتعلق بالاسواق، فانه نظر في انواع المعاش وما يغش من السلع، وادب على الغش بالنفي من الاسواق، وكان بحق اول قضاة افريقية الذين نظروا في الحسبة وشؤون الاسواق. ونصب الامناء على الاسواق ليراقبوا سير الحياة التجارية وانواع السلع وتصرفات التجار، وامرهم بتغيير المنكر[2]. وقد كان هؤلاء الامناء يساعدون القضاة في صميم عملهم الرئيسي الا وهو القضاة ويبرز ذلك بوضوح في عهد القاضي سليمان بن عمران حينما نظر في احدى القضايا، وقبل اصدار الحكم فيها طلب من غلامه بشران ان يذهب الى صاحب احدى الاسواق ليطلب منه مساعدة القاضي في تنفيذ الحكم من الاحكام وذلك ما اشار اليه الخشني بقوله ثم قال لغلامه يابشر اذهب الى صاحب سوق الجمال وقل له، كي يبعث باربعة اجمال حتى اطوف عليها رجالا شهدوا عندي بالزور "[3].

ومن الجدير بالاشارة ان سحنونا عندما تولى القضاة في افريقية، احدثت ولاية المظالم، وعين لها حبيب بن نصر التميمي، وهو اول صاحب مظالم في القيروان، وذلك سنة (٢٣٦هـ / ٨٥٠م)، وحدد

(١) المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٢٧٦. لقبال موسى. الحسبة الذهبية. ص٤٢، ص٤٣.

(٢) م. ن. ج١، ص٢٧٩، ص٢٨٢. م. ن ن ص٤٣، ص٤٤.

(٣) علماء افريقيا والمغرب، ص١٨٢.

له وظيفته بالحكم بين الناس فيما يحدث لهم في السوق، وجعل له النظر مدنيا ليبلغ عشرين دينارا[١]. فصاحب السوق في هذا التنظيم، وهو والي المظالم.

ولما ولي عيسى بن مسكين القضاة بافريقية، عين ابا الربيع سليمان بن سالم واليا للمظالم واذن له ان ينظر في مائة دينار[٢]. كما ان عيسى بن مسكين عين شخصا اخر، اسمه محمد بن محمد الطرزي للمنصب نفسه، لذلك يعرف ابن ناجي المظالم، بانها احكام السوق : ، حيث ينقل عن ابي العرب، بان عيسى بن مسكين قد ولي اسواء القيروان الطرزي، ويؤكد ابن ناجي، بان الطرزي لم يل اسواق القيروان اضبط منه[٣].

اذن فولاية المظالم هذه التي احدثها سحنون، كان امر تسميتها راجعه للقاضي المحتسب ونلاحظ، ان السنة التي احدثت فيها ولاية المظالم هى نفس السنة التي عين فيها المحتسبين او ولاة المظالم اعلاه.

وعلى أي حال، فان صاحب السوق في نظر سحنون هو والي المظالم، لذلك نرى ان يحيى بن عمر عندنا وضع كتابه احكام السوق[٤]،كان مشتملا على موضوعات خارجة عن نطاق الاسواق،

---

(١) الدباغ، معالم الايمان، ج٢، ص١٩٨، ص١٩٩، ابو العرب، طبقات، ج١، ص٤٣.

(٢) الدباغ ، ج٢، ص٢٠٧، ابو العرب، طبقات، ج١، ص١٥١.

(٣) معالم القيروان، ج٣، ص٧، ابو العرب، طبقات، ج١، ص١٥٢.

(٤) انظر، كتاب احكام السوق، ليحيى بن عمر في المعيار للونشريشي، ج٦، (طبعة، ١٩٨١)، ص١٠٦.

ومندرجة في شؤون ولاية المظالم، وهو أول تأليف ظهر في العالم الاسلامي يبحث في شؤون الاسواق وينزل الاحكام الفقهية عليها.

ونرى في بعض الاحيان، ان وظيفة المحتسب لا تقترب فقط من ولاية المظالم وتتدرج ضمن مهامها فحسب، بل كانت سلطات المحتسب متداخلة مع ولاية الشرطة ايضا، لذلك نرى بان هناك بعض المحتسبة، قد جمع بين الحسبة والشرطة، فعبد عبد المنعم محمد الخزرجي، ولي القضاة بعدة من وجمع له النظر في الحسبة و الشرطة(١).

وظهر الاهتمام بوظيفة الحسبة في اقاليم المغرب الاخرى، حيث الامارات المعاصرة للاغالبة، فالمغرب الاوسط، حيث الامارة الرستمية التي يتركز محور الدولة فيها على قواعد الكتاب والسنة حسب اجتهاد المذهب الاباضي تحت اشراف رئيسها الاعلى الملقب بالامام. اذ لا خلافة وراثية عندهم، والامام يتعين في منصبه هذا بالانتخاب والكفاءة. او العهد اليه من سلفه، وله مستشارون ومحتسبون وامناء على الاسواق وفي بيوت الاموال، وتشير المصادر ان هذه الخطة كانت معروفة منذ بداية حكم الاباضية في بلاد المغرب. قال ابن الصغير (٢) لقد حدثني غير واحد انه كان للعجم مقدم يقال له ابن ورد، قد ابتنى سوقا يعرف به فكان صاحب الشرطة افلح بن عبد الوهاب اذا تخلل بالمدينة لم يجسر ان يدخل سوق ابن ورده ولا يتخلله هيبة منه. كما ان منطقة جبل نفوسة كانت تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الاموال وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق(٣).

---

(١) يحيى بن عمر، احكام السوق مع المعيار، ٦، ص٤١٢.

(٢) ابن الصغير، اخبار الائمة الرستميين، ص٦٨، ص٧٣.

(٣) م. ن، ص٦٩، ص٧٤.

ويبدو لنا من خلال روايات ابن الصغير هذه، ان صاحب الشرطة كانت له صلاحيات واسعة داخل الاسواق، ولربما كانت من مهماته الاساسية مراقبة السوق ومتطلباته العامة، اما عبارته الثانية حول نفوسه، فيبدو لنا ان منطقة نفوسه هي المنطقة التي كانت تستخدم فيها عملية الاحتساب، او مراقبة الاسواق في عهد افلح بن عبد الوهاب، او هي من خلال مشايخها تحدد المحتسب وصلاحياته.

وعندما رجع ابو اليقضان بن افلح (٢٦١هـ-٢٨١هـ / ٧٨٤م-٨٩٤م)، من المشرق لم ينكر على اخيه ابي بكر بن افلح (٢٥٨هـ - ٢٦١هـ / ٨٧١م - ٧٨٤م) شيئا ولا ادعى امارة، بل ظهر القيام له والحسبة بين يديه، وكان ابو بكر يحب الذات ويميل الى الشهوات. فصرف النظر في المدينة واحوازها الى اخيه ابي اليقضان[1].وهذا يعني ان الحسبة كانت معروفة عند الرستميين قبل الامام ابي بكر، وربما كان يتولاها الامام بنفسه او من ينوب عنه.

ويبدو لنا ان ابا اليقضان طبق نظام الحسبة المتعارف عليه في المشرق من خلال تواجده في دولة بني العباس، حتى انه لم نسمع من المصادر المتوفرة لفظة محتسب الا في البلاد الرستمية، عكس ما لمسناه من التسميات المتداولة كالامين وصاحب المظالم وصاحب السوق وغيرها من الصفات[2] .

---

(١) ابن الصغير، اخبار الائمة، ص٨٨.

(٢) يشير الاستاذ لقبال موسى، بان الحسبة في عهد الستميين كانت تعرف باسم المشرف على السوق ويعزو هذه الكلمة لابن الصغير، ويقول بانها كثيرا ما ترد في تاريخه، والحقيقة، لم نجد لها ذكرا اطلاقا عند ابن الصغير، بل وجدنا كلمة الحسبة او الاحتساب كثيرا ما ترد عند ابن الصغير، انظر، الحسبة الذهبية، ص٣٣.

وقام ابو اليقضان بهذه المهمة احسن قيام، فكان يركب دابته ويطوف في المدينة حتى اقصاها، يحكم في الامر الضروري، ويأمرهم اذا حدث حادث ان يوافوه داره، فلاذا احكم جميع ذلك انصرف الى داره، فاذا كان بالغداة غدا الى باب اخيه والحسبة بين يديه[1]. ويبدوا ان لابي اليقضان طنعتان احدهما في الصباح والاخرى في المساء، وهذا يدل على مدى اهتمامه بامر السوق ومتطلباته، بحيث لا يترك اصحاب السوق يسيرون وفق هواهم.

وعندما دخل ابو اليقضان مدينة تاهرت امر قوما من نفوسه يمشون في الاسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. فالوا فان رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه[2]، ويبدو ان اهل نفوسه اختصوا بمراقبة الاسواق. لان قبيلة نفوسه حسبما يذكر ابن الصغير هي التي اقامته في دينها وتحليلها وتحريمها[3]. ولعله يريد هنا ان يعبر عن مدى طاعة اهل نفوسه للامام ابي اليقضان لا غير بحيث انهم افتتنوا له وامنوا به، وهو كذلك، بحيث جعل بعضهم عند ذهابه الى مدينة تاهرت قوما في الاسواق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. ولربما وجد فيهم الكثير من عمق ايمانهم . وفي اشارة للباحث بحاز ابراهيم، يوضح فيها، ان سبب قيام ابي اليقضان على نظام الحسبة في تاهرت تعود الى فتنة ابن عرفه وما خلفه من فساد، فضلا عن ذلك سعة مدينة

---

(١) ابن الصغير. اخبار الائمة الرستميين. ص٨٨.

(٢) ابن الصغير، اخبار الائمة الرستميين. ص٨٩.

(٣) مثلما قامت النصارى عيسى بن مريم، ابن الصغير، ص٨٨، ولا نعرف اوجه التشبه بين الامام ابي اليقضان واهل نفوسه. وبين عيسى بن مريم وانصارد من النصارى، فهذا تشبيه غامض نوعا ما، ولكنه يعبر كما اشرنا الى مدى طاعة اهل نفوسة للامام ابي اليقضان.

تاهرت وتعدد اسواقها، بحيث جعل الامام يعهد امر مراقبتها الى مجموعة من الاشخاص من اهل جبل نفوسة[١].

والشيء الملفت في رأى بحاز هذا، هو، هل تعيين عدة محتسبين في آن واحد وهل كثرة الاسواق في مدينة ما تتطلب تعيين اكثر من محتسب. ان الشيء الذي نفهمه من نص ابن الصغير، ان ابا اليقضان لم يعين محتسبا بالمعنى المتعارف عليه وانما اكتفى بتعين امناء او عرفاء للاسواق، على الرغم من عدم التصريح بهذه العبارات جهارا عند ابن الصغير. اما وظيفة الحسبة فلم يعين لها الامام شحصا معينا، بل كان هو نفسه محتسبا، والدليل على ذلك، اننا لم نعثر على اسم محتسب في الدولة الرستمية، الا اشارة الشماخي[٢]، التي يذكر فيها ان نفوسي يدعى ابو يوسف، كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في اسواق مدينة جادا في جبل نفوسه، وهذا دليل على ان المحتسبين لم يكن يقتصروا على مدينة تاهرت فقط، بل في بعض اسواق الدولة الرستمية الاخرى.

وعلى أي حال، فان الاستاذ لقبال موسى، يرى ان مجتمعا مثل مجتمع الاباضية انذاك لابد ان يحرص افراده على قضية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة العادات السيئة، وبالتالي مراقبة الاسواق والمعاملات المالية والتجارية القائمة فيها[٣].

---

(١) بحاز ابراهيم، الدولة الرستمية، ص٢٧٠.

(٢) الشماخي، ابو العباس احمد بن سعيد، كتاب السير، طبعة حجرية، قسنطينة، (الجزائر، ١٣٠١هـ)، ص٢٣٣، ص٢٣٤.

(٣) لقبال موسى، الحسبة المذهبية، ص١٦.

ولم تمدنا المصادر، بأي نوع من المعلومات عن خطة الحسبة عند الادارسة في اقليم المغرب الاقصى، ويجزم الفاسي[1]، بقوله، انه من المؤكد هناك نوعا من الرقابة على الاسواق في مدن المغرب الاقصى، لكن المعلومات لم تصل الينا مع الاسف.

كما ان محمود اسماعيل[2]، يشير الى ان وظيفة الحسبة كانت معروفة على عهد امارة الادارسة، وخاصة في طورها الاول، أي عصر الازدهار، ولكنها فقدت اهميتها، وفقد المحستب صلاحياته في الاشراف على الاسواق في طور انهيار الامارة الادريسية. ولم تصلنا الا بعض الاخبار القليلة عن نظام الحسبة عند الفاطميين في بلاد المغرب فقلما ترد كلمة محتسب بحكم منصبه، وذلك راجع ان الحسبة كانت مجرد فرع من القضاء وان القاضي هو نفسه المحتسب. الا ان هناك اشارة من الخشني[3]، يذكر فيها اسم الخلاسي (كذا) كاول محتسب في الدولة الفاطمية الذي عذب على يد القاضي المروزي. وهذا يعني ان خطة الحسبة في الدولة الفاطمية كانت منفصلة عن القضاة حسب اشارة الخشني هذه، الا انه في اغلب الاحيان، كانت الحسبة في العهد الفاطمي في عموم ولاية صاحب الشرطة[4]. ويشير الفاسي[5]، الى ان المحتسبين

---

(١) الفاسي، خطة الحسبة، ص٨٠.

(٢) محمود اسماعيل عبد الرزاق، الادايسة في المغرب الاقصى: حقائق جديدة، مكتبة الفلاح للنشر ،(الكويت، ١٩٨٩)، ص٩٣.

(٣) الخشني، علماء طبقات افريقية و المغرب، ص٢٣٠.

(٤) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ١٩٥٨)، ص٣٢٤.

(٥) حسن ابراهيم، ص٥٧. وفي اشارة للعلامة حسن حسني، يذكر فيها ان من اشهر المحتسبين في العصر الفاطمي في بلاد المغرب، هو ابو -

الفاطميين في بلاد المغرب ذو اختصاص واسع في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كان المحتسب يركز في رفع المنكر على محاربة المذاهب الاخرى، واجتذاب اتباع وانصار لمذهب الدولة، ومن ثم اتسعت سلطته حتى كانت ولاية الشرطة تحت اوامره، وكان يخلع عليه عند التعيين، وكان له نواب يطوفون في الاسواق، وبذلك اشبه موكبهم في الطواف بالمدينة، تلك الصورة الاندلسية التي توحي بالرهبة واتساع النفوذ، وحزامة الخطة على مستوى عظمة الدولة.

ومما يؤكد على وجود خطة احتسابه في العهد الفاطمي في بلاد المغرب. هو ان ابا عبد الله الشيعي، داعي الدعاة للفاطميين، كان اصله من الكوفة في العراق، وكان محتسبا في سوق الغزل في مدينة البصرة العراقية[1]. كما ان ابا عبيد الله المهدي (٢٩٦هـ - ٣٢٢هـ / ٩٠٨م - ٩٣٤م)، كان يكلف ولده وولي عهده ابنه القائم ابو القاسم محمد (٣٢٢هـ - ٣٣٤هـ / ٩٣٤م - ٩٤٦م)، لمراقبة الاسعار وارتفاعها وعملية البيع والشراء[2]. فضلا عن ذلك. ان الفاطميين حينما انتقلوا

= القاسم الطرزي. حيث ولى الحسبة في القيروان. ولكن الشيء الذي نعرفة عن الطرزي بانه ولى النظر في ولاية المظالم في عهد القاضي عيسى بن مسكين في عهد الامارة الاغلبية كما اشرنا الى ذلك. انظر حسن حسني، ورقات من الحضارة العربية، ج١، ص٥٨، ص٦٠، وانظر عن الطرزي، الدباغ، معالم الايمان، ج٣، ص١٠. ولكن ربما يكون رأي العلامة حسن حسني صحيحا خاصة اذا ما عرفنا بان الطرزي توفي سنة ٣١٧هـ / ٨٣١ هـ، أي في عهد الدولة الفاطمية، ولكنه لم يشير الى مصدر هذه المعلومة.

(١) ابن حماد، اخبار الملوك بني عبيد وسيرتهم، ص١٩. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص٥٩.

(٢) م، ن، ص٢٥.

الى مصر باشروا بتعيين بعض الاشخاص في هذه الوظيفة ومنهم بعض المغاربة الذين رحلوا معهم، ومن اشهرهم سليمان بن عزة المغربي[1]. وهذا دليل على ان الفاطميين في بلاد المغرب عرفوا نظام الحسبة في كل الاحوال، ولكن المصادر لم تسعفنا بالمعلومات الكافية عن تلك الوظيفة.

ثانيا :- (الحسبة في بلاد المغرب ما بين ق٥هـ /١١م) الى (ق ٩ هـ / ١٥ م) .

ما بين (ق ٥هـ / ١١م الى ق ٩ هـ / ١٥م) حصل تبلور واضح في وظيفة الحسبة، وظهرت بعض المؤلفات الخاصة بهذه الوظيفة في العالم الاسلامي، ولكن الشيء الملفت للنظر، ان اغلب المصادر التاريخية في هذه الفترة اغفلت ذكر وظيفة الحسبة في بلاد المغرب، الا في اشارات غالبا ما ترد عرضية، كذكر اسماء بعض المحتسبين، من دون التعرف على اختصاص هذه الوظيفة. وان اغلب المحدثين الذين كتبوا عن الحسبة في بلاد المغرب لم يفحصوا لنا عن المعالم الرئيسية لهذا الجهاز التنظيمي، وخاصة الاستاذين لقبال موسى في كتابه " الحسبة في بلاد المغرب " وعبد الرحمن الفاسي في كتابه " خطة الحسبة "، على الرغم من اعتمادنا عليهما في الكثير من الاحيان، ويبدوا ان السبب في ذلك، يعود الى عدم وصول مؤلفات اصيلة عن وظيفة الحسبة في فترة هذه الدراسة في بيئات المغرب، اللهم الا كتاب

---

(١) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، شذور العقود في ذكر النقود. النجف، ١٩٦٧، ص١٣٢. واتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين، الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، (القاهرة، ١٩٤٨)، ص١٦٦، ص١٧٢.

واحد، هو كتاب العقباني " تحفة الناظر"، من اهالي مدينة تلسمان، واغلب موضوعات هذا الكتاب هي معلومات عامة عن الحسبة.

١-الحسبة في عهد المرابطين :

يشير المستشرق هوبكنز[١]، ان ثمة مؤلفين عن الحسبه يعودان الى فترة حكم المرابطين واوائل حكم الموحدين، وهما كتاب السقطي المالقي، وابن عبدون، علما ان كليهما اندلسيان، ويضيف هوبكنز بتعصب الى ان المرابطين هم جماعات رحل من الصحراء وهم اميين لا يعرفون تطبيق العرف الادارية، لذلك ليس من المحتمل لاي امير او خليفة منه، اقامة نظام ادارة في ممتلكاته على غرار ما هو موجود من نظام للحسبه في بلاد الاندلس، لان تطبيق ذلك، كان يتطلب سنوات طويلة، وليس ثمة دليل انه كان لديهما اية سياسة مرسومة على هذا الموضوع.

ان هوبكنز لم يكن منصفا للمرابطين حيث اعتبرهم مجرد قبائل رحل من الصحراء، وقاطعي طرق، ولم يفهموا بالاعراف الادارية الا ان المعروف عن المرابطين انهم قبائل من صنهاجة الصحراء، استطاعوا بفضل الفقيه عبد الله بن ياسين مؤسس الحركة، من الانبثاق الاقتصادي والسياسي. وترك صحراءهم والقدوم الى المغرب الاقصى وتأسيس الدولة المرابطية التي وصلت درجة الامبراطورية، وهي اول دولة مغربية توحد مناطق واسعة تحت سيطرتها وشملت المغرب الاقصى، وبعض مناطق المغرب الاوسط، والصحراء الغربية، وافريقيا الغربية

---

(١) هوبكنز، ج، ف، ب، النظم الاسلامية في المغرب في العصور الوسطى، نقله الى العربية امين توفيق المطلبي، الدار العربية للكتاب (تونس، ١٩٨٠)، ص٢٢٩، ص٢٣١.

والاندلس تحت سلطة دولة عربية مسلمة. يضاف الى ذلك ان دولة المرابطين قامت بمساعدة الفقهاء بل كانت تدار بسواعدهم، وهذا يوحي، بان نظامهم لم يكن يخلوا من منصب الحسبه، غير انهم بطبيعتهم اصحاب تقشف، فلجأوا الى الغاف في مناصبهم الادارية، واكتفوا بالقاضي المحتسب. ان عدم وصول معلومات تخص الحسبة في عهد المرابطين، يمكن ان يؤدي الى ضياع الكثير من المؤلفات التي تخص تاريخهم بفعل اعدائهم الموحدين(١).

ان القاضي حسب قول الفاسي ولقبال، هو الذي كان يمارس مهمة الحسبة فى الاسواق، الا اننا وجدنا ان داعية المرابطين عبد الله بن ياسين، حين، وصوله الى مدينة سجلماسة غير ما فيها من منكرات، وقطع المزامير واحرق المتاجر التي تباع فيها الخمر(٢). وقضى على مظاهر الجور والتعسف التي سلطها حكام مغراوة من زناته على السكان(٣). وهذا العمل يعطينا فكرة عن الاسس التي سارت عليها دولة المرابطين فى قضية الحسبة، فقد مارسها مؤسس حركتهم وفقيههم عبد الله بن ياسين بنفسه.

ومن الجدير بالاشارة الى ان كثيرا من مدن المغرب الاقصى، كانت تعج بالنشاط الاقتصادي ايام المرابطين، كمدينة سجلماسة، المحطة الهامة للقوافل التجارية الصحراوية فانها، بلا ريب عرفت نظام المراقبة على الاسواق ومحاربة الغش وانواع المخالفات الاخرى وكذلك مدينة

(١) الفاسي. خطة الحسبة. ص٨٤. وانظر. لقبال موسى. الحسبة المذهبية، ص٤٩.

(٢) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص٨١.

(٣) السلاوي. الاستقصا. ج١، ص١٠٢، وانظر. ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٨١.

فاس ومراكش وسبته وطنجه واغمات وتلمسان وغيرها، فضلا عن ذلك، ان المرابطين مارسوا هذه الخطة على نطاق واسع في بلاد الاندلس، فليس من المعقول على رأي لقبال موسى[1]، ان تترك هذه الخطة في بلاد المغرب، حيث كان هذا النظام يمارس في بلاد الاندلس على اشده، لان المحتسب كان يقوم بجولات تفتيشية في داخل اسواق المدن ويراقب سعر اللحم وبعض المواد الغذائية، حيث اجهر البائع على ان يكتب ورقة بالسعر على كل مادة معروضة للبيع، والويل لمن اهمل التسعير او تلاعب في وزن الخبز مثلا،فكان يعاقب بالنفي من السوق او التشهير به امام جمهور الناس[2]. فاذا كان هذ حال الاندلس، فما بال حال مركز حكمهم، لاشك انه كان اكثر صرامة ودراية، ولكن المصادر المتوفرة بين ايدينا لم تسعفنا بمعلومات عن ذلك.

وعلى الرغم من كل هذا، يمكن القول، ان خطة الحسبة في عصر المرابطين، اوكلت الى شخص يعرف بصاحب السوق، وكان القاضي يولي محتسب السوق، ويشرف هذا الاخير على السوق، والتعامل داخله، وعلى سلامة السلع، والراجح ان المحتسبين على السوق واعوانهم في العصر المرابطي، لم يقوموا بواجباتهم كما ينبغي، اذ تكشف نوازل الفترة، على انتشار الغش داخل الاسواق[3]. ويبدو ان المحتسبين في العصر المرابطي ترك العمل لاعوانهم ولم يراقبوهم، ولهذا يشدد السقطي على وجوب القيام المحتسب في العمل بنفسه،

---

(١) الحسبة المذهبية، في بلاد المغرب، ص٣٥.

(٢) م، ن، ص٣٥، ٣٦.

(٣) المعيار، ج١، ص٢٤٣ : ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص٤١ – ص٤٢.

وعدم ترك ذلك لاعوانه[1]. بينما نرى العكس في عصر الموحدين، حيث ان اعوان المحتسب، والذي يطلق عليهم بالامناء لم يتركوا يتصرفوا وفق مصالحهم، بل تشير المصادر ان المنصور الموحدي(٥٥٨هـ - ٥٨٠هـ / ١١٦٣م - ١١٨٤م) كان يراقبهم ويجتمع فيهم مرتين في كل شهر[2]. ومن الخطط التي نذكرها كتب التراجم في ايام المرابطين هي خطة الاشراف على المدن، وينسبونها الى المحتسب، فقد ذكر ابن خاقان[3]، ان ابن ابي الخصال، كتب الى الوزير ابي بكر بن رحيم يهنئه بولاية خطة الاشراف وذلك في شوال من عام (٥١٥هـ / ١١٢١م)، ويبدو ان صاحب هذه الخطة كان يعين من قبل امير المسلمين مباشرة. وهو بمثابة المسؤول الاول عن كل ما يحدث في المدينة. واتصاله مباشرة مع الامير. وهذا ما يفهم من رسالة ابن ابي الخصال الى صديقه الوزير الذي تولى هذه الخطة. ويعتقد الدكتور سلامة، ان هذه الخطة، تعني خطة الحسبة بل ويضعها ضمن اشراف وواجهات المحتسب[4].

٢-الحسبة في عهد الموحدين .-

ان نظام الحسبة في عهد الموحدين، كان اكثر وضوحا من العصر المرابطي، حيث عثرنا في المصادر على اسماء بعض المحتسبين. الا ان هذه المصادر، لا تشير بصراحة الى وجود خطة الحسبة، على الرغم من ان الدولة في تكوينها قامت على مبدا الامر بالمعروف والنهي

---

(١) السقطي، رسالة في الحسبة، ص٩، ص١٠، ص١٢، ص١٣، ص١٤، ص١٦، ص٢٦، ص٤١.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢٨٥، حركات المغرب عبر التاريخ، ج١، ص٣٣٩.

(٣) ابن خاقان، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله الاشبيلي، قلائد العقيان في محاسن الاعيان،(تونس، ١٩٦٦)، ص٢٠٥.

(٤) دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص٢٧٤، ص٢٧٧.

عن المنكر، وكان تغير المنكر هذا حجر الاساس للصرح الديني الذي شيده القائم بأمر الموحدين، حيث مارس مهام الحسبة بنفسه خلال رحلة العودة الى المغرب الاقصى، فقام باحراق الدكاكين التي يتواجد فيها الخمر، وخاصة في مدينة ملاله كما اشار البيذق[1] الى ذلك بقوله " فلما كان في بعض الايام دخل المدينة حتى وصل باب البحر، فاحرق بها الخمر، فقال المؤمن تمار والكافر خمار... وقالوا له من امرك بالحسبة. فقال : الله ورسوله ثم رجع الى المسجد..."، كذلك هاجم تلاميذ المهدي اثناء دخوله مدينة فاس واستقراره بها بعض الوقت، حوانيت اللهو والطرب[2].

كان المحتسب في العصر الموحدي يتولى وظيفة الحسبة نيابة عن القاضي. لان الخطتين كانتا متداولتين بين القضاء والحسبة، فقد وجد من القضاء من زاول اعمال الحسبة، مثل القاضي علي بن سليمان، حينما احترقت اسواق مدينة فاس سنة (٥٣٩هـ / ١١٤٢م)، ونصبت بعض المحلات. فقام بالتشديد على اهل الريب، حتى اخذ منهم ما سرقوه من السلع والبضائع من داخل السوق وكثير من المتاع[3].

وفي اشارة الى ابن الزيات[4]، ان قاضي مدينة مراكش ابا يوسف حجاج بن يوسف استدعى احد الصالحين من مدينة فاس، وهو عبد الملك بن مروان اللمتوني (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) ليوليه وظيفة الحسبة في مدينة مراكش وذلك سنة (٥٦٠ هـ / ١١٦٤م).

---

(١) البيذق، اخبار المهدي بن تومرت، ص٥٣.

(٢) م، ن، ص٦٤، ص٦٥.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ج٦، ص٢٤٦.

(٤) التشوق الى رجال التصوف، ص٢٢٣.

ومما تجدر الاشارة اليه، ان ولاية الحسبة لم تكن طوعية في عصر الموحدين وانما اجبر بعض الاشخاص على ولايتها، ومنهم ابو يعقوب يوسف بن علي الذي اكره على ولاية الحسبة في بلدة داى بالمغرب الاقصى، فدخل محل اهله وهو يبكي ويقول " لو اراد الله بي خيرا ما عرفني احد " فبقى في منصبه الى ان اعفي من تلك الولاية[1].

وفي ترجمة الفقيه ميمون الخطابي من اهل مدينة فاس (ت ٦٢٧ هـ / ١٢٣٠م) انه كان على حسبة الطعام بمدينة مراكش في العصر الموحدي. وأن اصطلاح حسبة الطعام لم ترد حتى في المؤلفات الاندلسية، مما يدل على انه لم يكن محتسبا بالمعنى الفقهي المعروف باختصاصاته كلها، وانما مهمته مقصورة على الطعام فقط[2]. الا اننا نجد في اشارة من القلقشندي[3] يذكر فيها الى ان هناك محتسبا كان يدعى بصاحب الطعام بالعصر الموحدي. واعتقد ان مهام المنصب هذا كانت مقتصرة على اعداد الطعام في قصور الامراء والخلفاء. والتي يطلق عليه في كثير من الاحيان بالاستادار[4].

ويرى الفاسي[5]. ان بعض المورخين، فهموا ان الحسبة كانت بمكانه مرموقة عند الموحدين معتمدين في ذلك على ان دعوتهم قامت على الامر بالمرعوف والنهي عن المنكر، فضلا عن ذلك، ان البيذق[6]. قد ادرج كلمة المحتسبين في باب تمييز الموحدين على يد الامام المهدي

---

(١) التشوق الى رجال التصوف ، ص١٤٦، ص١٤٧.
(٢) انظر، الفاسي، خطة الحسبة، ص٨٥.
(٣) صبح الاعشى، ج٥، ص١٣٥.
(٤) م، ن، ج٥، ص١٣٦.
(٥) خطة الحسبة، ص٨٥، ص٨٦.
(٦) اخبار المهدي بن تومرت، ص٣٥.

وشرح انسابهم وافخاذهم، حيث قال بعد ان ذكر القبائل " المحتسبون وفقهم الله لهم من القبائل احدى وعشرون " وهو يعني بكلمة المحتسبين الذين احتسبوا اجرهم على الله في القيام بالغزو، وقد شرحها البيذق نفسه فقال " وهم المسمون بالغزاة عن اذن امير المؤمنين ابي يوسف ".

اما المراكشي[1]، المعاصر للموحدين، فقد ذهب الى ان المحتسبين الموحدين هم اصحاب الخطط في الاسواق، وهم اول الصف في مجموعتهم وقبائلهم، وربما ان المراكشي عرف عن كثب، ان الغزاة، هم القبائل التي اعتمد عليها الموحدون. كانوا يقومون بالاشراف على الاسواق ولربما كانوا من تلاميذ المهدي الذين استخدموا فى تغيير المنكر فى مدينة سجلماسة كما مر بنا.

وعليه فان الحسبة من هذا المنطلق كانت لها اهمية خاصة عند المرابطين والموحدين. وخاصة في نظامهم السياسي والاداري.

وبعد تفكك دولة الموحدين، وقيام دولة بني مرين في المغرب الاقصى وبني عبد الواد في تلمسان، وبني حفص في تونس، بقيت وظيفة الحسبة قائمة. الا ان مؤلفات الحسبة في هذه العصور اصبحت تقليدية اشبه ما تكون بكتب الفقه، ولم يصلنا غير كتاب العقباني " تحفة الناظر " ولعله الوحيد من انتاج هذه العصور، ومعلومات هذا الكتاب عامة في الفقه الاسلامي، على الرغم من ان العقباني كان قاضي القضاة في الدولة الزيانية، لكنه لم يقدم لنا ما يشفي الغليل في هذا الجانب بالرغم من انه خصص بابا عن الاسواق وعده اهم ابواب كتابه.

---

(١) المعجب، ص٨٨، ص٣٢٩.

٣-الحسبة في عهد بني مرين :-

لقد وصلت النظم الاقتصادية ايام المرينيين الى نضجها، حتى نجد ان لكل صنف من الصناع والتجار، رؤوساء يختراونهم من بينهم ويسمون بالامناء[١]، حيث كانت لهم حرية التصرف في مصالح المهنة التي يرأسونها، فقد أسس امناء التجار على سبيل المثال صندوقا احتياطيا في مدينة سلا كان دخله من درهم واحد ياخذونه عن كل شقة صوف تباع، وقد رصدوا المتجمع في ذلك للاستعانة به فيما يحدث من ضرائب استثنائية غير عادية[٢]. وعلى هذا الاساس من التنظيم المهني، فقد ظهرت في العصر خطة الحسبة واضحة المعالم، فأبن الخطيب[٣]، يذكر ان ادارة الاسواق في بلاد المغرب خلال حكم بني مرين جعلت مسووليتها بيد المحتسب. كما ان ابن قنفذ[٤]، اشار الى ان " السلطان المريني في زمانه هذا قد امر بتغيير المنكر بنفسه واقامة الحد على من يرى انه لا يحسن عليه بذلك، وظهر في ذلك ظهورا تاما".

---

(١) الامين. ليس اهتمامه بالسوق اهتماما اخلاقيا، وانما هو بالدرجة الاولى جباية الضرائب المفروضة على المواد المتداولة في الاسواق. فهو غير واجبات المحتسب التي تكون مهمته لا تهدف الى تحقيق دخل من السوق لفائدة الدولة، وانم الغرض منها حمل الباعة على٣الالتزام بقوانين الاسواق واحيانا تقويمهم اذا اخلوا بها. انظر. التوزاني، نعيمة هراج، الامناء بالمغرب في عهد مولاي الحسن، مطبعة فضالة (المحمدية، ١٩٧٩)، ص١٨.

(٢) العقباني، تحفة الناظر، ص٢٤٤.

(٣) الاحاطة في اخبار غرناطة، ج٤، ص٢٤١، ص٢٤٢، نفاضة الجراب، ص٧٢.

(٤) انس الفقير، ص٧٩.

وفي ترجمة الشاعر الشهير ابي فارس عبد العزيز بن عبد الرحمن البلزوزي المكناسي(ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)،قال البقني[١] " وقد جعل له النظر في امور الحسبة ببلاد المغرب"، ومن مظاهر ممارسته لهذه الخطة ما ورد في روض القرطاس على ان تعديل الصيعان المغربية وجمعها على المد النبوي كان على يد هذا الملزوزي[٢].

وممن اثبت جدارة بهذا المنصب، الطبيب الغرناطي غالب بن علي اللخمي (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م)، الذي تقلدها في مدينة فاس على عهد ابي سعيد عثمان (٧١٠هـ - ٧٣٢هـ / ١٣١٠م - ١٣٣١م)، واستمر في هذا المنصب في عهد ابي الحسن علي ابن عثمان (٧٣٢هـ - ٧٤٩هـ / ١٣٣١م - ١١٣٨م)[٣].

وفي اشارة لابن القاضي[٤]، يذكر فيها اسم محتسب في مدينة فاس اسمه ابن علي محمد الشقوري الغرناطي (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م)، كذلك علي بن احمد الحسيني السبتي الشهير بالكفاف الذي كان يجمع الى جانب الحسبة النظر في احباس مدينة فاس.

وذكر ابن الخطيب[٥]، انه لقي بمدينة اسفي بالمغرب الاقصى سنة (٧٦١هـ / ١٣٦٠م) محتسبا اسمه ابا الضياء، منير بن احمد بن محمد بن منير الهاشمي الجزيري.

---

(١) البقني، مختصر الاحاطة، ج٦، الوجه ٧٦، مصورة الخزانة العامة بالرباط، رقم (١٥٨٢) عن المنوني، ورقات من الحضارة المرينية، ص٦٣.

(٢) ابن ابي زرع، ص٢٨٢.

(٣) ابن الخطيب، الاحاطة، ج٤، ص٢٤٢، ص٢٤٣.

(٤) جذوة الاقتباس، ص٧٥، ص٨٠، المنوني، الحسبة، مجلة المناهل، العدد ١٤، السنة السادسة، ١٩٧٩، ص١٧.

(٥) نفاضة الجراب، ص٧٢.

ومن الفقهاء المشهورين الذين عملوا كمحتسبين في الاسواق الفقيه الصالح ابا الحسن علي اللجائي " الذي كان يمشي حافي القدمين لتغيير المنكر "[1].

وفي " بلغة الامنية ومقصد اللبيب " نجد اسم ابى عبد الله بن ابي الجهار محتسبا في مدينة سبته[2].

وفي الطور الاخير لدولة بني مرين ذكر السخاوي[3]، ان يعقوب بن عبد الله الخافاني الفاسي، انتصب سنة (٨٦٧هـ / ١٤٦٣م)، للامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكف ايدي الفساد في الاسواق. كما قام بنفس الدور الفقيه حفص بن عمر الجراجي[4]، كما عرفنا ان محتسب مدينة درعة في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، كان احمد بن سعيد التونسي[5].

ومن خلال واقع مدينة فاس كعاصمة مهمة، فان المحتسب على عهد المرينيين كان يتولى الكثير من الاعمال، فهو يمر على صاحب الدكان، فيسأله عن الاحكام التي ينبغي ان يعرفها مما يخص الصناعة، او عن الابواب التي يدخل منها المنكر والربا على بيعه فان جهل ذلك منعه من ممارسة مهنته"[6]، كما اننا نجد محتسب مدينة فاس له دور

---

(١) ابن قنفذ. انس الفقير، ص٧٧.

(٢) انظر عنه الفاسي، خطة الحسبة، ص٨٩.

(٣) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع. منشورات مكتبة الحياة، (بيروت، بلا)، م٥، ج١٠، ص٢٨٣.

(٤) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص١٥٨.

(٥) ابن القاضي، محمد بن احمد، درة الحجال في غرة اسماء الرجال. تحقيق محمد علوش (الرباط، ١٩٣٤). ج١. ص٩١.

(٦) ابن الحاج. المدخل، ج١، ص٧٧.

في الاشراف على البهائم داخل الاسواق[1]، ويشدد على الظواهر التي تقع داخل الاسواق كاجتماع النسوة بالرجال، كما هو الحال في سوق الغزل، لاحتمال وقوع حالات تتنافى والاداب العامة، ولهذا جعل المحتسب لهن مكانا خاصا واوصى بثقات السماسرة المسنين من الرجال بالتعامل معهن[2]. ومنع محتسب مدينة فاس، الخرازين (صانعي الاحذية) في بسط جلودهم في الشوارع العامة، وكان شديدا على من يمارس الغش في البيه منهم[3].

ويصف روجيه[4]، محتسب مدينة فاس في العصر المريني، بان وظيفته تشبه وظيفة القاضي في خدمة الشرع، ومهمته الرئيسية الاشراف على صحة البيع والشراء، وبهذا فهو يشرف على الحياة الاقتصادية اشرافا كبيرا، حيث كان عليه ان يراقب المكاييل والاوزان، وقد ثبت في جدارية القيسارية ذراعا قياسيه كانت تستعمل للقياس، ومن الموكد انه كانت عنده موازين قياسية، وكان عليه ان يتأكد من صحة المواد المعروضة للبيع، كما انه يفصل في الخلافات التي تقوم بين الصناع والتجار، وكان له اعوان يساعدونه في القيام بواجباته، الا ان عددهم كان محدودا، وان مسؤولية منصبه كانت تقع على عاتقه او كاهله.

وفي اشارة للوزان،[5] في بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، يذكر فيها، ان المحتسب في مدينة فاس، كان يسمى

---

(١) الوزان، وصف أفريقيا ، ج٣. ص١٣٦.

(٢) العقباني، تحفة الناظر، ص٢٦٣.

(٣) م، ن، ص٢٧٤.

(٤) فاس في عهد بني مرين، ص٦٥، ٦٦.

(٥) الوزان ، وصف افريقيا، ج١، ص١٩٦.

رئيس الامناء، " وكثيرا ما يتجول هذا الموظف في المدينة على ظهر جواده محفورا باثني عشر راميا لمراقبة الخبز، وتفقد الاوزان للجزارين وما يبيعونه من بضاعة، فيأمر بوزن الخبز، واذا لم يجد فيه الوزن المطلوب، قام بتفتيته قطعا صغيرة، ونزل على عنق بائعه بلكمة تتركه متورما متوجعا، واذا تكررت المخالفة امر بجلد البائع اما الجمهور". وهذا يعني ان استخدام المحتسبين لاسلوب القوة مع اهل السوق برأى الوزان مظهر من مظاهر تدهور خطة الحسبة في نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ويضيف الى ذلك ان السلطان المريني اخذ يسند وظيفة الحسبة الى الاعيان الذين يطلبونها منه " ولم تكن تسند في القديم الا لذوي الكفاءة والمقدرة والسمعة الطيبة، اما الان فأصبح الملوك يوكلونها الى ناس عاميين جهلاء"[1].

ويذكر الفاسي[2]، ان المحتسب في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. كان يتقاضى راتبه من تجار الاسواق على نسبة معينة من المبيعات.

---

(١) الوزان ، وصف أفريقيا ، ج١، ص١٩٦، ص١٩٧. وانظر، العقباني، تحفة الناظر، ص٢٢٥.

(٢) خطة الحسبة، ص٦١. ومن الجدير بالاشارة الى ان وظيفة الحسبة وعلى مر السنين، فقدت اهميتها ليس في بلاد المغرب فقط. وانما في بقية العالم الاسلامي، فمثلا في مدينة دمشق، يلاحظ انه في نهاية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، لم تكن تراعي القواعد الصحيحة في اختيار المحتسب، فاخذ يتسلمها أي فرد يستطيع تقديم او بذل اموال كثيرة. ففي شعبان من سنة (٧٨٢هـ / ١٣٨٠م). عزل ابن مرني من حسبة دمشق وولي مكانه ابي القاسم من اهل الصاغة، قال بن حجي، وقد انحطت رتبة الحسبة الى هذا الحد"، وابن مرني هذا من الفقهاء المشهورين =

ونستنتج من هذا كله، ان وظيفة الحسبه في العهد المرين، قد مورست على نطاق واسع، وان الاشارات التي وصلتنا عنها ما هي الا نتفا قليلة من المعلومات التي لم تصل الينا.

٤-الحسبة في عهد الحفصيين والزيانيين :-

لقد ذهب بعض الباحثين المحدثين الى القول، بان خطة الحسبة عند الحفصيين والزيانيين، أوكلت الى وظائف ادارية اخرى، ولذا فان معالمها غير واضحة.

فالشريف محمد الهادي(١)، يذهب الى ان سبب عدم الاهتمام بوظيفة الحسبة في الدولة الحفصية، يعود الى ان الحفصيين، اعتمدوا في العمل على الجاليات الاندلسية ذات الكفاءة والخبرة، وكان تشغيلهم يتم في جهازين اداريين هما ديوان الانشا (المراسلات)، وديوان الاشغال المالية، وكان الوالي هو المسؤول عن جميع الضرائب والمحافظة على الامن في الاسواق وخاصة في العاصمة تونس، اما المدن الاخرى، فهي تدير مسؤوليتها اليومية العادية عن طريق مؤسساتها التقليدية مستقلة عن الدولة.

= بدمشق، بينما ابو القاسم لم يكن سوى رجل ميسور كثير المال. انظر في هذا الصدد، ابن قاضي شهبه، بدر الدين محمد بن تقي، تاريخ ابن قاضي شهبه، تحقيق عدنان درويش، (دمشق، ١٩٧٧)، ج٣، ص٣٥. كما ان المحتسبين كانوا يتعرضون للايذاء من قبل العامة في عهد المماليك بمصر، انظر، ابراهيم طرخان، مصر في عهد المماليك الجراسكه، ص٢٧٤.

(١) الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، دار النشر التونسية، (تونس / ١٩٨٠)، ص٥٦.

ويذكر العامري،[١] ان المحتسب في عهد الحفصيين كان يسمى بصاحب الشرطة اوالحافظ، وهناك امناء للاسواق ويرأسهم شخصية ذو نفوذ واسع يسمى امين الامناء، الا ان معلومات العامري هذه ينقصها التوثيق.

ومهما كن، فنحن نقول، ان الحفصيين قد اخذوا بنظام الحسبة، ودليلنا على ذلك ان الزركشي[٢]، يذكر انه في عهد السلطان الحفصي المستنصر (٦٤٧هـ - ٦٧٥هـ / ١٢٤٩م - ١٢٧٧م)، كانت هناك مقصورة يجلس عليها المحتسب في سوق العطارين بمدينة تونس، حيث اشار في حوادث سنة (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)، ان السلطان المستنصر امر بقتل الاديب العالم الفقيه ابي عبد الله محمد بن ابي بكر القضاعي، المعروف بابن الابار، في مقصورة المحتسب بسوق العطارين بتونس، وهذه الاشارة من الزركشي، تدل بدون شك على وجود وظيفة الحسبة في عهد الحفصيين.

اما في عهد الزيانيين في المغرب الاوسط، فلم تردنا معلوما عن اسم محتسب او وجود خطة احتسابية في جهازهم الاداري. ولكن من المؤكد انهم عرفوا هذه الوظيفة فليس من المعقول ان تنجب مدينة تلمسان الفقيه المشهور العقباني، صاحب المؤلف الوحيد الذي وصلنا في فترة هذه الدراسة عن الحسبة، وتفتقر الى وجود هذه الوظيفة، خاصة وانه يشير وبأسف الى تدهور هذه الخطة في حواضر بلاد المغرب. كمدينة تونس وفاس ومراكش وتلمسان[٣].

---

(١) العامري، تاريخ المغرب، ص٢٤٠، ص١٧٤.

(٢) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص٣٥.

(٣) العقبان، تحفة الناظر، ص٢٢٥.

اعوان المحتسب :-

يضم الجهاز التفتيشي الذي يقوم على رأسه المحتسب، الاعوان ويطلق عليهم بالامناء او العرفاء، وهم يعينون من قبل المحتسب، ويمثلون الساعد الايمن له. ويسمون عادة امناء الاسواق او عرفاء الاسواق ويكون امين كل صنعه او حرفه خبيرا ببضائعهم بصيرا بغشوشهم وتدليسهم، مشهورا بالثقة والامانة والشرف ويطالع الامناء المحتسب باحوال اهل حرفهم، وما يجلب الى اسواقهم من السلع والبضائع، وما تستقر عليه الاسعار وغير ذلك [١]. ومما سهل للامناء او العرفاء القيام بمهامهم وواجباتهم، هو تجمع اصحاب كل حرفه في سوق خاص بهم. حيث يقوم الامناء بمعاونة الوالي والمحتسب في تنفيذ القوانين الخاصة بالاسواق [٢].

وفي بلاد المغرب استدعت وظيفة الحسبة في مجال اشرافه على الاسواق ان يعزز ادارته بالنواب كما يطلق عليهم القلقشندي [٣]، ولا سيما في الامصار الكبيرة ذات الضواحي الاهله بالسكان، لكي يطلعوه على خفى أسرار اصحاب الحرف والمهن. وحتى لا يخفي عليه من امور السوق كثيرا او قليلا [٤].

وهؤلاء الاعوان، هم الذين يطلق عليهم بالعرفاء بالمشرق الاسلامي والامناء في المغرب الاسلامي [٥]،وقد اصبح هؤلاء المساعدون

---

(١) ابن بسام، محمد بن احمد: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف ÷ن (بغداد، ١٩٦٨). ص١٧، ص١٨.

(٢) م، ن، ص١٨، ص١٩.

(٣) صبح الاعشى، ج٥، ص٢٧٥.

(٤) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٢٠.

(٥) المراكشي، المعجب، ص٢٨٥.

تحت اشراف المحتسب يكثرون ويقلون عند الحاجة، فقد ذكر المراكشي[١] " ان ابا يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠هـ - ٥٩٥هـ / ١١٨٤م - ١١٩٩م)، كان قد امر ان يدخل عليه امناء الاسواق واشياخ الحضر كل شهر مرتين يسألهم عن اسواقهم واسعارهم واحكامهم.

وكان المحتسب في العصر المريني، يحيط نفسه بجماعة من الاعوان من اهل المعرفة بشؤون الصناعات، كامناء الصنائع وعرفاء الاسواق[٢].

ومما تقدم عن وظيفة الحسبة وتطورها في بلاد المغرب، نستطيع القول، ان الحسبة من حيث موضوعها، هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تختلف باختلاف الشعوب والامم والانظمة، لانها وظيفة دينية تتبع كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم).

كما يتضح انه ليس لاساليب الحسبة واوضاعها ومدى اختصاص متوليها حدا في الشرع لا تتعداه مهما اختلفت الاحوال، بل الحد في ذلك عرفي. فبينما تكون الحسبة مستقلة في بلد ما نجدها قد اسندت الى القضاء في بلد اخر، او الى الولاة ومن ينوب عنهم، كما كان معمولا به في افريقية قبل ان يفصلها القاضي سحنون كما مر بنا. وهذا يرجع الى العرف والعادة المتبعة عند كل اهل بلد او مدينة.

فالاختلاف الذي يبدو في نظام الحسبة في البلاد الاسلامية، انما هو اختلاف في الاساليب التطبيقية فقط، لان كل الاساليب والطرق تسعى

(١) المراكشي، المعجب ، ص٢٢٥، ص٢٨٦.

(٢) الجيلالي، تاريخ الجزائر، ج١، ص٣٦٠. انظر روجيه. فاس في عصر بني مرين، ص٧٧.

الى هدف واحد هو تطبيق شريعة وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثالثا - الضرائب على السلع والبضائع المتداولة في الاسواق :-

يدخل النظام الضريبي في كثير من الاحيان في اسس تكوين الدولة، يقول ابن خلدون[1] " ان الدولة سواء قامت على سنن العصبية او الدين، تكون قليلة الضرائب كثيرة الجباية في اول عهدها، لان الرعايا ينشطون للعمل فيكثر الاعتمار. وعندما تنتقل الدولة الى الترف، تكثر الضرائب، فيثقل ذلك على الناس، فيقل بذلك الاعتمار وتنقص الجباية، ولا يكون ذلك الا تدريجيا فان " اقوى الاسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على المعتمرين ما امكن ، وكان ابن خلدون في هذه النظرية يستقرئ السياسة الضرائبية التي سارت عليها الحكومات المتعاقبة على حكم بلاد المغرب[2].

ان نظرية ابن خلدون هذه، تشمل على كل انواع الضرائب التي تفرضها الدولة على اهل المهن والحرف. علما بان الضرائب على الزراعة كان لها تأثير كبير داخل الاسواق، حيث ان العديد من المحاصيل الزراعية تدخل كمادة اولية في الصناعة من جهة، وتستخدم كسلعة تباع وتشترى في الاسواق من جهة اخرى، لذلك سنشير الى بعض الضرائب الزراعية التي لها علاقة بموضوع دراستنا.

---

(١) المقدمة، ص١٨١.

(٢) عز الدين، النشاط، ص١٦٤.

في عهد المرابطين، يذكر ابن ابي زرع، ان الفترة المرابطية لم يفرض فيها خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا مكس على التجارة، لا في بادية ولا في حاضرة[1].

ويبدو ان هذه الرواية كانت تشمل الفترة الاولى لحكم المرابطين، ولكن عندما اشتدت الازمة المالية في عهد علي بن يوسف (٥٠٠هـ - ٥٢٧هـ / ١١٠٦م - ١١٤٣م) بسبب الحروب التي خاضها المرابطون في بلاد الاندلس ضد الممالك الاسبانية، وخاصة بعد موقعة اقليش سنة (٥٠١هـ / ١١٠٨م)، وظف المكوس والقبالات على السلع التجارية والصناعية المتداولة في الاسواق[2]، وقد طبق في عهد علي بن يوسف نظام القبالة على الاسواق، والقباة هي العقد الذي يبرمه الملتزم مع الدولة، وهي في الاصل ضريبة تدفع لبيت المال، وقد اطلق استعمال هذا اللفظ على الضرائب الزائدة على ما يقضى به الشرع[3]. كما ان القبالة قد تأتي بمعنى الكفالة[4]، وخاصة في عهد المرابطين، وكان هذا النظام دقيقا ومحكما، ولكنه كان عبئا ثقيلا على اهل السوق[5]، وكان اكثر الصنع بمراكش متقبلة عليها مال لازم، مثل سوق الدخان، والصابون والصفر والمغازل، وكانت القبالة على كل شيء يباع..".

---

(١) روض القرطاس، ص١٠٨. المراكشي، المعجب، ص٢٧٧.

(٢) محمود اسماعيل عبد الرزاق، مقالات في الفكر والتاريخ، (الدرا البيضاء، ١٩٧٩)، ص٨٨.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص١٥٦.

(٤) البيذق، اخبار المهدي بن تومرت، ص٩٧. ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٩١.

(٥) ويبدو ان سبب تطبيق نظام القبالة في عهد المرابطين، هو حاجتهم الماسة الى المال اللازم، حيث يوفر لهم هذا النظام موردا ماليا ثابتا.

وكان من نتيجة هذه الازمة المالية ان فرضت الدولة الضرائب على كل السلع[1]، بل ان الضريبة كانت تؤخذ مرتين على السلعة، واحدة من البائع واخرى من المشتري، او تؤخذ اكثر من البائع، خاصة اذا كان مزارعا، فمرة تؤخذ على الثمار او الزرع، واخرى عند البيع، او تستوفى في كل مدينة تمر بها السلعة[2]، وقد اتسم تحصيل هذه الضرائب بشكل كثير من الظلم والتعدي، فترك امرها للمتقبلين الذين يرسلون أي شخص اخر لجبايتها ممن تجب عليه[3]، الامر الذي دفع ابن عبدون[4]. الى حملته الشديد على المتقبلين، فجعلهم شر اهل الارض.

اما بالنسبة للسلع الاجنبية، فقد كان المرابطون ياخذون عنها العشر ١٠ %. وخاصة على تجار المدن الايطالية كبيزه وجنوة[5].

وفي عهد الموحدين، الغيت جميع الضرائب التي فرضت على السلع والبضائع الداخلية ايام المرابطين، وخاصة ضريبة القبالة،

---

(١) ابن عبدون، رسالة، ص١١، ص٣٣.

(٢) السقطي، رسالة، ص١٠، ص١١.

(٣) م، ن: ص١٠، ص١١، ص١٦. من الجدير بالاشارة الى ان هناك كثير من الضرائب غير التجارية فرضت في عهد المرابطين في ايامهم الاخيرة، منها ضريبة المغارم التي كانت تفرض على الناس وتتسم بالتعدي على حقوقهم، انظر: ابن تومرت، اخبار المهدي، ص٩٢. وهناك ضريبة المعونة او الوظيفة، وهي ضريبة تفرض على الرعايا للقيام بواجب الجهاد اذا كان بيت المال خاليا من الاموال، انظر، المراكشي، المعجب، ص١٧٧. هذا فضلا عن الضرائب الاخرى المألوفة كالخراج على الارض والزكاة والعشر، انظر، عنهما ابن الزيات، التشوف، ص٢٤٦.

(٤) رسالة، ص٣٣، ص٣٤.

(5) Mos , Lotric. P.40.

فالادريسي[1]، يشير الى ذلك بقوله "... وصار الامر اليهم (أي الموحدين)، فقطعوا القبالات بكل وجه، واستعملوا قتل المتقبلين بها، ولا تذكر الان قبالة ذكرا في شيء من بلاد المصامدة..."، فقد هاجم المهدي بن تومرت (٥١٥هـ - ٥٤٢هـ / ١١٧٦م - ١١٣٠م)، الضرائب التي احدثها المرابطون، حيث ثار عليهم، واشار الى ذلك بقوله " انهم احدثوا المغارم وفرضوا المكوس، واكلوا الحرام، وفرضوا على الناس ما لم يوجهه الشرع"[2]، كما ان المهدي خاطب اهل فاس قائلا " فما شبعتم الخبز الا في ايامنا، ولا كسبتم المال الا في دولتنا "[3]، وركز خليفته عبد المؤمن بن علي (٥٤٢هـ - ٥٥٨هـ / ١١٣٠م - ١١٦٣م)، على من كان في طاعة الموحدين "... لا يطلبون الا بما توجهه السنة وتطلبه ولا يلزمون، ومعاذ الله مكسبا ولا مغرما ولا قبالة... "[4]، وشدد على قطع كل جميع الضرائب المستحدثة ايام المرابطين[5]. وقد التزم خلفاؤه من بعده بهذا النهج. ففي عهد المنصور (٥٨٠هـ - ٥٩٥هـ / ١١٧٥م - ١١٩٩م)، اشار ابن القاضي[6].

---

(١) نزهة المشتاق، ص٧٠.

(٢) ابن تومرت، المهدي، اعز ما يطلب ، تحقيق فولد نسهير . (الجزائر، ١٩٠٣)، ص٢٦١.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص٣٣.

(٤) البيذق، اخبار المهدي، ص١٤٠. المراكشي، المعجب، ص٢٢٧، ص٢٥٦،ص ٣١٠، وانظر ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٢٣، ص١٣٥، ص١٣٨، ص١٤٣.

(٥) انظر. رسالة العدل في نظم الجمان، ص١٥٦-١٥٨.

(٦) المنتقى المقصور في مآثر الخليفة المنصور، ص١٩٢. وانظر، المراكشي، المعجب، ص٢٥٦، ص٣١٠، ابن ابي زرع، روض القرطاس، =

الى انه حذف الكثير من الضرائب " وما جرت به علاة اهل المشرق من توظيف الامكاس على احوال التجار عند الوصول الى كل مدينة وشبه ذلك من المسمى بالغفر عند العرب فليس في بلاده، ايده الله تعالى، أي شيء من هذا القبيل اصلا، حتى ان الانسان يكون في احماله من التبر والياقوت... ولا يعطي على ذلك كله الا ربع درهم على كل حمل في باب المدينة... .

كما خفض الموحدون نسبة الضرائب على التجارة الخارجية من (١٠%) الى (٨%). ويشمل هذا التخفيض التجارة مع بيزه وجنوه[١]، كما ان الموحدين لم ياخذوا العشور التجارية من التجار المسلمين الغرباء[٢]، بينما اخذوا العشر على البضائع الواردة من تجار اهل الصلح النصارى[٣]. اما الجواهر واللالىء والزمرد والياقوت والنقود والفضة فقد اخذوا عنها الخمس (٢٠%)[٤].

وضمانا لتحصيل الضرائب من التجار الاجانب، كان الدفع يتم عن طريق ديوان الاشارف الحكومي، وكان المسؤول عن هذا الديوان يسمى المشرف، وهو المسؤول عن التجار الاجانب في كل مدينة، فهو الذي يكتب اليهم داعيا للتجارة او منها على مخالفة، ومسؤولا عن الحقوق اللازمة عن الايراد والاصدار للسلع[٥].

= ص١٣٥. ص١٣٨، ص١٤٣، حيث اشار الى التزام الخلفاء الموحدين بهذه السياسة الضريبية.

(1) Mas , Latric. Traite de Paix P.49-90.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص٥٦.

(3) Amari – Diplomi , P. 9-12.

(4) Ibid , P.92.

(5) Ibid , P.36 , 38 , 76.

وفي العصر المريني، فرضت السلطة المرينية ضرائب كثيرة على السلع البرية والبحرية وكانت نسبة الضرائب تقدر بحوالي (١,٠١) من قيمة السلع، كما حددها احد الباحثين[١]، وخاصة على البضائع والسلع الاجنبية.

قد اعيد العمل بنظام القبالة الذي الغي في العصر الموحدي، وفرضت ضرائب القبالات على اصحاب الحرف والمهن وكذلك على بائعي السلع المختلفة في الاسواق المغربية، وكانت هناك ضرائب حتى على اللحوم المشوية في الشوارع، وعلى الخضر الطرية المطروحة للبيع في الاسواق، وهناك ضرائب على المكاييل اسواق الجنوب[٢].

وفي المقابل لم تترك الدولة النظام الضرائبي يسير وفق مصالح الاشخاص المكلفين بجبايتها، حيث غالبا ما قام بعض الحكام المرينيين بالغاء او بالحد من التسعف الذي يقوم به بعض العمال. فهذا ابو عنان

---

(١) ومن الجدير بالاشارة الى ان خطة الاشراف على الضرائب بصورة عامة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. كانت تتم تحت اشراف صاحب الاعمال وهو المصطلح المرابطي والموحدي الرسمي لديوان الجباية، وكان يدعى احيانا بصاحب المخزن، انظر. عز الدين موسى، تنظيمات الموحدين. ص١٩٦، هامش رقم ٣، ص١٩٨ فما بعدها. ويطلق بعض المورخين مصطلح دار الاشراف. وهي المسؤولة عن النواحي المالية في العصرين المرابطي والموحدي، فابن سعيد. يذكر ان ابي عمران موسى كان يرأس دار الاشراف في مدينة مراكش على عهد الخليفة الناصر، انظر. المغرب في حلى المغرب. ج١. ص١٠٧. كما وردة هذا المصطلح عند ابن عذاري، حيث شار الى وجود دار للاشراف في مدينة فاس، انظر. البيان. ج٤. ص٢٣٣، ص٢٣٤.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٣٧٥. وانظر، عبد العزيز بن عبد الله، مظاهر الحضارة المغربية، ص٧٩.

(٧٤٩هـ - ٧٥٩هـ / ١٣٤٨م -١٣٥٨م) كثيرا ما يستخدم الشدة مع الظلمة من الولاة، وكان يعذب الجناة والمتهمين بسرقة اموال الضرائب الداخلية، ومن هؤلاء على سبيل المثال خلف بن عبد الرحمن الصوافي المعروف بابن فاطمة، الذي اتهم بسرقة الاموال عندما كان واليا على الزاب[١]، واسقط ابو عنان، الكثير من الضرائب والاتاوات التي كانت تفرضها القبائل العربية القاطنة في بعض مناطق المغرب الاددنى والمغرب الاوسط، على السكان ومن هذه الاتاوات، اتاوة الخفارة التي كانت تقدمها الرعية لرؤوساء هذه القبائل مقابل عدم الاعتداء عليهم والاغارة على املاكهم، ففي رحلة ابي عنان لافريقية،قام بالغاء هذه الضريبة واحسن معاملة بعض الولاة في منطقة الزاب وسكره[٢]. كما الغى ابو عنان ضريبة الرتب التي كانت تؤخذ في الطرقات، وامر برفع ضريبة التضييف الذي كان عمال الزكاة وولاة البلاد يأخذونها من السكان[٣].

واهتم بنو مرين بالضرائب الخارجية، فكانوا يتابعون التجار الاجانب، فيأخذون من قيمة السلعة المنقولة " كالدخول الى فاس ومكناس... ومراكش لم يكن يسمح للتجار المسيحيين الا بعد تأدية ضريبة اخرى..."[٤]. وبعد ان تتم عملية البيع والشراء كان يتحتم على التجار الاجانب دفع ضريبة تقدر بـ(١%) من قيمة السلعة تسمى

---

(١) النميري، فيض العباب، ص٢٨٦.

(٢) م، ن، ص٢٨٤. انظر الفتلاوس، استقصاء، ج٢، ص٢٠٢.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص٦٦٣. على الرغم من ان هذه الضرائب لم تؤخذ في الاسواق ولكنها كانت تؤثر في حركة السلع والبضائع داخل الاسواق.

(4) B.Chovin , Op. cit, P.27.

ضريبة الانطلاقة[1]، والتي تعني بداية مغادرة التجار الاجانب اسواق المدن المغربية.

وقد حققت بعض الضرائب دخلا كبيرا للخزينة المرينية، خاصة تلك الضريبة التي كان يدفعها التجار على السلع والبضائع، والتي اطلق عليها اسم (اللوازم المخزنية)[2]. كما ان السلطة المرينية كانت تحصل على دينار واحد من كل ربع قنطار من الصوف المصدر من ميناء كانفا[3]. وكانت اغلب العائدات الكمركية تاتي الى فئة معينة من الناس، والتي تشمل السلطات والعائلة المالكة، والتي يطلق عليها ابن خلدون بالسوق الاعظم[4]، والقسم الاقل يذهب الى خزينة الدولة.

ونسوق هنا بعض الاحصاءات المهمة من العائدات الكمركية التي حصلت عليها الدولة المرينية في عصرها الاول، حيث بلغت هذه العائدات آبان عهد ابي يوسف يعقوب (٦٥٧هـ - ٦٨٥هـ / ١٢٥٩م - ١٢٨٦م)، من خلال تعامل المغرب مع كاتالينا فقط (٦٠٠٠) دينار لعدة اشهر من السنة (٧٠٩هـ - ١٣٠٩م)[5].

ويبدو ان مدينة سبته كان لها دور كبير ومؤثر بخصوص العائدات الكمركية، بحكم اهميتها الاقتصادية والتجارية بصورة خاصة. وهو ما يشهد عليه تعدد اماكن استخلاص الضرائب بها، اذ بلغ عدد

---

(1) Ibid , P.545.

(٢) ابن الخطيب، ازهار الرياض، ج١، ص٣٩.

(٣) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الاقصى، ص١٨٥.

(٤) زنبير محمد، الحكم والاقتصاد عند ابن خلدون، مجلة الحياة الثقافية، العدد السابع (تونس، ١٩٨٨ ، ص٩٩.

(٥) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الاقصى، ص١٨٩.

ديار الاشراف فيها اربعة دور لاشراف على عمالة الديوان[١]. وكان ميناء سبته يصل ايراده من الضرائب في اليوم الواحد بين خمسمائة دينار الى سبعمائة دينار، ويصل احيانا الى الفي دينار في اليوم الواحد[٢].

ولم يخل العهد الحفصي بافريقية من الضرائب الثقيلة نسبيا، والتي كانت تثير المشاكل بين الحكومة والقضاة المتورعين الذين كانا يقاومون جباة الضرائب المكاسين احيانا، ولا يسع الدولة الا عزل اولئك المقاومين من مناصبهم، كما حدث لقاضي القيروان ابي عبد الله بن شعيب، فقد وقعت على عهده معارضة بين المكاس وبين القيروانيين ورفعوا الامر الى القاضي ابن شعيب، فقال : " ليس في الشريعة مكس، وضرب المكاس وطيف به، فانتهى الامر الى السلطان الحفصي بتونس فأمر بعزل القاضي بن شعيب "[٣]، وهذا يعني ان الدولة الحفصية كانت في بعض الاحيان شديدة في فرض الضرائب على السلع والبضائع داخل الاسواق، حيث كانت هناك ضرائب كثيرة كانت مستخدمة على نطاق واسع خاصة في العاصمة تونس، وتؤخذ هذه الضريبة على السلعة التي تباع الى المستهلك.

لقد بلغت هذه الضرائب نسبا عالية على جميع اسواق العاصمة تونس، فيشير الزركشي[٤]، في حوادث سنة (٧٩٦هـ / ١٣٩١م)، ان السلطان ابي فارس عبد العزيز الحفصي (٧٩٦هـ - ٨٣٧هـ /

---

(١) السبتي، اختصار الاخبار، ص٤٠.

(٢) المقري، ازهار الرياض، ج١، ص٤٣، ص٤٤.

(٣) العامري، تاريخ المغرب، ص١٧٠.

(٤) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص١١٧، وانظر، السراج، الحلل السندسية في ذكر الاخبار التونسية، ص١٠٧٢، ص١٠٧٣.

١٣٩٤م – ١٤٣٤م) ابطل ضرائب عديدة كانت معروفة قبه على أسواق العاصمة تونس فيقول كان سوق الرهادنه مجباه ثلاثة الاف دينار، اذ كان كل من يبيع شيئا من الامتعة واللباس يغزم نصف عشر الدينار، ومجبى فندق الملح، الف دينار ذهبا ونصف الالف، ومجبى فندق البياض الف دينار، ومجبى سوق الصوابين ستة الاف دينار، وعلى رحبة الماشية عشرة الاف دينار، وفندق الزيتون خمسة الاف دينار وفندق الخضرة ثلاثة الاف دينار، وعلى سوق العطارين مائة وخمسون دينار وفندق الاديم خمسون دينار، وفندق القمح الف دينار، وإدارة الاشغال ثلاثة الاف دينار، وسوق القشاشين مائتي دينار.

وكانت الضرائب الخارجية منتظمة تحت ادرة الكمارك. فقد كان التجار يدفعون بصفة عامة (١٠%) على قيمة البضاعة والسلع المستوردة من بيزة والبندقية، وكانت تضاف الى هذه الضريبة. ضرائب اخرى تتراوح بين (٤١%) و (٢٥%) والى (١%)، بينما كانت تؤخذ من السلع الذهبية والفضية والاحجار الكريمة ضريبة الخمس (٥%)[١]. وكانت اغلب هذه الضرائب، تدفع على البضائع اذا ادخلت المدينة وعند ابوابها، وتؤخذ نسبة (١ ٤) درهم على كل جزة صوف تدخل مدينة تونس او القيروان، وكانت هذه الضريبة تعرف بقصائد الصوف[٢]. وكانت الادارة الكمركية في العهد الحفصي تعمل عملا جديا في سبيل تشجيع التجارة، فكانت تعفي الحبوب من الضريبة لتمويل البلاد، وتمنح التجار الاجانب حقوق التصدير للبضائع ن معفاة من الضريبة بشرط ان تستورد لتونس بضائع تساوي البضائع التي يوردونها، واذا زادت

(١) العامري، تاريخ المغرب، ص١٧٠.

(٢) م، ن، ص١٧٣.

صادراتهم على وارداتهم، فالضريبة تكون نسبة (٤ %) على الفارق، وقد قدر المدخول الكمركي على العهد الحفصي سنويا بـ (١٧٠,٠٠٠) الف دينار من الذهب[١] . وهذا المبلغ على قدر ما فيه من مبالغة ولكنة يسجل لنا الاهمية الكبيرة لادارة الكمرك بونس الحفصية ودور هذه الادارة في جباية الضرائب على السلع الصادرة والواردة، كما ان هذا المبلغ ان صدق رقمه فهو يدل بدون شك، على ان تونس الحفصية كانت تستورد اكثر مما تصدر.

وفي المقابل لم تخل مدينة تلمسان في عهد الزيانيين من ايرادات كبيرة للضرائب التجارية، باعتبارها من المدن الرئيسة التي كانت محطة للقوافل التجارية الداخلة والخارجة الى بلاد السودان من افريقية ومصر وغيرها من البلاد، حيث يشير الجيلالي[٢]، الى ان مداخيل مدينة تلمسان بلغت في عهد يغمراسن الزياني من الضرائب التجارية حوالى مائة الف دينار سنويا، بينما تحددت الرسوم الكمركية على البضائع الواردة من جنوة وصارت (١٠%) بالنسبة لواردات مدينة بجاية و (٨%) بالنسبة لواردات غيرها من المدن[٣].

---

(١) م، ن، ص١٧٤. كما ان جزيرة جربه كانت تعطي عشرين الف (وبـل)مـن مداخيل الاتاوات والمكوس الى السلطات الحاكمة او التي كان يدفعها التجـار الاجانب، الوزان، وصف، ج١، ص٩٥.

(٢) الجزائر، ج٢، ص١٥.

(٣) م، ن، ج٢، ص٢٥٠. وانظر، راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص٢٥٥.

الخاتمة

بعد تحبير فصول هذه الكتاب نقول، ان بلاد المغرب عرفت عدة انواع من الاسواق الحرفية والمهنية، وتاتي في مقدمتها الاسواق الدائمة والتي لا تكاد تخلو أي مدينة مغربية منها، الا ان التركيز في بناء الاسواق الدائمة انصب معظمه في المدن التي اتخذت عواصم للحكومات المتعاقبة على حكم البلاد. وبرزت على اساس هذا التركيز ظاهرة التخصص في الاسواق، بحيث نظمت بشكل جعل لكل سوق شارع معلوم يختلف عن الاسواق الاخرى، وهذه الصورة لمسناها واضحة جدا في ترتيب أسواق مدينة فاس من خلال وصف الوزان لها.

كما عرفت المدن المغربية الاسواق المؤقتة التي كانت تعقد لفترة محدودة من الاسبوع او الشهر او السنة. وكانوا اكثر الناس فائدة من عقد هذه الاسواق هم اهل القرى والارياف. فكانوا غالبا ما يقصدون مثل هذه الاسواق التي كانت تعقد قريبة من مناطق سكناهم. فيبيعون ما يحملونه من حاجيات ويتبضعون ما يحتاجونه منها. لان الذهاب المستمر لهؤلاء الى اسواق المدن قد يكلفهم كثيرا من الجهد والمال.

واتضح لنا، ان هناك بعض الاسواق كانت ترافق الحملات العسكرية، فكانت تعقد في ظل الظروف الصعبة التي يفقد فيها الجند ارزاقهم نظرا لطول فترة مكوثهم. كما ان اغلب قوافل الحج المغربية كانت تصحبها اسواق متنقلة، حيث يفترش اصحابها الارض عند كل محطة استراحة لهم.

وبجانب هذه الانواع من الاسواق شهدت بلاد المغرب عددا اخر من المنشآت الاقتصادية والتي كانت تقوم بوظيفة الاسواق مثل الفنادق التي امتلأت فيها بعض المدن المغربية حيث ان كثرة هذه الفنادق في أي مدينة مغربية لدلالة اكيدة على مدى ازدهار النشاط التجاري فيها،

وبالتالي زيادة الاقبال عليها من التجار الاجانب حيث ان هذه الفنادق كانت عبارة عن مخازن كبيرة للعديد من البضائع والسلع المستوردة والمحلية، كما انها كانت مكانا مهما لابرام الصفقات التجارية بين التجار الاجانب والتجار المغاربة، كما انتشرت القيصريات داخل المدن المغربية والتي كانت بمثابة مكانا مربعا او مستطيلا تقفل بواسطة بابين كبيرين وتحتوي داخلها على مجموعة من الاسواق المهنية والحرفية وكانت في بدايتها ملك للدولة. ثم اصبحت فيما بعد ملكا للافراد.

واتضح لنا من خلال تتبع اماكن وخصائص الاسواق المهنية والحرفية بانها تكاد تكون متشابهة في اغلب المدن المغربية في تواجدها قرب المسجد الجامع لارتباطه به وظيفيا من جهة ولشد ازدحام الناس في مثل هذه الاماكن الدينية والتي تمثل المركز الحيوي للمدينة من جهة اخرى. وخاصة الاسواق المهنية بينما نرى ان بعض الاسواق الحرفية قد ابعدت خارج الاسوار الداخلية للمدينة خوفا من انبعاث الروائح الكريهة منها. كما وجدنا ان اغلب اسواق المدن المغربية كانت تقع على الجادة الرئيسية وسط المدينة على شكل صفين متقابلين تفصل بينهما جادة صغيرة ومسقفة بواسطة الاخشاب او سعف النخيل وذلك لاحداث تيارات هوائية في داخلها اثناء الازدحام.

وتبين لنا من خلال استقراء النصوص التاريخية ان النشاط الاقتصادي داخل هذه الاسواق بلغ ذروته في فترة هذه الدراسة، وان هناك عوامل جوهرية عديدة ادت الى زيادة رواج وانتقال السلع والبضائع داخل الاسواق المغربية، وتاتي في مقدمة هذه العوامل الاستقرار السياسي الذي عم فترات كثيرة معظم اقاليم البلاد وكذلك توفير الامن والمحافظة على طرق القوافل التجارية ومراقبتها، فضلا عن تشجيع الحكومات المغربية الانشطة الاقتصادية من خلال الغاء

العديد من الضرائب على السلع والبضائع داخل الاسواق، واهتم بعضهم في بناء اسواق جديدة وعقدوا عدة اتفاقيات تجارية مع الدول الاجنبية ومنها على وجه الخصوص المدن الايطالية كبيزة وجنود والبندقية حيث سهلت هذه الاتفاقيات عملية تبادل عديدة من المواد الضرورية بينهما، وتضمنت على اساسها الرسوم الكمركية حيث اصبحت اكثر تنظيما ودقة وخاصة في عهد المرينيين والحفصين.

ونتيجة لهذه العوامل مجتمعة اخذت البضائع والسلع تتدفق على اسواق المدن المغربية من كل الجهات، وكان التكامل الاقتصادي بين بيئات المغرب سمة مميزة من سمات ذلك العصر.

ومن خلال واقع صادرات وواردات الاسواق المغربية تبين لنا ان هذه الاسواق كانت تصدر المواد الغذائية في كثير من الاحيان الى الدول المرتبطة معها بعلاقات تجارية كالبلاد المشرقية والبلاد الاوربية، بينما كانت واردات هذه الاسواق بعض المواد المصنعة والمواد الاولية التي تدخل في العديد من الصناعات داخل البلاد، وكان ميزان الصادرات في كل الاحوال اقل من ميزان الواردات وخاصة في عهد المرينيين والحفصيين.

وفي الجانب الاخر كانت علاقة الحكومات المغربية مع بلاد السودان قائمة حيث استمر تدفق الذهب السوداني الى بلاد المغرب مقابل ما يحمله التجار من السلع وفي مقدمتها الملح الى المدن السودانة على الرغم من ان مادة الملح ليست بضاعة مغربية بحتة بل ان التجار المغاربة يبادلونها ببضاعهم في مناطق الصحراء ومن ثم يحملونها الى بلاد السودان.

اما العاملون في الاسواق فكانوا خليطا من المغاربة وغير المغاربة، يختلفون في قدراتهم المالية ومكانتهم الاجتماعية وكان

العاملون المغاربة هم انشط الفئات العاملة في الاسواق، سواء كان منهم الحرفيون ام التجار، حيث تعددت اصنافهم بحسب المهن والحرف التي يمارسونها، فالحرفيون كانوا حدادون ونجارون وفحامون وصباغون كما نجد الاسكافيين والدلائيين والدباغين والحاكة وغيرهم الكثير منتشرون داخل الاسواق الحرفية المتخصصة بحسب اصنافهم، فهناك الصانع الخاص والصانع المشترك والصانع المتجول.

وكان لوجود كل صنعة في سوق معين جعل امر تنظيم الصناع على اساس المهن امرا ميسورا، فنجد على رأس كل مهنة رئيسا او عريفا او امينا ويكون تعيينه من قبل المحتسب وكانت مهمته حل المشكلات المتعلقة بين اهل صنعته وكشف اساليب بعض الحرفيين في الغش والتدليس.

اما التجار فبرزت منهم فئة الدلالين والسماسرة واتبعوا تنظيمات خاصة في العمل سواء كان المناصفة في الربح او الشركة في التجارة وأغدقوا الأسواق بمختلف البضائع والسلع المحلية والمستوردة.

كما اشتغل في الاسواق المغربية وفي المجال الحرفي والمهني اليهود فضلا عن الأندلسيين المهاجرين وفئات اخرى من التجار الاجانب الايطاليين والاسبانيين، وبعض التجار من السودان والمشرق الاسلامي من مصر والشام والعراق.

وكان لابد ان يصاحب هذا النشاط الاقتصادي داخل الاسواق وجود معاملات وطرق عديدة لتسهيل عملية البيع والشراء داخل الاسواق واتبعت بعض المعاملات والبيوع كالمعاملة بالنقد والمقايضة والسلف والحوالة على الصرافين والبيع الاجل والمزايدة في السوق، وهي بلا شك معاملات تدل على اعظم ما وصلت اليه النظم الاقتصادية انذاك.

وكان النقدان الاساسيان المستخدمان في عملية البيع والشراء داخل الاسواق هما الدينار الذهبي والدرهم الفضي وخاصة في عهد المرابطين والموحدين، بينما ظهرت عملات اخرى في عهد المرينيين والحفصيين هما الدينار الذهبي والدينار الفضي، والدرهم الكبير والدرهم الصغير وبعض العملات الصغيرة كالحندوس، وتبين لنا ان العملة المغربية كانت تختلق في قيمتها من فترة الى اخرى تبعا لما تمليه طبيعة النظام الاقتصادي والسياسي معا، كما راجت عملات اجنبية داخل الاسواق المغربية، وكان بعض الحكام ينهي التعامل بها الا اذا كانت مساوية في قيمتها للعملة المحلية.

ولم تتبع الاسواق المغربية نظاما موحدا في الموازين والمكاييل، بل كانت تختلف من منطقة الى اخرى، وكان لهذا الاختلاف تاثيرا كبيرا في معاملات البيع والشراء فاستغل بعض العاملين في السوق هذه الفوضى في الاختلاف استغلالا اضر بمصلحة المستهلك فكانوا يغشون في مقاديرها او يستعملون الحجارة بدلا من الصنج الحديدي. وهذا اتضح بصورة خاصة خلال عصر المرابطين والموحدين. بينما لمسنا بعض التوحيد لهذه الموازين والمكاييل خلال العصر المريني.

وعند تتبع نظام الاسعار السائدة انذاك والمعروفة في الاسواق، يبدو ان هناك عوامل تؤدي في كثير من الاحيان الى ان تجنح الاسعار للصعود بشكل كبير. وخاصة في ظل الظروف السياسية التي تمر بها البلاد، او الظواهر الطبيعية، وتبين لنا ان بلاد المغرب في الظروف الاعتيادية تعتبر من ارخص البلدان اسعارا واكثرها خيرات، وهذا ما اكده بعض الرحالة العرب الذين زاروا بلاد المغرب وقارنوا اسعاره في الحالات الاعتيادية مع بلدان اخرى كمصر والشام والعراق.

واهتمت الانظمة الحاكمة في بلاد المغرب بمراقبة الاسواق وتنظيمها والاشراف عليها وفق مصالح اهل السوق بل ان الدولة اقدمت بكل ثقلها الى ان توكل مهمة الاشراف على الاسواق الى رجل يعرف بالمحتسب. بل والاكثر من هذا ان بعض الحكام انفسهم مارسوا مهمة الاشراف على الاسواق ومراقبتها، ولكن قلة المعلومات عن هذه الوظيفة في بلاد المغرب جعلتنا نفتقد الى الكثير من المعايير والاعتبارات التي كان يتصف بها متوليها في الاسواق المغربية خاصة وان هذه الوظيفة فقدت اهميتها بمرور الزمن بعد ان انتشر الفساد والفوضى عند متوليها.

كما شمل اشراف الدولة على الاسواق في فرضهم العديد من الضرائب التجارية والصناعية على السلع والبضائع المستوردة والمحلية داخل الاسواق المغربية. وذلك تبعا لما تمليه عليهم طبيعة مصلحتهم السياسية والاقتصادية. في حين اقدم بعض الحكام في الغاء بعض الضرائب على الاسواق لغرض تشجيع عملية التبادل بينها.

واخيرا نقول ان العمل الذي انجزناه ما هو الا محاولة لمعرفة مراكز النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب في عصور الازدهار الاسلامي، وارجوا ان اكون بعون الله قد طرقت بابا من الابواب التي تساهم ليس في ثراء البحث التاريخي لبلاد المغرب فحسب، وانما تحفز الباحثين الى مزيد من البحث والتنقيب والكشف عن جوانب من حضارتنا العربية الاسلامية الاخرى في تلك البلاد.. والله من وراء القصد.

الملاحق

جدول توضيحي يبين لنا الاسواق الدائمة في بلاد المغرب

المدينة	السوق
تونس	سوق القشاشين
	سوق النحاسين
	سوق الملافين
	سوق القطانين
	سوق الندافين
	سوق السراجين
	سوق البرادعة
	سوق الشكازين
	سوق الخراطين
	سوق العطارين
	سوق الفلقة
	سوق الكتبيين
	سوق الشماعين
	سوق القزانين
	سوق الملح
	سوق الفحم
	سوق الرهادنة
	سوق القماش
	سوق الحرير
	سوق القطن

	سوق الخياطين
	سوق الفاكهيين
	سوق الخبازين
	سوق القصابين
القيروان	اسواق كثيرة (لا نعرف عددها)
سوسه	اسواق كثيرة (لا نعرف عددها)
قابس	سوق الحرير
توزور	سوق القصارون (واسواق اخرى كثيرة لا نعرف عددها)
طرابلس	اسواق متخصصه كثيرة لا نعرف اسمائها
الغدير	سوق الحمزة (واسواق اخرى كثيرة لا نعرف عددها)
تلمسان	سو الاسكافيين
	سوق الكتب
	اسواق حافلة متخصصة لبيع الخبز والاديم
تنس	اسواق حافلة متخصصة لبيع الخبز والاديم
بجاية	سوق الصوافين
مراكش	سوق الدخان
	سوق الصابون
	سوق المغازل
	سوق الصفر
	سوق الحنطة
	سوق البهائم
	سوق الكتب
	سوق الجبس وسوق الدباغين وسوق الاسكافيين

فاس	سوق بني فذه
استثنينا ذكر	سوق الرصيف
الاسواق التي	سوق الزبيب
وردت في	سوق الجزارين
رواية الحسن	سوق
الوزان لمدينة	سوق القصارين
فاس والتي	سوق السلسله
اشرنا اليها	سوق الصاغة
بجدول في	سوق الزيت
الفصل	سوق الفخار
الاول..	سوق العدول
	سوق الكتبيين
	سوق العطارين
سبتة	١٧٤ سوقا (لا نعرف اسمائها
	(لا نعرف أسمائها. الا اربعة اسواق فقط)
	سوق العطارين
	سوق العدول
	سوق الانية الصفرية
	سوق السقاطين
سجلماسة	اسوق كثيرة متخصصة حافلة (لا نعرف عددها)
رباط الفتح	سوق الفاكهة
	سوق الخضروات
	سوق الاسماك

	سوق الغزل
	سوق السباط
طنجة	اسواق واسعة عجيبة (لا نعرف عددها)
تدنست	سوق القماش
	سوق الاسكافيين
	سوق الحدادين
	سوق الخياطين
	سوق الصاغة
مكناسة	اسواق كثيرة (لا نعرف عددها)
سلا	اسواق ثابتة نافقه (لا نعرف عددها)
مكول	

جدول توضيحي يبين لنا الاسواق المؤقتة في بلاد المغرب

المدينة	السوق
تونس	سوق الاربعاء
	سوق القشاشين (او سوق العصر)
صفاقس	سوق الجمعة
القصر القديم	سوق الجمعة
قسنطينه	سوق اسبوعي
عنابه	سوق الجمعة
حصن تدوى	سوق الجمعة
حصن مازونه	سوق اسبوعي
حصن الخميس	سوق الخميس
حصن الجمعة	سوق الجمعة
حصن الاثنين	سوق الاثنين
حصن كزنابه	سوق اسبوعي
فاس	سوق الخميس
	سوق الغبار (سوق اسبوعي)
قصر ابي موسى	سوق الخميس
درعه	سوق الجمعة
رباط الفتح	سوق الغزل (كان يعقد مرتين في الاسبوع)
تاكاويت	سوق تاكاويت(سوق اسبوعي)
دكالة	سوق موسى (سوق اسبوعي)
	سوق المسانس (يعقد يوم السبت من كل اسبوع)
اصيلا	سوق اسبوعي

تيدسي	سوق السبت
نشاله	سوق شاله (سوق موسى يعقد كل سنة مرة)
مكناسه	سوق الاثنين
جبل فزكار	سوق الاثنين
جبل منصور	سوق أسبوعي
جبل بني وردان	سوق السبت
جبل زرويل	سوق اسبوعي
هاوكس	سوق هاوكس (سوق موسى يستمر انعقاده ١٥ يوما)
اديكيس	سوق اديكيس (سوق موسى يستمر انعقاده ١٥ يوما)
جزوله	سوق جزولة (سوق موسمي يستمر انعقاده لمدة شهرين)

جدول توضيحي يبين لنا عدد الفنادق في المدن المغربية

المدينة	الفندق
تونس	فنادق كثيرة (لا نعرف عددها الا القليل)
	فندق الملح
	فندق البياض
	فندق الزيتون
	فندق الخضرة
	فندق الاديم
	فندق القمح
بنزرت	فنادق كثيرة (لا نعرف عددها)
القيروان	فنادق كثيرة (لا نعرف عددها)
سوسه	فنادق كثيرة (لا نعرف عددها)
تلمسان	فنادق كثيرة (لا نعرف عددها)
قصر صنهاجه	فندقين عظيمين
سلا	فندق الزيت
فاس	٦٦٧ فندقا (منها ٤٦٧ فندقا في عهد المرابطين الموحدين و ٢٠٠ فندق في عهد المرينيين) ولا نعرف اسماء الا بعض منها في العصر المريني
	فندق بني فذة
	فندق الشماعين
مراكش	فنادق ضخمة كثيرة (لا نعرف عددها الا بعض منها)
	فندق الارنجه
	فندق السكر

سبته	٣٦٠ فندقا (عهد المرينيين) لا نعرف اسماءها الا القليل
	فندق غانم
	فندق الرحبة
	فندق الوهراني
	فندق العزفي

جدول توضيحي يبن لنا عدد القيصريات في بلاد المغرب وملحقات الاسواق الاخرى

المدينة	القيصارية	ملحقات لخرى
سوسه	قيصاريات كثيرة	
صفاقس	قيصاريات كثيرة	
مراكش	قيصاريات كثيرة	دار للاشراف واحدة (العهد الموحدي)
فاس	قيصاريتان	دار للاشراف واحدة (العهد الموحدي)
استثنينا ذكر المنشآت الحرفية في مدينة فاس والتي اشرنا اليها بجدول في الفصل الثاني)		
سبته		اربعة دور للاشراف (العهد المريني
		احدى وثلاثون تربيعه
		سبعة مضارب صغيرة

جدول توضيحي يبين اسعار البضائع في القرنين السادس والسابع للهجرة

السلع	المكان	السعر وقت الرخص	السعر وقت الغلاء
القمح	مراكش	اربعة اوسق بنصف مثقال	المد الواحد سبع دراهم
الشعير	مراكش	خمسة وعشرون مدا بدرهم	السطل بثلاثة دنانير
الدقيق	مراكش	الربع بدرهمين	الربع بمثقال ذهبي
الخبز	مراكش	رغيف وسمن بقيراط	
البقول	مراكش		سبع باقلات بدرهم
ثوب مستعمل	مراكش	عشرة دراهم	
كفن للميت	مراكش	ثلاثة دراهم	
سرير مستعمل	مراكش	ستة عشر ونصف درهما	
الخبز	فاس	ثلاثون خبزة بدرهم	
اللحم	فاس	ست اوقية بدرهم	
ثوب مستعمل	فاس	عشرة دنانير	
دار	اغمات	خمسمائة دينار	
كراء دار	اغمات	عشرة دنانير في العام	
كراء دار	درعة	عشرون دينارا	
القمح والشعير	تونس		المد بخمسة دنانير
ثمن دار	تونس	مئتا دينار	

جدول توضيحي يبين، اسعار السلع والبضائع في القرنين الثامن والتاسع للهجرة

السلع	المكان	السعر وقت الرخص	السعر وقت الغلاء
القمح	فاس	الصفحة بستة دراهم	المد بخمسة عشر درهما
الشعير	فاس	الصفحة بثلاثة دراهم	
العسل	فاس	ثلاثة ارطال بدرهم	
الزبيب	فاس	اربعون اوقية بدرهم	
التمر	فاس	ثمانية ارطال بدرهم	
اللوز	فاس	الصاع بدرهم	
لحم بقر	فاس	مائة اوقية بدرهم	
لحم الضأن	فاس	سبعون اوقية بدرهم	
الكبش	فاس	الواحد بخمسة دراهم	
الفحم	فاس	الرطل بدرهمين	
ثوب	فاس	عشرة دنانير	
العنب	اسفي	قفه بدرهم	
القمح	تلمسان		المكيال بثلاثين دينار
الملح	تلمسان		المكيال بثلاثة مثاقيل ذهب
اللحم	تلمسان		الربع بمثقال ذهب
دجاجة	تلمسان		الواحدة بعشرة دنانير

بقرة	تلمسان		ستون مثقالا
الظأن	تلمسان		سبعة مثاقيل ونصف
البيضة	تلمسان		ستة دراهم
الزيت	تلمسان		الاوقية باثني عشرة درهما
الخيار	تلمسان		الاوقية بثلاثة اثمان الدينار
البطيخ	تلمسان		الاوقية بثلاثين درهما
الاجاص	تلمسان		الاوقية بدرهمين
القمح	تونس		القفيز باحد عشر دينارا
الشعير	تونس		القفيز بخمسة عشر دينارا
الدجاجة	تونس	بدرهمين	
السكر	بلاد المغرب	حمل بثلاثة دراهم	
اللحم	بلاد المغرب	ثمانية عشرة اوقية بدرهمين	

جدول توضيحي يبين انواع العملات المستخدمة داخل الاسواق المغربية في القرنين السادس والسابع للهجرة

نوع العملة	الوزن
الدينار الذهبي	يتراوح وزن الدينار المرابطي ما بين ٤,٠٥ غم الى ٤,٣٠ غم بينما كان وزن الدينار الموحدي ٢,٣٥غم، ثم ضاعفه المنصور ليصل الى ٤,٧٠ غم
الدرهم الفضي	يتراوح وزن الدرهم المرابطي ما بين ٣,٩٢ غم الى ٦,٢٠ غم بينما كان وزن الدرهم الموحدي ثمانية وعشرون حبه من حبوب الشعير الوسط
القيراط	١٦/١ من الدرهم
الربع	¼ من الدرهم
الثلثية	٣/١ من الدرهم
الثمنية	٨/١ من الدرهم
الدانق	٦/١ من الدرهم

جدول توضيحي يبين لنا انواع العملات المستخدمة داخل الاسواق المغربية في القرنين الثامن والتاسع للهجرة

نوع العملة	الوزن او المعيار
الدينار الذهبي	متوسط وزنه في عهد المرينيين ٤,٥٦ غم بينما بلغ وزن الدينار الحفصي ٤,٧٢ غم
الدينار الفضي	كان يساوي في عهد المرينين عشرة دراهم صغار
الدرهم الفضي الكبير	كان يزن اربع وعشرون حبة من حبوب الشعير
الدرهم الفضي الصغير	كان يزن ثمانية حبات من حبوب الشعير
القيراط	وزنه ايام المرينيين ثلاث حبات من حبوب الشعير كان وزنه في عهد الحفصيين يساوي ١/٦ من الدرهم
الدرهم القطبي	في عهد المرينيين
الدرهم البجائي	=
الدرهم الجنوبي	=
الدرهم البصري	في عهد المرينيين
الدرهم الهودي	=
الدرهم المحمدي	=
الدرهم المؤمني	=
الدرهم الفضي	كان وزنه في عهد الحفصيين اغراما واحدا ونصف
الخمسي	وزنه على عهد الحفصيين خمسة اسداس الدرهم
خروبه	وزنه ايام الحفصيين اربة اسداس الدرهم

نصف ناصري	وزنه ايام الحفصيين ٣/٦ من الدرهم
الحندوس	فلوس نحاسية حفصية صغيرة الحجم
الدوكة	عملة اسبانية كانت تعادل في عهد الحفصيين دينار حفصي
الكرونه	عملة اسبانية تعادل في عهد الحفصيين درهم حفصي

جدول توضيحي يبين الاوزان والمكاييل المستخدمة في الاسواق المغربية

الاوزان :

الاسم	العيار
القيراط	يساوي ١/٢٤ من المثقال، ويتالف من خمس حبات أي ٠,٤٤٦ غم
الاوقيه	تساوي ١٢ درهما، أي ٣٧.٥ غم
الرطل	يساوي ١٢ اوقية، ويساوي ١٢٠ درهما
القنطار	يساوي ١٠٠ رطل أي ٤٤,٣٣ كغم من الذهب
الربع	يساوي ¼ من الدرهم

المكاييل

الاسم	العيار
الوسق	يساوي ٦٠ صاعا بصاع النبي (صلى الله عليه وسلم)
المد	كان يساوي ١٨٠ اوقية
القفيز	يساوي ٤٤,٨١٦ غم
الخروبه	تساوي وزنا قيراطا أي ١/٢٤ من المثقال (١٩٥ غم)
القسط	وكان على نوعين، كبير يساوي ثلاثة ارطال، وصغير نصف ذلك
القادوس	يساوي ثلاثة امداد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم)
البرشاله	تساوي ١٢ رطلا ونصف (اي مثقالين ونصف)
الغرارة	تساوي ٢٠٤,٥ كغم من القمح (وهي تعني العدل)
الصفحة	تساوي ٤٨ قادوسا، والقادوس يساوي ثلاثة امداد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم)
الصاع	يساوي ٤ امداد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم)

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات

- البقني، مختصر الاحاطة، مخطوطة مصورة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (١٥٨٢) عن محمد المنوفي، ورقات من الحضارة المرينية.
- البزيوي، ابو عبد الله محمد بن احمد (كان حيا فى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي).
  تاريخ دول الاسلام في المغرب الاقصى، مخطوطة بمكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم (١٣١٣).
- التيشافي . ابو العباس احمد (ت ٦٥١هـ / ١٢٥٣م) ، نزهة الالباب فيما لا يوجد في كتاب، مخطوطة بالخزانة العامة في مدينة الرباط المغربية تحت رقم (١٥٢٣ ك) عن عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي.
- ابن الرحال. ابو الحسن علي (ت ١١٤٠هـ / ١٧٢٥م)، كشف القناع عن مسائل الصناع، مخطوطة بالخزانة العامة في مدينة الرباط المغربية تحت رقم (١٠٧٩د) عن عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي.

المصادر

* القرآن الكريم

* ابن الابار، ابو عبد الله محمد بن بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م).

- التكملة لكتاب الصلة. تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٨٩).

- المقتضب من كتاب تحفه القادم، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتب اللبنانية، والدار الافريقية المصرية (مصر، ١٩٨٣).

* ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر (بيروت، ١٩٦٧).

* ابن الاحمر. ابو الوليد اسماعيل بن يوسف (ت ٨١٠ هـ / ١٤٠٧م).

- بيوتات فاس الكبرى (الرباط. ١٩٧٢).

- روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق جهيوتسل باول وجورج مركاس (باريس ١٩١٧).

* اخوان الصفا،رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر (بيروت ١٩٥٧).

* ابن الاخوة، محمد بن محمد بن احمد القرشي (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٩م).

- معالم القرية في احكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، وصديق احمد عيسى المطبعي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ١٩٧٦).

* الادريسي، ابو عبد الله محمد المعروف بالشريف (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٨م).

- نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تحقيق دوزي ودي غويه (ليدن ١٨٦٦)

- وصف افريقية الشمالية الصحراوية، تصحيح هنري بيرس (الجزائر ١٩٥٧)

* الانصاري، شيخ الربوة، شمس الدين ابو عبد الله محمد الدمشقي (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧م)

- نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر (لايبزك ١٩٢٣).

* البادسي، عبد الحق بن اسماعيل (كان حيا سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢م).

- المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بطماء الريف، تحقيق سعيد احمد اعراب، المطبعة الملكية (الرباط ١٩٨٢).

* ابن بسام، محمد بن احمد (عاش في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف (بغداد ١٩٦٨).

* ابن بطوطة، ابو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم (٧٧٩ هـ - ١٣٧٨م)

- تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة، تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٩٧٩).

* ابن بعرة، منصور (ت ١١٣٥هـ / ١٧٣٤م).

- كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تحقيق عبد الرحمن فهمي (القاهرة ١٩٦٦).

* البكري، ابو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن الجوب بن عمرو (ت ٤٨٧هـ - ١٠٩٤م)
- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مطبعة الحكومة (الجزائر ١٨٥٧)
* ابن بلقين، عبد الله بن باديس بن زيرى (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م)
- التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيرى في غرناطة (مذكرات الامير عبد الله) تحقيق ليفي بروفنسال (القاهرة ١٩٥٥).
* انبلوى. خالد بن عيسى (ت ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م).
- تاريخ المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد السائح، نشر اللجنة المشتركة لنشر القرآن (المحمدية، بلا).
* البيذق. ابو بكر الصنهاجي (ت منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) اخبار المهدي بني تومرت وابتداء دولة الموحدين، اعتنى بتصحيحه ليفي بروفنسال (باريس ١٩٢٨). (مطبعة الرباط ١٩٧١).
* بنامين بن يونه، (كانت رحلته ما بين سنة ٥٦٥هـ - ٥٦٩هـ / ١١٦٥م - ١١٧٣م)
- رحلة بنامين، ترجمها عن الاصل العبري عزرا حداد، المطبعة الشرقية (بغداد ١٩٤٥).
* التنبكتي، ابو العباس احمد بن عبد الله بن عمر (ت١٠٣٦ هـ / ١٦٣٦م).
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ملتزم طبعه عباس عبد السلام بن شقرون، مطبعة المعاهد (القاهرة ١٣٥١هـ) موجود بهامش الديباج لابن فرحون.

* التنسي، محمد عبد الله (٨٩٩ هـ / ١٤٩٤م).
- نظم الدرر والعقبان في شرف بني زيان، تحقيق محمد بو عياد المكتبة الوطنية (الجزائر ١٩٧٥).
* ابن تومرت، المهدي (ت ٥٢٤ هـ / ١١٢٩م)
- رسالة اعز ما يطلب، ضمن كتاب تعاليق ابن تومرت، تحقيق غولد تسهير (الجزائر ١٩٠٣).
* التجاني، ابو محمد عبد الله بن محمد (ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧م).
- رحلة التيجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة التونسية، (تونس ١٩٥٨).
* ابن تيمية، تقي الدين احمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٦م).
- الحسبة في الاسلام (وظيفة الحكومة الاسلامية) (القاهرة ١٣١٨هـ)
* ابن جبير، ابو الحسن محمد بن احمد (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م).
رحلة ابن جبير ن دار صادر (بيروت ١٩٥٩).
* الجرسيقي، عمر بن عثمان بن العباس.
- رسالة في الحسبة، ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب، نشرها ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية (القاهرة ١٩٠٥).
* الجزنائي، ابو الحسن علي (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م).
- جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، اعتناء الفرد بل، مطبعة باستيد (الجزائر ١٩٢٣).
* ابن الحاج، ابو عبد الله محمد بن محمد.
- المدخل الى تنمية الاعمال بتحسين النيات والتنبية على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها، طبع على نفقة مصطفى الباجي الكتبي، المطبعة الشريفة (القاهرة ١٣٢٠هـ).

* الحكيم، ابو الحسن علي بن يوسف (ت بعد ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).
- الدوحة المشبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية (مدريد ١٩٦٠).
* ابن حماد، ابو عبد الله محمد الصنهاجي (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م).
- اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق حلول احمد البدوي، المؤسسة الوطنية(الجزائر ١٩٨٤).

الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧م).

الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة (الكويت ١٩٨١).

* ابن حوقل، ابو القاسم محمد البغدادي (ت ٣٦٨هـ / ٩٧٨م).

صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت،بلا).

ابن خاقان، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله (ت ٥٢٩هـ / ١١٣٤م).

- قلائد العقيان في محاسن الاعيان، تقديم محمد العناني (تونس ١٩٦٦).

* الخشني، محمد بن الحارث بن اسد (ت ٣٦١هـ / ٩٧١م).
- طبقات علماء افريقية،دار الكتاب اللبناني (بيروت، بلا).
* ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م).
- الاحاطة باخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان (القاهرة ١٩٧٣) وطبعة دار المعارف (القاهرة ١٩٧٥).

- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (وهو القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام، تحقيق احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني) (الدار البيضاء ١٩٦٤)
- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة (المحمدية، بلا).
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق احمد مختار العبادي، (بغداد، بلا).

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار الكتاب اللبناني (بيروت ١٩٦٨) ودار صادر (بيروت ١٩٥٩).
- المقدمة، تحقيق حجر عاصي. دار مكتبة الهلال (بيروت ١٩٨٨)

* ابن خلدون، يحيى بن محمد (ت ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨م).
بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق الفرد بل، (الجزائر ١٩٠٣).

* الدباغ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٦٩٦ هـ / ١٣٩٦م).
- معالم الايمان في معرفة اهل القيروان، اكمله وعلق عليه ابن ناجي، ابو الفضل بن عيسى التنوخي (ت ٨٣٩هـ / ١٤٣٥م)، تحقيق محمد الاحمدي، محمد ماضيور، مطابع الدجوى (القاهرة ١٩٧٢).

* ابن ابي دينار، ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم (كان حيا سنة ١١١٠ هـ / ١٦٩٨م).
- المونس في اخبار افريقية وتونس، تحقيق محمد شمام. المطبعة العتيقة (تونس ١٣٨٧هـ).

* ابن رشد، محب الدين محمد بن عمر (٧٢١ هـ / ١٣٢١م).
- ملء العيبه بما جمع بطول الغيبه في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبه، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، شركة النشر التونسية (تونس ١٩٨١).
* ابن رشد، ابو الوليد (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٥م).
مسائل ابي الوليد بن رشد، تحقيق ودراسة محمد بن الحبيب التجكاني، دار الحديث الحسنية (الرباط ١٩٧٧).
* ابن ابي زرع، ابو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م).
- الانيس المطرب بروض القرطاس في تاريخ المغرب وملوك مدينة فاس، اعتناء كارل يوجن تورنبرغ (اوبسالة ١٨٤٣، ١٨٤٦) ومطبعة (فاس. بلا)
- الذخيرة السنية في اخبار الدولة المرينية. دار المنصور للطباعة، (الرباط ١٩٧٢).
* الزركشي، محمد بن ابراهيم (ت ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م).
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (تونس ١٩٦٦).
* الزهري،ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت في حدود سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠م).
- كتاب الجغرافية، تحقيق محمد الحاج صادق (دمشق ١٩٦٨).
* ابن الزيات، ابو يعقوب يوسف التادلي (ت ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م).
- التشوف الى رجال التصوف، تحقيق ادولف فور (الرباط ١٩٠٨).
* الزياني، ابو القاسم احمد (ت ١٢٤٩هـ / ١٨٠٩م).
- الترجمانه الكبرى في اخبار المعمورة برا وبحرا، جمعه وعلق عليه عبد الكريم الغيلالي (لبنان ١٩٦٩).

* السبتي، محمد بن القاسم الانصاري (ت ٨٢٥ هـ / ١٤٤١ م).
- اختصار الاخبار عما كان بثغر سبته من الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية (الرباط ١٩٦٩). وطبعة (١٩٧٢).
* السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي).
- الضوء اللامع، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان (بيروت، بلا)
* السراج، محمد بن عمر الاندلسي (ت ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦م).
- الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر (تونس ١٩٧٠).
* ابن سعيد، ابو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦ م).
- الجغرافية، تحقيق اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر (بيروت ١٩٧٠).
- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف (القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٥).
* السقطي، ابو عبد الله محمد (عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي).
- رسالة في اداب الحسبة، تحقيق ج. س. كولان، وليفي بروفنسال (باريس ١٩٣١).
* السلاوي، أبو العباس احمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م).
- الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى (الدار البيضاء ١٩٥٤).

* الشيرزي، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م).
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، دار الثقافة (بيروت، بلا)، وطبعة (القاهرة ١٩٤٦).
* الشماخي، ابو العباس احمد بن سعيد (ت ٩٢٨هـ / ١٥٢٦م).
- كتاب السير، الجزائر (قسطنطينية ١٣٠١هـ).
* ابن صاحب الصلاة، ابو مروان عبد الملك (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٨م).
- المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الاندلس (بيروت ١٩٦٤)
* ابن الصغير المالكي (ت ٢٨١ هـ / ٨٩٤م).
اخبار الائمة الرستميين وسيرهم، تحقيق احمد بكير وفخار ابراهيم، دار المغرب الاسلامي (تونس ١٩٨٨).
* ابن ابي الضياف، احمد (ت ١٢٩١ هـ / ١٨٥١م).
اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان، تحقيق لجنة من كتاب الشؤون الثقافية، الدار التونسية (تونس ١٩٧٦).
* العبدري، محمد بن محمد بن علي (كان حيا ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩م).
- رحلة العبدري، تحقيق محمد الفاسي (الرباط ١٩٦٨).
* ابن عبد الرؤوف، احمد.
- رسالة في اداب الحسبة والمحتسب، نشرها ليفي بروفنسال ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب، المعهد العلمي الفرنسي، (القاهرة ١٩٥٥)

* ابن عبدون، محمد بن احمد (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م).

- رسالة في القضاء والحسبة، نشرها ليفي بروفنسال ضمن ثلاث رسائل اندسية في اداب الحسبة والمحتسب، المعهد العلمي الفرنسي، (القاهرة ١٩٥٥).

* ابن عذاري، ابو العباس، محمد ابو عبد الله (كان حيا ٧١٢ هـ / ١٣١٢م).

- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ج١، تحقيق ج.س. كولان وليفي بروفنسال، (ليدن ١٩٤٨) ج٣، تحقيق هويتي ميرندا ومحمد بن تاويت الطنجي ومحمد ابرهيم الكتاني، سلسلة معهد مولاي الحسن (تطوان ١٩٦٠)، ج٤، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة (بيروت ١٩٧٧)، وطبعة (الدار البيضاء ١٩٨٥)، تحقيق ابراهيم الكتاني ومجموعة محققين.

* ابو العرب، محمد بن احمد بن تميم (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٤م).

- طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق علي الشابي، وفهيم حسن، دار الكتاب اللبناني (بيروت، بلا)

* العقباني، ابو عبد الله محمد بن احمد (٨٧١ هـ / ١٤٦٧م).

- تحفه الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشريعة وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوني (فرنسا ١٩٦٧).

* العمري، احمد بن علي بن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م).

- مسالك الابصار في ممالك الامصار (القسم الخاص بالمغرب)، تحقيق مصطفى ابو ضيف احمد، مطبعة الدار البيضاء (الدار البيضاء ١٩٨٨).

* الغبريني، ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الله (ت ٧١٤هـ / ١٣١٥م).

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق وتعليق عادل نويهض، منشورات لجنة التاليف والنشر والترجمة (بيروت ١٩٦٩).

* ابن القاضي، احمد بن محمد (ت ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م).

- جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس (فاس، بلا)، وطبعة (الرباط ١٩٧٣).

- درة الحجال في غرة اسماء الرجال، تحقيق محمد علوش (الرباط ١٩٣٤)

- المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق محمد مرزوق مكتبة المعارف (الرباط ١٩٨٦).

* ابن قاضي شهبة، بدر الدين محمد بن تقي الدين الاسدي (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٨م).

- تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش (دمشق ١٩٧٧).

* القرماني، احمد بن يوسف بن احمد (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م).

- اخبار الدول واثار الاول في التاريخ، عالم الكتب (بيروت ١٩٧٨).

* القزويني، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م).

- اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر (بيروت ١٩٦٠).

*ابن القطان، ابو علي بن محمد بن عبد الملك (ت منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)

- نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من اخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، منشورات كلية الاداب والعلوم الاسلامية، جامع محمد الخامس، المغرب (تطوان، بلا).

* القلقشندي، احمد بن عبد الله (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م).

- صبح الاعشى في صناعة لانشا، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، درا الكتب (بيروت ١٩٨٧).

* ابن قنفذ، ابو العباس احمد حسين القسنطيني (ت ٨١٠ هـ / ١٤٠٧م).

- انس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وادولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي (الرباط ١٩٦٥).

* الكانوني، ابو عبد الله بن محمد.(مجهول الوفاة)

- جواهر الكمال في تراجم الرجال، القسم الثاني من تاريخ اسفي وما اليه (المغرب ١٣٠٦هـ).

المالكي، ابو بكر عبد الله بن محمد (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١م).

- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضلائهم، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ١٩٥١).

* مجهول، عاش سنة (٥٨٧ هـ / ١١٩١م)..

- الاستبصار في عجائب الامصار، نشره سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة الجامعة (الاسكندرية ١٩٥٨).

* مجهول، (من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي).

- الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمانه(الدار البيضاء ١٩٧٩) وطبعة (تونس ١٤٢٩هـ).

* مجهول، رسائل موحدية من انشاء الدولة الموحدية، تحقيق ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية (الرباط ١٩٤١).

* المراكشي، عبد الله بن علي التميمي (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م).

- المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان مطبعة الاستقامة (القاهرة ١٩٤٩).

* المراكشي،ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت ٧٠٣ هـ / ١٤٠٣م).

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة (بيروت ١٩٦٤).

* ابن مرزوق، شمس الدين بن احمد التلمساني (ت ٧٨٢ هـ / ١٣٧٩م).

المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن، تحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، مراجعة واعداد الشركة الوطنية للنشر والاعلان، (الجزائر ١٩٨١).

* المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد المعروف بالبشاري (ت ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م)

- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، تحقيق ج. دي غويه، مطبعة ابريل (ليدن ١٩٠٦).

* المقري، احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١م).

- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر (بيروت ١٩٦٨).

- ازهار الرياض في اخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا واخرون، لجنة التاليف والنشر (القاهرة ١٩٣٩).

* المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١ م).
- اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تعليق وتحقيق جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي (القاهرة ١٩٤٨).
- النقود الاسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود، تحقيق محمد بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية (النجف ١٩٦٧).
* ناصر خسرو، ابو معين الدين ناصر (ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م).
- سفرنامة. نقله يحيى الخشاب، دار الكتب الجديد (بيروت ١٩٧٠)
* النميري، ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الله (ت ٧٧٤هـ / ١٣٨٢م).
- فيض العباب وافاضة قداح الاداب في الحركة السعيدة الى قسطنطينية والزاب، دراسة واعداد محمد شقرون (الرباط ١٩٨٤).
* النويري الاسكندراني، محمد بن القاسم بن محمد (ت٧٧٥هـ / ١٣٨٢م).
- الالمان بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في موقعة الاسكندرية، تحقيق اوتين كومت، واتمه سوريان عطية، مطبعة لجنة دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد - الدكن، بلا).
* ابن وردان، (عاش في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي).
- تاريخ مملكة الاغالبة، تحقيق وتقديم محمد زينهم. محمد عزب. مكتبة مدبولي (القاهرة ١٩٨٨).
* الوزان، الحسن بن محمد الزياني المعروف بليو الافريقي (ت ٩٦٠ هـ / ١٠٠٢م).
- وصف افريقيا، ترجمة محمد الحجي، محد الاخضر، ط١، (الرباط ١٩٨٠)، ج ٢، (الرباط ١٩٨٢).

* الونشريشي، ابو العباس احمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ / ١٥١٢م).
- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب، (فاس، ١٩٨١).
* ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الرحمن الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).
- معجم البلدان، دار صادر (بيروت ١٩٥٧).
* اليعقوبي. احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م).
- البلدان، منشورات المطبعة الحيدرية (النجف ١٩٥٧).

المراجع الحديثة

*ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، تقديم محمد الفاسي، مطبعة السلمي. (الدرا البيضاء ١٩٦٥).
*ابراهيم طرخان، مصر في عهد المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة ١٩٦٠).
*ابراهيم العدوي،تاريخ العالم الاسلامي، عصر التنمية والعطاء، مطبعة القاهرة (مصر ١٩٨٤).
*اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي الاسلامي لها، حتى سنة ١٩١١ تعريب وتقديم خليفة محمد، دار الثقافة والنشر (بيروت ١٩٧٤).
*احمد حسن محمود، قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ١٩٥٧).
*ادم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة (القاهرة ١٩٤٧).
*اشتور، أ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط، دار قتيبة (دمشق ١٩٨٥).

*الافغاني، سعيد، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام (دمشق ١٩٣٧).
*البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين (القاهرة ١٩٦٩).
*برونشفيك، روبار، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر الى نهاية القرن الخامس عشر (بيروت ١٩٨٨).
*بريت، جـــ.د. النقود والاوسمة المغربية (الدار البيضاء ١٩٣٩).
*بوفيل، أي دبنيو. الممالك الاسلامة في غرب افريقيا واثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ترجمة زاهر رياض (القاهرة ١٩٦٨).
*التازي، عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ اقدم العصور الى اليوم (المحمدية، بلا).
*التوزاني، نعيمة هراج، الامناء بالمغرب في عهد مولاي الحسن، مطبعة فضالة (المحمدية ١٩٧٩).
*الجنحاني، الحبيب، المغرب الاسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، الدار التونسية (تونس ١٩٧٨).
*الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية (الجزائر ١٩٥٣).
*جوليان، شارل اندريه، تاريخ افريقية الشمالية، تعريب محمد المزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية (تونس ١٩٥٨).
*الحجوي، محمد المهدي، حياة الوزان واثاره (الرباط ١٩٣٥).
*حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ١٩٥٨).
*حسن حسني عبد الوهاب، ورقات من الحضارة العربية بافريقية التونسية، مكتبة المنار (تونس ١٩٦٤، ١٩٦٦، ١٩٧٢).

*حسن علي، تاريخ المغرب في عصر الولاة، مطبعة المختار (القاهرة ١٩٧٧).

*الخربوطلي، علي حسن، الاسلام في حوض البحر المتوسط، دار الملايين (بيروت ١٩٧٠).

*الدراجي، ابو زيان، نظم الحكم في دولة بني عبدالواد الزيانية، ديوان المطبوعات (الجزائر ١٩٦٣).

*روجيه، لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مكتبة لبنان، (بيروت ١٩٦٧).

*السائح، الحسن، الحضارة المغربية عبر التاريخ، مطبعة النجاح (الدار البيضاء ١٩٧٥).

*سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح حتى قيام دولة الاغالبة والرستمين والادارسة، دار المعارف (مصر، بلا).

*سليمان مصطفى، المنستير ماضيها ومعالمها الاثرية، الدار التونسية للنشر، (تونس، بلا)

*الموسى، عبد الله، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب الاسلامي (الرباط ١٩٧٩).

*الشرباصي، احمد، المعجم الاقتصادي الاسلامي، دار الجيل (بيروت ١٩٨١).

*الشرقاوي، عبد الحميد، الملاحة البحرية الاندلسية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، درا صادر (بيروت، بلا).

*الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، دار النشر التونسية (تونس ١٩٨٠).

*العامري، عبد الهادي، تاريخ المغرب في سبعة قرون بين الازدهار والذبول من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، الشركة التونسية للنشر (تونس ١٩٧٤).
*عبد العزيز بن عبد الله، مظاهر الحياة المغربية (الدار البيضاء، بلا).
*عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة الاسطول الاندلسي، دار النهضة (بيروت ١٩٧٤).
- تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، (الاسكندرية ١٩٨٢).
* عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية (الرباط ١٩٦٨).
*عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق (بيروت ١٩٨٣).
- تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب (بيروت ١٩٦٩).
*العلي، صالح احمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، مطبعة المعارف (بغداد ١٩٥٣).
*الفاسي، عبد الرحمن، خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين، الدار البيضاء (المغرب ١٩٨٦).
*فيليب حتى، تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع مطابع الغندور (القاهرة ١٩٦٥).
لبنان في التاريخ، ترجمة انيس فريحة، دار النشر للطباعة (بيروت ١٩٥٩).
*كالتون كون، القافلة قصة الشرق الاوسط، ترجمة برهان دجاني، مراجعة احسان عباس، نشر مؤسسة فرانكلين (بيروت، نيويورك ١٩٥٩).

*الكافي، ابو بكر، تاريخ صفاقس، منشورات التعاضدية العمالية للطباعة والنشر (صفاقس ١٩٦٦).
*الكبيسي، حمدان، أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، دار الحرية (بغداد ١٩٧٩).
*الكتاني، الشيخ عبد الحي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الاسلامية في المدينة المنورة (بيروت ١٣٤٦هـ).
*الكعاك، عثمان، الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، مطبعة لجنة البيان العربي (القاهرة ١٩٦٥).
- العلاقات التونسية الايرانية عبر التاريخ، الشركة التونسية (تونس ١٩٧٢).
*كريم الصوصي، سراكش بين التأسيس والتمدين في العصرين المرابطي والموحدي ضمن كتاب مراكش من التاسيس الى اخر العصر الموحدي (الرباط ١٩٨٩).
*لقبال، موسى، الحسبة المذهبية في المغرب الاسلامي، نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر ١٩٧١).
*مارك بلوك، مشكلة الذهب في العصر الوسيط ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة توفيق اسكندر، مطابع دار النشر للجامعات المصرية (القاهرة ١٩٦٦).
*المجدوبي، عبد العزيز، من وسائل التعمير واستعمال المجال في العصرين المرابطي والموحدي، ضمن كتاب مراكش من التأسيس الى اخر العصر الموحدي (الدار البيضاء ١٩٨٩).

*محمد بن تاويت الطنجي، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا (القاهرة ١٩٧١).
*محمود اسماعيل عبد الرزاق، الادارسة في المغرب الاقصى، حقائق جديدة، مكتبة الفلاح للنشر (الكويت ١٩٨٩).
-مقالات في الفكر والتاريخ (الدار البيضاء ١٩٧٩).
*المراكشي، عباس بن ابراهيم، الاعلام بمن حل بمراكش من الاعلام، (فاس ١٩٣٦).
*المرزوقي، محمد،قابس جنة الدنيا، مكتبة الخانجي مصر، ومكتبة المثنى، (بغداد ١٩٦٢).
*المشرفي، محمد محي الدين، تاريخ افريقية الشمالية (المغرب، بلا).
*المنوني، محمد، العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين (تطوان ١٩٥٠).
- ورقات من الحضارة المغربية في عهد بني مرين (الرباط ١٩٧٩).
*موريس لمبارد، الاسلام في عظمته الاولى (من القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر، ترجمة ياسين حافظ، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت ١٩٧٧).
*ابن الموقت، محمد، السعادة الابدين في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، (فاس ١٣٣٦هـ).
*نجاة باشا، التجارة في بلاد المغرب الاسلامي من القرن الرابع الهجري الى القرن الثامن الهجري، منشورات الجامعة التونسية (تونس ١٩٧٦).
*النجفي، حسن، القاموس الاقتصادي (بغداد ١٩٧٧).
*نعيم فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (القاهرة ١٩٧٣).

*نيقولا زيادة، الحسبة والمحتسب في الاسلام، المطبعة الكاثوليكية (بيروت ١٩٦٣).
*الهرفي، محمد سليمان سلامة، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة (بيروت ١٩٨٠).
*هنتس، فالتر، المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي (عمان ١٩٧٠).
*هوبكنز، ج. ف. ب، النظم الاسلامية في المغرب في العصور الوسطى، نقله الى العربية امين توفيق المطيبي، الدار العربية للكتاب (تونس ١٩٨٠).

الدوريات

*بجاية، نشرة اصدرتها وزارة الخبار (الجزائر ١٩٧٠).
*الحسني، عبد الرزاق، الكنى والالقاب على نقود دولة المرابطين والموحدين في شمال افريقية والاندلس، مجلة سومر، العدد٣، السنة ١٩٧٤، وزارة الاعلام، العراق -بغداد.
*زنبير محمد، الحكم والاقتصاد عند ابن خلدون، مجلة الحياة الثقافية، العدد التاسع (تونس ١٩٨٠).
*الشيخلي، صباح، تطور الوجود العربي في كانم، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٣٥، السنة السادسة عشر ١٩٩٠.
*صابر ذياب، دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى،المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، السنة ١٩٧٧.
*عثمان اسماعيل، المد النبوي العلوي، مدلة دعوة الحق، العدد ٢٢٦ (المحمدية ١٩٧٩).

*فيصل السامر، ملاحظات في الاوزان والمكاييل، مجلة كلية الاداب، العدد ١٤، المجلد الثاني (بغداد ١٩٧٠، ١٩٧١).

*المطلبي، توفيق، النقود العربية غزت أوربا في العصور الوسطى، مجلة العربي العدد ٢٧٦ السنة ١٩٨١.

*المنون، محمد، خطة الحسبة في المغرب، مجلة المناهل، العدد ١٤ (الرباط ١٩٧٩).

- علاقة المغرب بالمشرق، مجلة تطوان، العدد ١، السنة الاولى ١٩٥٦.

- نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي، العدد ٢، السنة الاولى (الرباط ١٩٨٤).

- وصف المغرب ايام ابي الحسن المريني، مجلة البحث العلمي، العدد الاول. السنة الاولى (الرباط ١٩٨٤).

الرسائل الجامعية

*بحاز ابراهيم، الدولة التونسية (١٦٠-٢٩٦هـ / ٧٧٧-٩٠٩م) دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، رسالة ماجستير، على الالة الطابعة. جامعة بغداد - كلية الاداب، ١٩٨٣.

*الخزاعي، كريم عاتي. النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، رسالة ماجستير. على الالة الطابعة. جامعة بغداد - كلية الاداب، ١٩٩٣.

*مزاحم علاوي شاهر. الاوضاع الاقتصادية على عهد المرينين (٦٦٨-٧٥٩هـ / ١٢٦٨-١٣٥٨م) رسالة دكتوراه، على الالة الطابعة، جامعة الموصل، ١٩٩٤.

*نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الاقصى خلال العصر المريني الاول (٦٦٨-٧٥٩هـ / ١٢٦٩-١٣٥٨م) رسالة ماجستير على الالة

الطابعة من جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الاداب والعلوم الانسانية، فاس ١٩٨٦.

*يوسف جرجيس جبو، التنظيمات التجارية في بلاد الشام بين الغزوين المغولي والتيموري (٦٥٨-٨٠٣هـ / ١٢٦٠-١٤٠٠م)، رسالة ماجستير على الاله الطابعة جامعة بغداد – كلية الاداب، ١٩٨٢.

المراجع الاجنبية

1- Amario. M. Idiplomi arabi del architio fiorentio.V.I.Firenze. Le monnier. 1983.
2- Bel. Al Fred, in seritions, Arabes, de, fes. Journal, Siatique. march Abril, 1917.
3- Chaunu- P., L'expansion, Buropeen. du I₃ , uul, siecle P. 4. F. Paris. Paris. 1966.
4- Gisele chovin, Lesrelations delafrance avec lemarocdes origines ala fin du moyen age Hesperis, Rabat, 1957.
5- Krueger, H.C. The wares of Exchange in the Genoese African Trafic of the Twelfth century, Ecpeculum, 1937, XII,N.I.
6- Krueger, H.C. Genoese Trade with North Africa in the Twelfth century speculum, 1933. VIII, N.3.
7- Mas-Latrie L. Traite de Paix et de commerce et do cyments divers concernant les relations, des chretiens avecles arabes de l'Afrique, septentrionale au moyen-age, Paris,1965.
8- Raubert (G), Histori du comerce marsscoill clemayen ege • I Z. Paris, 1951.
9- Streck, M, S.V. (Kaisariya). I.I. 1977 Voll, II.
10- Tourne, au, rie, S.V. (Punduk) E.I. Vol.11 Newidition, 1965.

المحتويات